من أدب المناظرات

روضة المَحاسن وعمدة المُحاسن

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ

«الجزار السرقسطي»

وفصول من كتابه

بادرة العصر وفائدة المصر

صنعة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح السرقسطي

المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

تحقيق ودراسة واستدراك

الأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت

الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا



جدارا للكتاب العالمي



من أدب المناظرات

روضة المَحاسن وعمدة المُحاسن

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ "الجزار السرقسطي"

وفصول من كتابه

بادرة العصر وفائدة المصر

صنعة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح السرقسطي
المتوفى سنة 606هـ

تحقيق ودراسة واستدراك

الأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت

الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا

٢٠٠٨

جدارا للكتاب العالمي
عمان- الأردن

عالم الكتب الحديث
إربد- الأردن

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٣٤٠/ ٥/ ٢٠٠٧)

تحقيق: بهجت، منجد مصطفى
روضة المَحاسن وعمدة المُحاسن/ تأليف أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مطروح السرقسطي؛ تحقيق: منجد مصطفى بهجت.- إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧.

( ) ص.
ر. إ.: (١٣٤٠/ ٥/ ٢٠٠٧)

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

ردمك: ٩٧٨-٩٩٥٧-٧٠-٠١٨-٨ ISBN



إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفون: 00962-27272272 خلوي: 079/5264363
فاكس: 00962-27269909
صندوق بريد (3469) الرمزي البريدي (21110)
البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com



جدارا للكتاب العالمي
للنشر والتوزيع
عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس
خلوي: 079/5264363



فهرس المحتويات



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ومن ولاه إلى يوم الدين .. وبعد:

فقد وقع ديوان الجزر السرقسطي، أو "روضة المحاسن". موقعاً طيباً من جمهور القراء، ومحبي الأدب العربي في الفردوس المفقود (الأندلس) ووصلت المحقق رسائل من بعضهم تشد من أزره، وتبين له ما بدا لها من آراء فيها.

الكتاب الذي بين أيدينا يقدم صورة مشرقة عن فنين من فنون الأدب ازدهرا في الأندلس، الشعر والنثر إذ نجد ديواناً شعرياً وآخر نثرياً وهما يمثلان عصر الطوائف والمرابطين... تجد الشعر في أغراض متعددة وفنون متنوعة، والنثر في الرسائل والمناظرات.. وقد أفدت في هذه الطبعة من أكبر قاعدة معلومات متاحة في الشعر "الموسوعة الشعرية"[1] في قرصها الإلكتروني المدمج في تخريج بعض الآيات الشعرية التي أعضل علي تخريجها من قبل.

نسأل الله أن يقع عملنا هذا موقع القبول منه، ويثبتنا على الحق، ويعيننا على فهم لغة القرآن وحذقها لغة وأدباً، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لمؤسسة عالم الكتب الحديث ومديرها العام الأخ الأستاذ بلال عبيدات الذي أبدى رغبة في إعادة طبعه بعد أن نفذت طبعته الأولى[2].

الدكتور منجد مصطفى بهجت

الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا

محرم الحرام 1427هـ

فبراير 2007م

---

[1] يمكن الرجوع إلى موقع هذه الموسوعة على الشبكة العنكبوتية:
www.cultural.org.ae

[2] من الدراسات التي نشرت حول هذا الكتاب دراسة الدكتور محمد القاضي في مجلة الدعوة، العدد 9، ص 484 ـ 492، كلية الدعوة ـ طرابلس. ورسالة وصلت من أخي الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس، عام 1992 .. جزاهما الله عني خيراً.



وصف مخطوطة الديوان ومنهجنا في التحقيق

المخطوطة التي اعتمدناها هي نسخة فريدة في الخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 2679/ 1 ك وفي الورقة الأولى لمصورة المخطوطة التي بين أيدينا، وصف للمخطوطة لفهرس الخزانة، أو لعله لفهرس معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، الذي صورنا نسختنا عن طريقه على النحو الآتي:

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي.

أوله: الحمد لله الذي بَرأ الإنسان وخلق، وأجرى اللسانَ بالبيان وأطلق، وآخره، مبتور ينتهي بأثناء قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا الإصبع ابن الإمام وآخر بيت موجود:

تقاسي ساعة فيها كيوم ... ومن طول السُّرى شهراً كعامِ

نسخة بقلم أندلسي حديث، ضمن مجموعة، وتقع في أولها.

حوالي 60 ورقة 10 أسطر 17×22 سم.

ويتفق أول ما بين أيدينا من الديوان، وآخره، مع أول ما ذكره المفهرس وآخره.

وفي فهرس معهد المخطوطات فضلاً عما تقدم[1].

كُتبها أبو عبد الله محمد المفضل نمريط، ضمن مجموعة من ورقة 1 - 60، تلي الديوان مجموعة كبيرة من القصائد لشعراء مختلفين منهم ابن عبدون، وابن التعاويذي وغيرهم والمجموعة تتألف من 84 ورقة.

وفي الورقة الأولى، الزاوية العليا اليسرى سبعة أسطر كتبت بخط يختلف عن خط الديوان في كل سطر حوالي خمس كلمات تقرأ كالآتي:

الحمد لله

هذه مجموعة بخط الوزير الصدر، الفقيه

---

(1) فهرس المخطوطات المصورة 2/ 166 ـ 167.

الأديب الداعية سليل المجد أبي عبد الله
محمد المفضل نمريط (كذا) الفاسي أهدانيه
ولده الشاعر الأديب الكاتب القراني[1]
عبد الله محمد نمريط أبقاه الله مصباحا
كتبه محمد عبد الحي الكتاني الحسني.

ومن دراستنا للمخطوطة، تبين لنا أنها كتبت بخط مغربي مشكول، وتضمنت تعليقات نفيسة في هوامشها في تفسير الكلمات الغامضة، وذكر روايات لأبيات الديوان، وقد كان الشارح يذيل أكثر شروحاته بعلامتين:

الأولى: (ف) القاف المغربية، ذات النقطة الواحدة من فوق، وهو بذلك يحيل إلى القاموس المحيط للفيروزأبادي- كما تبين لنا- إذ تأتي شروحه مطابقة لشروح تلك المادة في القاموس المذكور.

والثانية: (ط)، ونرجح أن تكون رمزاً لاسم ناسخ الديوان الوزير أبي عبد الله محمد المفضل نمريط.

ومن إحدى هذه التعليقات نتبين ثقافة الشارح، إذ يخطِّئ ناسخ النسخة التي ينسخ عنها، فيقول: "ويمكن أن يقال: إن هذا غلط من الناسخ، وأن نسخة المؤلف فيها .."[2].

ولا جرم أن تكون هذه الشروح والتعليقات ذات فائدة، ولا سيما أن صاحبها الوزير الصدر الفقيه الأديب محمد[3]، ولذلك حرصنا على إثباتها في مواضعها من الديوان، مستهلة بالكلمات المشروحة، على الرغم من وضوح معاني بعض الكلمات، وأما الكلمات التي لم تشرح وهي بحاجة لذلك فقد جعلناها بين عضادتين [ ] تمييزاً لها عن شروح المخطوط.

---

(1) لعلها تحريف "القيرواني".

(2) الديوان ورقة 2/أ الحاشية.

(3) جزى الله خيراً الدكتور عبد السلام الهراس الذي أفادني وعرفني بهذا العلم حين كتب لي بعد صدور الطبعة الأولى من الكتاب، والترجمة جاءت ص1 من الجزء الأول من كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى، محمد العباس القباج، ط1، الرباط، 1979. فهو من علماء القرن الرابع عشر الهجري، ولد سنة 1298 بفاس، وهو من البيوتات المغربية التي يتسلسل منها الأدب منذ ثلاثة قرون، عيّن مستشاراً لخليفة السلطان مولاي عرفة ثم وزيراً لخليفة مولاي علي، وبقي إلى سنة تأليف الكتاب الذي أخذنا الترجمة منه 1979 م.

قمت بترقيم النصوص الشعرية للشاعر بأرقام متسلسلة تعين على فهرستها في آخر الديوان كذلك قمت بضبط النصوص الشعرية والنثرية، وإصلاح ما دخل عليها من تصحيف وتحريف والإشارة إلى ذلك، وأما الاختلافات التي تكررت في الرسم وتبعها بعض النسّاخ، مثل إثبات الألف من كلمة "لاكن" و"هاذي" وكتابة "المدا" و"أعلا" و"المنا" و"القذا" بالألف الطويلة وكتابة "العلى" بالألف المقصورة، فقد أغفلت الإشارة إليها، كذلك كان الشأن في الاختلافات في رسم الكلمات المهموزة.

وكان ضرورياً القيام بتخريج النصوص الشعرية التي تمثل بها الشاعر في مناظرته للبرجي، أو نصوص نثرية، من قرآن كريم أو حديث شريف، أو مثل سائر وما إلى ذلك، وكذلك الترجمة للأعلام الذين يرد ذكرهم في الديوان، فقد تم لي ذلك في هوامش الديوان.

وبعد أن تم لي تحقيق مخطوطة الديوان، رجعت إلى المظان والمصادر- في توثيقها- ثم وجدت لزاماً أن أصنع مستدركاً يضم ما لم يرد في الديوان من أشعاره، ضم اثني عشر نصاً شعرياً وعشر موشحات.

قيمة المخطوطة:

تعد المخطوطة نسخة فريدة في العالم، وذلك من خلال مراجعتنا لفهارس المخطوطات التي توفرت بين أيدينا، والمصادر التي وقفت عند الشاعر وعصره.

تكمن قيمة المخطوطة، في الصورة التي وصلت إلينا فيها، حيث جاءت الأبيات مشكولة قليلة التصحيف والتحريف، وتضمنت تعليقات للشارح مفيدة في هوامش الكتاب.. نتبين من خلالها أنها نسخة قوبلت على نسخة المؤلف[1].

ومما يؤسف عليه، أن الديوان الذي بين أيدينا، غير كامل، إلا أن النقص فيه قليل- كما يبدو- إذ آخر ورقة منه تنتهي بالقصيدة الميمية، وهي في خمسين بيتاً، ذكرنا آخر بيت منها في وصف المخطوطة آنفاً ولا نستطيع تقدير الأبيات التي سقطت، ولكنَّ ما يلي آخر ورقة هو من الديوان، بقرينة الكلمة التي ذيلت بها الصفحة الأخيرة، التعقيبة "وتَنصَّبَ" وهي تصلح أن تكون في أول البيت، من القصيدة الميمية التي جاءت على وزن الوافر، وفي الورقة التالية

---

[1] ينظر: الديوان، ص 4 هـ 2.

تأتي أرجوزه فقهية مجهولة المؤلف.

ومما يؤكد نقص الديوان، أن صانع الديوان- ابن مطروح- يشير معتذراً، إلى أنه أثبت أشعاراً لابن الجزار في المجون والخمريات، ليطلع على ما له من باع في الفصاحة والبلاغة ولكن واقع الديوان الذي بين أيدينا، لا يشتمل إلا على نزر يسير في الموضوعين السابقين[1].

وفضلاً عما تقدم، إن وقوفنا على قصائد أخرى للشاعر في المصادر الأندلسية- هو أيضاً- دليل على نقص الديوان كذلك.

إن ما وصل من الديوان، احتجن عدداً لا بأس به من قصائده، يبلغ اثنتين وخمسين قصيدة اجتمع فيها سبعمائة وخمسة وسبعون بيتاً، ولم يرد منها في المصادر الأندلسية وفي غيرها، إلا خمسة عشر بيتاً من قصيدته البائية التي مطلعها:

تعيبُ عليَّ مألوف القصابة   ومن لم يدرِ قدر الشيء عابه

مما يصح أن نستنتج معه أنّ ديوان الشاعر ظل قليل التداول بين أيدي الناس، محجوباً عن الأدباء، والنقاد الأندلسيين والمشارقة ولذلك لم ترد فيها أشعار ديوانه، وما نقلته المصادر- مما لم يرد في الديوان- يبلغ حوالي خمسين بيتاً فقط تفرقت على ستة مصادر[2] ألحقتها في مستدرك الديوان استكمالاً له.

إن نسخة المخطوطة، زيادة على ما تقدم من عناصر أهميتها، احتوت على فصول من كتاب للشاعر، مفقود سماه: "بادرة العصر، وفائدة المصر" ولم أقف على ذكره فيما توفر بين يديّ من مصادر، كما لم يرد ذكره في كتب فهارس المخطوطات.

جامع الديوان ومنهجه:

لم ترد أية إشارة في النسخة المخطوطة إلى اسم جامع الديوان وصانعه، ولكن المخطوطة ذاتها تضمنت معلومات عنه، من خلال حديثه عن الشاعر في مقدمة الديوان، ولدى البحث ودراسة الديوان وقفت على إشارتين توثقان نسبة جمع شعره إليه.

---

(1) تنظر القصائد/ 40، 41، 42.

(2) تنظر هذه المصادر في مواضعها من مستدرك ا لديوان.

الأولى: في كتاب التكملة لكتاب الصلة: لابن الأبار البلنسي (ت659هـ)، والثانية في مخطوطة لمح السحر من روح الشعر ودوح الشجر، لابن ليون التجيبي (ت750هـ).

أما أولى الإشارتين فتنصّ على أنه: "محمد بن عبد الله بن أبي يحيى ابن محمد بن مطروح التجيبي" من أهل بلنسية، وأهله من سرقسطة يكنى أبا عبد الله، كان وراقاً يبيع الكتب، أخبارياً أديباً، حلو النادرة، فكيهاً، جمع شعر أبي بكر يحيى بن محمد الجزّار السرقسطي، وسمّاه: "روضة المَحاسن وعُمدة المُحاسن" ثم يذكر ابن الأبار شيوخه وتلامذته ويقول: "توفي سنة ست وستمائة، ومولده الأربعين وخمسمائة"[1].

وثانية الإشارتين ترد في سياق بيتين له في زلل اللسان بروي العين[2]، وردا في مخطوطة "لمح السحر" يستهلهما ابن ليون بقوله: "ولأبي بكر يحيى بن محمد الجزار السَّرقسطي، وجمع شعره أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عبد الله ابن مطروح السرقسطي"[3].

ونعلم من كتب التراجم أن ابن مطروح أنجب ابناً أصبح عالماً، صاحب مؤلفات هو عبد الله بن محمد (ت سنة 635هـ)[4] روى الصفدي قصيدة في رثاء أبيه.

جرى ابن مطروح في جمعه الديوان، مجرى المصنفين الأندلسيين، أمثال ابن بسام (ت 456هـ) والشقندي (ت 629هـ) وابن سعيد (ت 685هـ) وغيرهم، الذين كانوا يسعون لإثبات شخصية الأندلسيين، في الفنون والآداب، وإظهار محاسنهم وتفوقهم على أدباء المشرق "مفتخراً بمحاسن مصره على سائر الأمصار"[5].

ولقد بذل في جمع أبيات الديوان جهداً ووقتاً، وتحرّى في ذلك الدقة، مما يجعل الديوان على درجة من التوثيق العلمي، فهو يذكر أنه جمع أشعار الجزار عن رجال ثقاة، وبذل في ذلك مدداً وأوقاتاً، حتى اجتمع لديه هذا العدد الكبير من أشعار الشاعر، مما جعله

---

(1) التكملة 2/ 579 رقم 1546.

(2) المستدرك على الديوان رقم (4).

(3) لمح السحر (مخطوط) ورقة 23/ب.

(4) الوافي بالوفيات، 17/ 554، صلة الصلة (مخطوط)، 72، شجرة النور الزكية، رقم 589.

(5) الديوان، 2/ب.

ينكر على ابن بسام أن يجعله من المقلين في ذخيرته[1]. ووجد في ذلك غلطاً وشططاً، ثم عاد فاعتذر عن حكم ابن بسام في الشاعر- على سبيل الاحتياط وتواضع العلماء- بأدب جم فقال: "ولعل ابن بسام لم يبلغه من شعره إلا ما أورد"[2] وربما كان سبب قلة ما وصل من أشعار الشاعر إلى ابن بسام أنه ألّف ذخيرته في وقت مبكر من حياته وانتهى منه بعد عام 510هـ[3]، ولم يتح له الاطلاع على أشعاره.

ولكن متى جمع ابن مطروح ديوان الشاعر؟

ليست لدينا إشارة واضحة إلى ذلك، وفي الديوان دلالة واضحة على أن الجمع حصل بعد وفاة الجزار وليس في حياته، وذلك من عبارات الترحم التي يعطفها على اسمه من قوله: "رحمه الله" و"عفا الله عنه"، ولكن وفاة الجزار ذاتها مجهولة لدينا!

وبإمكاننا أن نقدر بأن ابن مطروح جمع الديوان بعد سنة 570هـ، وذلك مما نجده من آراء نقدية تنم عن نضج وعمق لا يدركهما قبل بلوغ الثلاثين من عمره في تقديرنا، وقد تقدمت الإشارة إلى أنه ولد سنة 540هـ.

إن جامع الديوان أديب ناقد، له ذوقه في الانتقاء، ومذهبه في جمع الديوان يقوم على أساس اختيار محاسن أشعاره في البلاغة والفصاحة، ولم يبال لموضوعات الشعر، أن يقع تحت طائلة إيراد أشعار خمرية ماجنة، لأنه يذهب في ذلك مذهب الحاكي، دون أن تكون لديه رغبة في تلك الموصوفات من شعره. ومع أن ذلك جائز عند المتأخرين من الأدباء، فإنه يشعر بخطورته، فيسأل الله الغفران في ذلك[4].

إن ابن مطروح، يجمع في ذلك إلى الأدب والفكاهة شيئاً من الأناة والاتزان، هما من أخلاق العلماء المسلمين إلى عهد قريب .. وواقع الديوان يدل على أنه لم يخض في ذلك، وكل ما ساقه من تلك الأشعار كان قليلاً جداً، كما تقدم بنا آنفاً.

---

(1) مقدمة الديوان، ورقة 2/أ.

(2) نفسه، 2/أ.

(3) ابن بسام الشنتريني، ص 67.

(4) مقدمة الديوان، 2/أ.

ونلاحظ أنه في انتقائه من كتاب الجزار "بادرة العصر .." الذي تضمن أشعاره في الهجاء، يتجنب الشعر الفاضح ففي قصيدة يقول: "أوردت منها ما غدا من الذمّ القبيح عارياً وأضحى على طريق العتاب جارياً"[1]. ويصرح في موضع آخر بأنه طرح كثيراً من أشعاره لقبائح ذكرها فيه وضمنها في أكثر قوافيه[2].

وجامع الديوان يظهر إعجابه في أكثر من موضع بأشعار الشاعر فهو يرى أنه: "لو أنشد الصم لشق أسماعها، وفتّق، ولو تناولته البكم، لأجرى لسانها بالتكلم به وأنطق، أو لو افتخرت به الرواة لكفاها فخراً، أو سمعته الخنساء، لأنساها صخراً .. الخ"[3] ويقول في موضع آخر يصف قصيدته الهمزية[4]: "لم يسبق إلى مثلها في طريق الذم والهجاء، ولا خلد نظيرها في جميع النواحي والأرجاء".

وعلى الرغم من المكانة التي أدركها الشاعر بجودة أشعاره، فإن لابن مطروح فضلاً كبيراً في جمع شتاتها، وتهذيبها من خطأ الرواية "ولما ظهرت بدائعه وغرره، وانتظمت بجيد الزمان درره ... التمستها في كل محفل وناد، فما ألفيت لها رواية صحيحة الإنشاد ولا ديواناً مجموعاً، ولا تأليفاً مروياً عنه ولا مسموعاً"[5].

حياة الشاعر وشاعريته:

وردت إشارات سريعة، عن حياة الشاعر، تناثرت في المصادر الأندلسية، نخلص منها إلى أنه: أبو بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي[6]، وهو تارة يلقب بالجزار[7]، وأخرى بابن الجزار[8]، والراجح أن يكون اللقب له لا لأبيه، لما صح من أنه كانت مهنته الجزارة فانتسب لها[9].

---

(1) مقدمة القصيدة رقم (34).
(2) الديوان، ورقة 41/ أ.
(3) الديوان 1/ ب.
(4) ق رقم 34.
(5) الديوان 1/ ب.
(6) التكملة، 2/ 579، رقم 1546، لمح السحر ورقة 23/ ب.
(7) الذخيرة، 3/ 2/ 905، النفح، 3/ 404.
(8) النفح، 3/ 464، 598.
(9) ينظر قصيدته رقم 36، المستدرك (6).

لم نجد معلومات عن حياته الأولى، ونشأته وأسرته[1]، فنحن نجهل تاريخ وفاته، فضلاً عن ولادته، وقد اكتفى ابن سعيد بأن جعله من شعراء المائة الخامسة للهجرة[2].

ونستطيع أن نقول بأن أباه كان فلاحاً، مغموراً، فقير الحال في الأخبار التي أوردها ابن بسام مقترنة بشعر الجزار، أن والده تقبل أرضاً للأحباس، فضاع واجتمع عليه خراج الأرض، فكتب الجزار إلى العامل أبياتاً يستشفع فيها لأبيه، وفيها يعتذر عن تقصيره، وكتب أن الحظ لم يحالفه فيها، وفيها إشارة إلا أنه ورث عن أبيه سوء الطالع ومن أبياتها قوله[3]:

يا أبا جعفر لعاً من عثار	وغياثاً فما يقرّ قراري
كان لي والد وكان لعمري	من بني العصر بالفلاحة داري
اكتراها ولم يكن مستخيراً	وقت شؤم بطالع الأدبار

ولا نعلم متى عمل بالجزارة، ومتى عدل عنها، ثم عاد إليها ثانية، ولكن الإشارة تعددت لذلك في عدد من المصادر حيث أمر الحاجب ابن هود وزيره أبا الفضل بن حسداي أن يوبخه على رجوعه إلى الجزارة[4]، ويبدو أن دولة الشعر أدبرت عنه، فلم يحظ بمهنته ما كان يرجو لنفسه من عيشة كريمة، كما لم يدرك آماله بالشعر، وهو يسوق لنا اضطرابه في ذلك ويصور محنته بأسلوب حزين فيقول[5]:

في قصتي عجب فاسمع إليّ فما	أتت بمثل حديثي الأعصرُ الأولُ
رأيت قوماً بنظم الشعر قد وصلوا	إلى المنى وأنيلوا فوق ما سألوا
فقلت: ما لي لم أسلك سبيلهم؟	أليس بي في القوافي يضرب المثل؟
كم بالقصابة لا أنفك في سغب!	وفي المدائح عنها للفتى حولُ

---

(1) ترجم ابن سعيد في المغرب 2/ 355 لأحد أدباء بلنسية، أبو جعفر احمد بن الجزار، ونستبعد ان تكون له صلة نسب بشاعرنا.

(2) رايات المبرزين، 123.

(3) المستدرك رقم 3.

(4) الذخيرة، 3/ 2/ 905، المغرب، 2/ 445، النفح، 4/ 152.

(5) قصيدته رقم 43.

ويصور لنا الشاعر الدنيا، وقد قلبت له ظهر المجن، فيراها خداعة متلونة، ولذلك يجاريها ويحتال لها، ولكن دون جدوى إذ فارقه سعده إلى حيث النحسّ والشؤم[1]:

إنّي تلونت للدنيا تلوّنها | واحتلت دهري فما أجدتنيَ الحيل
وليس يحظى بسعد المشترى أبداً | من ليس منتقلاً عن برجه زُحل

لكنه سرعان ما يثوب إلى رشده، ويعود إلى صوابه، فيقرر في حكمة بالغة، أن لا مناص من المثابرة والجد، وعدم الركون إلى التواكل، واللجوء إلى الغش والخداع.

ولا تنال بغير العزّ مأربة | لا يقطع السّيف ما لا يسبق الأجل

ولم يكن أثر الفقر والإملاق الذي لازمه شطراً من حياته، سلبياً، إذ أنه لا يبالي .. وهو في موقف الخصومة والمهاجاة- أن يعترف بهما، فيحاور خصمه أبا الحسن البرجي ويرد على تعييره إياه بقوله[2]:

ولو ابتليت- وعلّ ذلك كائنٌ- | بالفقر ما عيرت ذا استجداء
والأنبياء المرسلون استطعموا | وبلوا بداء الفقر كل بلاء
أو ليس موسى قد توخى قرية | مستطعماً فأبت بكل إباء

وتبقى أشعاره، خير ما نستعين به على حياته وخلاله، تعكس لنا حدة مزاج وغليان طبع فقد أنف الخنا وترفع عن الذل والهوان، وكان من أجلهما يغضب للحق، وينتصر لنفسه، بحجة قوية وبرهان ناصع، لا سيما إذا كان القصد انتقاص شأنه والتجريح في علمه، فقد جره انتقاد بيت شعري واحد إلى تأليف كتابه "بادرة العصر وفائدة المصر" كما هو واضح.

وثقافة الجزار كانت رصينة ومتينة بدليل احتجاجه اللغوي على مسألة الخلاف التي جرّته إلى تأليف كتابه "بادرة العصر" حيث ساق شواهد شعرية كثيرة لتأييد حجته.

---

(1) تنظر قصيدته 43/ 2 - 3.

(2) قصيدته 34/ 64 - 66.

وعلى الرغم من أن الشاعر كان يتجنب الاقتباس المباشر من القرآن الكريم على نحو ما يذهب إليه الأندلسيون[1]، فإنا نلمح آثار ثقافته الدينية على نحو ما تقدم آنفاً في قصة موسى والخضر، وكذلك في قوله:

يشيب لهوله الولدان ذعراً ويحسد حيُّه من في الضريح

ففي صدر البيت اقتباس إشاري من القرآن الكريم، وفي عجزه اقتباس إشاري كذلك من الحديث الشريف، وكذلك يضمن أشعاره بعض الأمثال من مثل قوله:

يا مفتياً بانتقاض الشرع أعصاراً إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً

ففي عجز البيت اقتباس من أحد الأمثال المشهورة.

بادرة العصر:

تقدم خلال حديثنا عن قيمة المخطوطة، أنها احتفظت بفصول من كتاب الجزار الموسوم: "بادرة العصر، وفائدة المصر" ولم أقف على ذكره في كتب الفهارس والمخطوطات، كذلك لم ترد الإشارة إليه في المصادر الأندلسية، ويؤلف ما وصل من الكتاب حوالي ثلثي المخطوطة.

والكتاب- كما يتبين- رسالة أجراها الجزار مجرى رسالة السيف والقلم، ذكر فيه مثالب الفرائين وضمّنه كثيراً من أشعاره، ومناظراته التي جرت بينه وبين أبي الحسن علي بن عبد البرجي نسبة إلى برجة من أعمال سرقسطة، وكان البرجي لغوياً وأديباً، راوية للحديث، تصدر للاقراء بمدينة الشاعر- سرقسطة، وتوفي بوادي آشي بحدود سنة خمس وثلاثين وخمسمائة[2].

لقد ذكر فيه الجزار، مثالب الفرائين، لأن أبا أبي الحسن البرجي كان فراءً يتجر في الفراء ولمّا يجانب الإنصاف مع خصمه، إذ ساق حججه وأقواله، والرسالة ثمينة في مضمونها

---

(1) الاتجاه الإسلامي، 481.

(2) تنظر ترجمته في التكملة (مخطوط)، 3/ 59، الذيل والتكملة، 5/ 1/ 237، صلة الصلة، 88.

وأسلوبها، وذلك من خلال ما جاء فيها من قيم حضارية واجتماعية، في الإشارة إلى المهن الشائعة آنذاك، وطرق البيع والشراء، والأساليب المحرمة منها ... كذلك يستطيع الدارس أن يجد منهجاً نقدياً أدبياً يعتمده الشاعر هو المنهج اللُّغوي الذي كان الأساس في استحسان أو استهجان الشعر.

ومن أسلوب الجزار في كتابه، يتجلى لنا أنه كان من ذوي المواهب المزدوجة متمكناً من ناصيتي الشعر والنثر، وأنه بلغ في ذلك شأواً بعيداً، وهو في ذلك لا يختلف في كثير عن أدباء عصره المتفرغين للأدب، والذين زاوجوا بين الشعر والنثر أمثال ابن دراج (ت421 هـ)، وابن شهيد (ت426هـ)، وابن زيدون (ت463هـ)، وابن خفاجة (ت533هـ) وغيرهم.

ولكن كيف أقحم ابن مطروح السرقسطي، صانع الديوان فصول هذا الكتاب على الديوان؟

إن النظرة المتأنية للديوان تنفي أن يكون هناك إقحام في الموضوع، والذي حصل أن صانع الديوان، الذي أعرب عن إعجابه بشعر الجزار، حرص على إيراد أكثر ما يتسنى له من أشعار الشاعر، وكان لا بد له أن يذكر مناسبة تلك القصائد فجرَّه الحديث عنها إلى الاستطراد إلى كتاب "بادرة العصر" لأن عدداً من تلك الأشعار جاء فيه .. وبعد أول قصيدتين يسوقهما في الديوان، الهمزية والبائية يقول: "قال أبو بكر الجزار في كتابه الذي ترجمه بـ"بادرة العصر وفائدة المصر" وهو كتاب ضمن فيه هذا القصيد، والذي تقدم .." ويمضي في نقوله عن الكتاب حتى يبلغ قوله: "انتهى القصيد المجاوب به، وتركت أكثره .. وهذا آخر ما في الكتاب بادرة العصر من شعره"[1].

وأصل الخصومة بين الرجلين، وأول حلقاتها، بدأت حين بلغ الجزار أن الفقيه أبا الحسن على البرجي انتقد عليه قوله:

لم تسمع الآذان قبل هِدائها ... بحمامةٍ زفت إلى فتخاء

---

[1] أول إشارة ترد إلى الكتاب في ورقة 10/ ب، يذكر فيها أن أول الكتاب يبدأ بقصيدته الهمزية (في آخر الورقة 2/ب) وأما آخر النقول من الكتاب فيأتي في الورقة 41/أ.

والبيت هو الرابع من قصيدة نظمها الجزار في واحد وستين بيتاً، كان قد أرسلها بمناسبة احتفال الخليفة زهير الصقلبي العامري بالزواج، ومطلعها[1]:

اليوم حُليٌّ عاطل العلياء — اليوم جرَّ الدهر ذيل بهاءِ

وأما وجه الانتقاد فيتمثل في قوله: "إن الفتخاء مؤنثة، ولا يوصف بها مذكر" فما كان من أبي بكر الجزار إلا أن امتشق يراعه، ووجه إليه قصيدة فيها اللوم والعتاب والتقريع والانتقاد، في تسعة وثمانين بيتاً، ومطلعها[2]:

تُريك مضاء المرهفات المضارب — وتكشف أسرار الأنام التجارب

وتأتي قصيدته معرضاً حفلاً، بالحكمة والموعظة، فينكر عليه إقباله على جمع المال وكنزه إياه، ويسخر ويتهكم ممن هذا شأنه، فكأنّ القيم انقلبت لديه[3]:

وبالأصغرين المرء كان معظماً — وما أصغراه اليوم إلا المكاسب

وينتقل بعد ذلك إلى قرناء السوء الذين يبدو أنهم أحاطوا بالبرجي، من كل جانب، وينعى عليه تغيره وتبدله، ونسيانه عهود المودة والصّفاء، ولكأنّما عناه بقوله[4]:

أخ كان لي قد كنتُ أحسب أنه — دلاصي وسيفي إن لحاني المطالب
قررت به عيناً فلمّا بلوته — إذا هو ينعى عثرتي ويراقب
وقد كان حقاً أن يراعي ودنا — ولكن إخوان الزمان عقارب
أبا حسنٍ إن الحديث مساقه — إليك، فما هذي الأمور العجائب

---

(1) قصيدته رقم (1).
(2) قصيدته رقم (2).
(3) ق 2/ 6.
(4) ق 2/ 17، 18، 26، 27.

وللوشاية والنميمة دور في إذكاء الأحقاد، ووري نيرانها، وكان النقد الذي بلغه عن بيته المتقدم آنفاً، إنما جاء عن طريق أحد هؤلاء في مجلس أحد الأدباء، باق ابن باق، إلى ذلك يشير في قوله[1]:

أتنقد أشعاري وترقب عثرتي	وأقرب من هذا إليك الكواكب؟
وتطلق في نادِ أبن باق بنقضها	كأن أبن باق في حبالك حاطب

لقد فصلت القصيدة حديثها عن المودة والأخوة التي كانت بينهما، ولا بد أن تكون هناك جملة أمور أرثت نار العداوة والبغضاء بينهما، وإن وصفه المذكر بالفتخاء، لا يعقل أن يكون السبب الحقيقي لتلك الخصومة التي استمرت طويلاً، بل كان القشة التي قصمت ظهر البعير.

لذلك نجد قصيدته البائية، متشعبة المسالك والطرائق تنم عن أبعاد الجفوة التي حلّت بينهما، بحيث جعلت البرجي يترصد الأخطاء ويسعى في القطيعة والنزاع، ولا يبالي بالغيبة وأكل لحم أخيه، دون أن يجاهر بهذه الصفات أمامه، بل يظهر العفة والدماثة وصفو الوداد[2].

وينتهي الجزار في آخر شوط من أشواط قصيدته الطويلة، إلى الفخر ببأسه في الخصومة وتمكنه من خصومه، ويأتي هذا الفخر مشوباً بالنقد اللاذع، والتهكم الموجع فيتهمه في عقله إذ يجعله "أخيرقاً" ثم ينعته تارة "بصيرفي الشعر" وأخرى بابن العميد- فيمن يشبه بضده- وثالثة باسم مخترع "جعسويه"، وسرعان ما ينتقل إلى بيت القصيد، فيسوق دليله الواضح، وبرهانه الفاضح، فيما جاء من كلام العرب الفصحاء[3]:

أما قال للنعمان شاعر قومه	لأنك شمس والملوك كواكب؟

---

(1) ق 2/ 31 - 32.

(2) ق 2/ 45 - 48.

(3) ق 2/ 71 ـ 72.

فشبهه بالشمس وهي لديهم   مؤنثة، هل عاب ذلك عائب

وأما الحجة العقلية في جواز وصف المذكر بالمؤنث، فيعبر عنها بقوله[1]:

وهل تنسب الأشياء إلا لفعلها   وتعرف إلا بالمضاء القواضب

ويسترسل في قصيدته متحدياً، طالباً الحجة والدليل فيما يزعم ويدعي:

فرد على من قال هذا بحجةٍ   ليعلم كل أن خطرك خاضب[2]

ثم يعود ليختم قصيدته بالإشفاق على أبي الحسن البرجي، وأنه لولا الخلال التي يتحلى بها، من حياء ورباطة جأش لأرسل إليه صواعقه[3]:

لأرسلت من شؤبوب نطقي صواعقاً   عليك بأفكاري لهن سحائب
ولكنني أغضي حياء من العلا   وأصفو وإن لم تصف منك المشارب

ويرى نفسه محمولاً على هذه الخصومة، مقحماً فيها، فمن حقه الدفاع عن نفسه وردّ التهم[4]:

وإني لمصدور فإن كنت نافثاً   فعذري بادٍ والظلوم المطالب
زرعتَ وهذا ما حصدت فلا تلم   ولا تحسبني أنني لك غالب

ولذلك فأولى به الإقرار بالذنب والتوبة عنه.

وبعد أن تصل القصيدة إلى أبي الحسن البرجي، تثور ثائرته وينكر ما نسب إليه، ثم يسعى للوصول والوداد، حيث يصلح ذات البين بعض إخوان الشاعر، وإخوان الجزار،

---

(1) ق 2/ 73.

(2) ق 2/ 76 والخطر نبات يختضب به.

(3) ق 2/ 83، 85.

(4) ق 2/ 86، 87.

ولكـن يبدو أن ما بينهما لم يكن ليزول بهذه السرعة والعجالة. فقد أخبره خبير، بأن البرجي عـاد إلى نقـده إيـاه، فأنكر ذلك بعد العهد والعقد اللذين قطعهما، فاطلع على رقعة بهجائه، بخطه ومطه ونقطه وضبطه[1]، وانتهى الشك إلى يقين، والظن إلى الحق .. ويسوق لنا أبو بكر الجـزار- متحلياً بخلـق العلمـاء- تلـك الرقعة، بأبياتها الستة والأربعين دون حذف أو خلل ومطلعها[2]:

أعلـيٌّ تعـتب شـاعر الغـوغاء   متعرضـاً جهـلاً لوسـم هجـاء

ويمكنـنا أن نلخـص مـنهجه في نقـض الجـزار، فقـد اخـتار بحر القصيدة المعابة ذاته "الكامـل" كما التزم رويها، وهو ينكر عليه سبيل الهجاء الذي يجره إلى السفه، ويلمزه في نسبه، ثـم يفخـر بـشاعريته، ورمـيه بالطـيش وعـدم الـتعقل، وذلـك لاستماعه إلى أقوال المشائين الـنمامين، الـذين اسـتغفلوه وجروه إلى هجائه. فينكر عليه احتجاجه ببيت النابغة، ذلك لأن "الشمس" المشبه به مؤنث مجازي لكن "اللقوة الفتخاء" مؤنث حقيقي وبون بينهما! يقول[3]:

وحـسب أن "ذكـاء" في مـدح بها   في اللفـظ مـثل اللقـوة الفتخاء
هـل أنثت شمس النهار حقيقة   بالطبع قل، إن كنت خدن ذكاء

وإذا كـان البرجـي يـزعم أنـه يترفـع عـن هجاء الجزار، فإن الجزار هو الآخر يزعم ذلـك، وكلاهمـا خالـف قـوله دعـواه[4]، ويمـضي الجزار في "بادرة العصر" مقارضاً أبا حسن البرجـي، في مقطـوعات أخرى[5]، وفيها ما فيها من ضروب التفنن في الهجاء، وهو في بعض يسلك سبيل الحوار والمناظرة[6]، ويتهم صاحبه بالفدم والغباء، والحمق والعماية، فهل هو

---

(1) الديوان ورقة 11/أ ـ 11/ب.
(2) الدويان، ورقة 11/ب.
(3) البيتان 38، 39.
(4) تنظر الأبيات 42 ـ 46.
(5) تنظر المقطوعات 3 ـ 9.
(6) تنظر المقطوعات 10 ـ 17.

إلا كـواو عمرو، أقحمت للفرق أو كفأس نحاس، يلمع ولا يقطع[1]، ومن نماذج مقطعاته في ذلك[2]:

فلمـــــا أن تلاقيـــــنا لتأنـــــيب وإغـــــضاء
بـــدت في العـــين منّـــته إلـــيَّ سمـــات بغـــضاء
فقلـت لـه وقـد غـضت بـــه نفـــسي وأعـــضائي
ســلامٌ يــا أبــا حــسنْ علــيك ســلام إرضــاء
ســـلامٌ مـــبدل المـــيم علـــى فـــوديك بالحـــاء

فازور جانبه إليَّ، ولم يرد السلام علي، فقلت:

أعلــيُّ مــا هــذا الــذي قــد غــار مــنك والجــدا؟

ويستطرد في ذلك فيسوق لنا أشعاراً كثيرة، فيها مناظرات منطقية جليلة، حتى يجتمع فيها ستة وعشرون، ما بين مقطوعة وقصيدة، لكنه لا يلبث أن يعود إلى القصيدة الهمزية التي أرسـلها أبـو الحسن البرجي، فيدير حديثه حولها، على هيئة حوار علمي هادئ، دون تسابب أو قذف ومن ذلك قوله:

"فلمـا سمعـت مقالـه راعـني مـا قالـه وقلـت: لا شـك أنـك عـزمت على المناظرة، واستعددت بالتمثل والمحاضرة.

فقال: أجل.

فقلت: فأقول؟

قال: قل.

قلت: بأي شيء تعترض علينا في قولنا:

---

(1) الورقة 21/ ب.

(2) الديوان رقم 10.

لم تـسمع الآذان قـبل هـدائها بجمامـة زفـت إلى فـتخاء[1]

ويمضي في ذلك مورداً حجة صاحبه في الاعتراض عليه: تشبيهك المذكر الناطق بالمؤنث الصامت، وتشبيه المذكر بالمؤنث فيه ما فيه ..

ثـم تتشعب بالجزار الطرائق وتتفرغ المسالك، وهو يسوق الدليل تلو الدليل، معتمداً علـى الابراه والتمحيص، من خلال الشواهد الشعرية، من كلام العرب، ثم ينتقل إلى تزييف بهجره في رسالة طويلة[2]، يوجهها إليه، وهي في أكثر من خمسين سطراً، يبدي فيها ضروب البراعة، والألمعية في الرد عليه، وانتقاص ملكته، بلغةٍ عالية وأسلوب متين مقتبساً من القرآن الكريم، مستشهداً بالحديث الشريف، والأمثال والحكم، وكأنه متورط معه في هذا السبيل، ويعمد إلى الأسلوب المتندر الساخر الأسلوب (الكاركتيري) بلغة العصر، خذ مثلاً ما جاء في بعض سطورها[3].

"فإذا خرجت من دارك فانفث ثلاثاً عن يسارك، فبذلك تفرق منك الجن، وينجلي الغم والحزن، فاجعل وصيتي نصب عينيك، ودع من يقول: هون عليك فإني أخاف، أن ترشقك سهام العيون، فترديَك، وتضيقَ عليك الأوطان والأعطان، وتنبتَ بك الأسباب والأشطان، وخليفتي عليك الشيطان، واعلم أني دبرت لك (بختجاً) يشفيك من داء الجنون، ويقيك من سهام العيون، وهو من أفضل ما تداوى به المتلخنون، وأفيد به الموسوسون، وقد أثنى عليه الأطباء المتقدمون، فقالوا: إنه ينقى بطون الدماغ من فضول الفراغ ..." إلى آخر الرسالة.

وتأتي بعد الرسالة قصيدة في اثنين وعشرين بيتاً، في سخرية لاذعة وتهكم مريع ويتوقف بعدها عند مطلع قصيدته الهمزية ليضعه على مشرحة الجراح، ويجري فيه مبضعه القاسي، فلا يدع كلمة إلا ويكشف عن الخلل فيها، والشين في معانيها، في أكثر من ثلاثين

---

(1) الديوان 24/ آ.

(2) الديوان 26/ آ.

(3) الديوان 29/ ب.

سطراً، وينتقل بعدها إلى الشعر ثانية، فيسوق ثلاث قطع شعرية[1]، ليعود إلى بيت من أبيات قصيدة البرجي فيرد عليه بالشعر مباشرة في قصيدة عدة أبياتها أحد عشر بيتاً[2]، ويبدو أنه عاد إلى النثر، إلا أن الجامع قد اعتذاره عنه لأنه يخالف منهجه في جمع الشعر دون النثر.

ومنهج الجزار الذي يعتمده في النقد يتمثل في أنه يأخذ كل بيت من أبيات قصيدة البرجي، فيبين الخلل اللغوي، والتهافت المعنوي فيه .. نستدل على ذلك، من قول جامع الديوان (ابن مطروح): "وهكذا نقد قصيدته بيتاً بيتاً، وغادر ذكره في حلبة الشعراء ميتاً، ولم أورد من انتقاده إلا هذا البيت الأول لأن الغرض جمع شعره"[3].

ولنا أن نتصور حجم الكتاب، إذا كان الجزار قد وقف عند أبياته بهذه الأناة والتؤدة لا سيما إذا كان نقد بيت واحد، يكشف عن سوء أدب البرجي، وقلة احتراسه من الزلل، وركاكة النسج، ودناءة الحشو، ودمامة اللفظ، وانقلاب ذمه إلى المدح[4].

وأطول قصيدة في الديوان همزيته في الموضوع ذاته، هجاء أبي الحسن البرجي، وأورد منها ابن مطروح- جامع الديوان- سبعة وتسعين بيتاً .. وهي أطول من ذلك .. إلا أن جامع الديوان ترك أكثره لقبائح ذكرها فيه، وضمنها أكثر قوافيه، عفا الله عنا وعنه، ثم يختم عبارته بقوله: "وهذا آخر ما في كتابه (بادرة العصر)"[5].

ولا شك أن خصائص النقائض الشعرية تتجلى عند الشاعرين الجزار والبرجي، في أنهما يلتزمان القافية والبحر، ولا يخرجان عليهما، يتضح هذا في ثلاث قصائد طويلة للجزار ومقطوعتين، وأما ما جاء للبرجي ففي قصيدة واحدة فقط[6].

وشاعرنا في أشعاره قاضٍ عادل، ينتصف لنفسه بالحق والبينة، فهو يورد لقضيته شهوداً منهم أبو محمد:

---

(1) القطع هي 30 ـ 32.

(2) القصيدة رقم 33.

(3) الديوان 35/ ب.

(4) الديوان 31/ ب.

(5) الديوان 41/ أ.

(6) تنظر القصائد (1، 32، 34، 5، 10)، وتنظر قصيدة البرجي في الورقة 11/ ب.

ولـئن دفعـت مقالتي وجحدتها فأبـو محمـد أعـدل الـشهداء[1]

ويحـار المـرء- لأول وهلـة- في الحكـم لأحـدهما، ودفـع الـتهمة عـن الآخر، لقوة حجتـيهما- فـيما يدعـيانه- من التحلي بالخلق الكريم، والتخلق بالمودة والمحبة، ونأيهما عن العداوة والبغضاء، واتهام كل منهما الآخر بذلك... ولا جرم فإن الجزار ساق بأمانة حجج خـصمه، وذلـك علـى هيئة مناظرة يجريها بينه وبين البرجي، لكن الأمر يختلف فيما بعد، إذ يكتفي جامع الديوان بإيراد أشعار الشاعر، لكي لا يخرج عن غرضه وهدفه في جمع الشعر.

إن الرسـالة تلتقـي في موضـوعها برسائل الهجاء من ناحية، ورسائل العتاب والاعتذار مـن ناحـية أخـرى وهمـا موضـوعان يـندرجان ضـمن الرسـائل الأخوية، وقد شاعا في عصر الطوائـف والمـرابطين شـيوعاً كبيراً، وصور العلاقات الاجتماعية في جانب من جوانبها السلبية كمـا يرى الدكتور حازم عبد الله خضر[2]، ولقد تجاوزت النصوص في موضوع الهجاء ـ عنده ـ خمسين نصاً، فضلاً عما جاء في العتاب والاعتذار.

ومن الرسائل النثرية التي ذاعت رسالة ابن زيدون الهزلية، وحظيت باهتمام الباحثين والدارسـين في هـذا الـباب، وقـد تـضمنت عـبارات عديـدة ومعانـي كـثيرة، في الـسخرية والاستهزاء، بناها على قواعد وفرضيات مستمدة من علوم مختلفة[3].

لقـد وصـلت رسـائل أخـرى- لأبي عبد الله بن شرف (ت460هـ)، ولأبي الحسن الحـصري القيرواني (ت488هـ)، وأبي المغيرة بن حزم (ت438هـ)، وأبي مروان ابن حيان الأندلـسي (ت456هــ)، وأبـي مـروان بـن أبـي الخصال، إلا أن رسالة شاعرنا تختلف عن الرسائل المتقدمة آنفاً، من حيث بواعث التأليف من ناحية، والأسلوب من ناحية أخرى.

فأما باعثه على التأليف، فالخلاف الذي نشأ بين الشاعر والفقيه أبي الحسن البرجي، بسبب نقده لبيت من أبيات قصيدته البائية، وقد فصلنا فيه القول آنفاً.

---

(1) الديوان ورقة 38/أ.

(2) النثر الأندلسي، 176.

(3) نفسه، 185.

وأما أسلوبها، فهي تسلك سبيل النقد اللغوي، كما ذهب إليه النقاد اللغويون إذ جوهر الرسالة قائم على الخلاف الذي قام بين الجزار والبرجي في جواز تشبيه المذكر بالمؤنث أو عدم جوازه.

وفي دراسة علمية متخصصة عن النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين[1]، حدد الدكتور حازم عبد الله خضر، أبرز الخصائص التي تميز بها النثر من حيث الصياغة والأسلوب، وهي عدم الاستهلال بالحمد والصلاة، واحتواؤها على جُمل الدعاء والاعتراض، والتنويع بين الشعر والنثر، والاقتباس من القرآن والحديث، وميلها إلى السخرية والفكاهة، في معانيها وجنوحها إلى الإطناب، والمناظرة والحوار، وهي سمات يستطيع الدارس أن يلمحها في رسالة الجزار واضحة جلية، ولكن على قدر متفاوت.

موضوعات شعره:

لقد عالج يحيى الجزار أكثر موضوعات الشعر العربي إن لم يكن جميعها يلوح لنا ذلك من خلال ما وصل إلينا من أشعاره، ولكن حظ تلك الموضوعات جاء بقدر متفاوت، وسنتوقف عند هذه الموضوعات، وفق قدرها وحجمها من الديوان على النحو الآتي:

1- الهجاء والعتاب:

لقد رأينا خلال حديثنا عن كتاب (بادرة العصر) كيف كان للموضوع حظه من نثر الأندلسيين، أما في الشعر، فالأمر على النقيض من ذلك إذ لم يأبه به أعلام الشعر في عصري الطوائف والمرابطين، أمثال ابن دراج القسطلي (ت 421هـ)، وابن شهيد (ت 426هـ)، وابن زيدون (ت 463هـ) وابن وهبون المرسي (ت 484هـ)، وابن عبدون (ت 520هـ)، وابن حمديس (ت 527هـ)، وابن خفاجة (ت 533هـ).

وإنما التقت نزعة الجزار الهجائية، بشاعرين من عصر الطوائف هما: خلف بن فرج الألبيري المعروف بالسميسر (ت 484هـ)، وابن صارة الشنتريني (ت 517هـ)، وقد وصف ابن بسام أشعاره فقال: "ورأيت له عدة مقطوعات في الهجاء، تُربي على حصى الدهناء"[2].

---

(1) النثر الأندلسي، الباب الثالث، الفصل الأول، ص 359 وما بعده.
(2) الذخيرة، 2/ 2/ 835.

كـذلك اتـسق مـنهجه مع شاعرين من شعراء عصر المرابطين هما: أبو بكر محمد بن أحمـد الأنـصاري المعـروف بالأبـيض، المتوفـى بعـد سـنة 225هــ، وأبو بكر يحيى بن سهل المعروف باليكيّ (ت 560هـ) وأشعارهما مبثوثة معروفة في مصادر الأدب الأندلسي[1].

ولعـل الـسبب في هـذا المنـزع عـند الـشاعر، هو الخصومة التي نشأت بينه وبين أبي الحـسن البرجي ولذلك اقتصرت أشعاره في الهجاء عليه، ولم تتجاوزه إلى غيره، كما تقدم بنا حـين وقفنا عند رسالته: (بادرة العصر ..)، وهو في ذلك يختلف عن شعراء الهجاء في عصره ومصره، الذين تجاوزوا الأفراد والأشخاص إلى الجماعات، العامة والملوك والسوقة والسادة.

هـذا فـضلاً عـن العـوامل الذووية، وصفاته الشخصية، حيث كانت فيه حدة مزاج ووعـورة خلق إلى جانب حالة الفقر التي كان عليها الشاعر، وتمرد الأيام عليه، وانفلاتها من يديـه، كـل هـذه العوامل جعلته ينساق في هذا المساق، ويذهب هذا المذهب، حتى اجتمع له حوالـي نصف قصائد الديوان في هذا الموضوع فجاءت في إحدى وثلاثين مقطوعة وقصيدة، وعدد كثير من قصائده تقدم آنفاً ضمن كتابه (بادرة العصر ..) وفي مقدمة قصائد بائيته[2]:

تريك مضاء المرهفات المضارب وتكشف أسرار الأنام التجارب

وهي في تسعة وثمانين بيتاً، تقدمت كذلك، حيث تبيَّنَّا منهجه في الهجاء ونقض الحجج، وهـي ليست الوحيدة في كثرة أبياتها وطول نفسها، إذ يحتفظ الديوان بثلاث أخريات، همزية[3]، هـي أطـول قـصائده في هـذا الموضوع وفي الديوان قاطبة جاءت في سبعة وتسعين بيتاً، على أن جامـع الديـوان أسـقط أكثـر أبـياتها كما يعلق بعد إيراده القصيدة، والقصيدتان الأخريان، على روي القـاف والهمـزة[4]، كل منهما في اثنين وعشرين بيتاً، ويمكننا أن نضيف إلى القصائد الأربع الـسابقة، ثلاثـاً أخرى، ميمية في ثلاثة عشر بيتاً، ولاميتين واحدة في أحد عشر بيتاً، والأخرى في

---

(1) ينظر في ترجمتيها: المغرب، 2/ 127، 2/ 266.

(2) الديوان رقم 2.

(3) الديوان رقم 34.

(4) الديوان رقم 29/ 32.

ستة أبيات[1]. وأما بقية أشعاره فتأتي في أربع وعشرين مقطوعة، تتراوح أبياتها بين بيتين إلى خمسة أبيات.

والتهمة التي غالباً ما يوجهها لصاحبه، هي تخلفه ونكوصه، وفدمه وغباؤه، إلى حد يدعو إلى الغرابة والعجب، حتى أنه ينسب إليه المتناقضات، ويرى أن مرضه العضال الجنون الذي لا شفاء منه، ويصف له الدواء المصطنع، إمعاناً في التبكيت وإيغالاً في السخرية، وهذا الدواء هو تركيب خاص أُعد من صيدلية الجزار، يصفه كما يصف طريقة استعماله من قصيدته التي مطلعها[2]:

فخذ أولاً بسفايج العقل خالصاً ... من النوك واجرد زغبه وتأنق

ويختمها بقوله:

وإياك لا تسأم وخذ بوصيتي ... فإنك إن تأخذ بها لا توفق
فهذا الذي يشفي جنونك عَنوةً ... على أنه صعبٌ معاناة أحمق

وواضح أن الشاعر يعمد في قصائده إلى رسم الصور المضحكة الساخرة، وفي ذلك جاءت مقطعات شعرية كثيرة منها[3]:

نساء ولكن شان أوجهها اللحى ... فلا منة فيكم ولا متعة ترجى
فأنتم خشاش الأرض في كل بلدة ... فليس لمدح تصلحون ولا هجا

وقوله[4]:

لا تطلبن من الفراء معرفة ... إن الدماغ من الفراء مقلوب

---

(1) تنظر قصائده: (21، 33، 24).
(2) ق 29.
(3) ق 16 وتنظر كذلك ق 17.
(4) ق 4.

إن جئت تسأله في حاجة عرضت ... ظن الغبي بأن الجص مطلوب

ومن هذا الوادي قوله[1]:

تريد لتطفئ أنوارنا ... وما يدفع الحق بالباطل
كأكمه يسخر من مبصرٍ ... وحافٍ يشير إلى ناعل

وقوله[2]:

وإنكم في نشركم لعيوبنا ... وطيكم ما أنتم بسبيله
كأعمى اغتدى مِمنّ به دلّ ساخراً ... فاعجبْ بأعمى ساخر بدليله

ومن الأساليب التي اعتمدها في الهجاء، التلاعب بالألفاظ والحروف، وتغيير الأمثال وتحريفها بقصد السخرية فمن النوع الأول قوله[3]:

سلام مبدل الميم ... على فوديك بالحاء

يريد "السلاح" كأنه يرجو له الموت، ويقول كذلك[4]:

وإنما قيل: "فراء" لصانعكم ... على المجاز وكان الأصل "فرار"

وأما النوع الثاني فمنه قوله[5]:

قالوا على جهة الاغباء: أغرب من ... عنقاء" شكلاً وهذا غير اغباء
فقلت: لا تضربوا الأمثال بعد بها ... فإن أغرب منها عقل فراء

(1) ق 18.
(2) ق 20.
(3) ق 10.
(4) ق 25.
(5) ق 5.

وتنزع بعض مقطعات الشاعر الهجائية، إلى الفخر بالذات والعجب بالآل والنسب العتيد، وهذه النزعة تمثل الحد الثاني للسيف الذي يستخدمه الشاعر، فمن ذلك قوله[1]:

فإن قليلاً معشرٌ لستَ فيهم وإن كثيراً من أرى فيهم وحدي
وليس بمنكورٍ على الله قدرةً تريك جميعَ الفضلَ في رجل فردِ

ويمضي على هذا المنوال في مقطعات أخرى يضيق المقام بإيرادها.

وتمنحنا قصائده في هذا الباب قيماً ومدلولات اجتماعية جمة، تسلط الضوء على نحو ما سنقف عنده حين الحديث عن شعره الاجتماعي.

2- المديح:

يأتي هذا الموضوع في ديوان الجزار، خافت الضوء، ضعيفاً، خلافاً لما نجده لدى شعراء عصره، من تألق والمعية، إذ كان المديح لديهم ذا منزلة سامية، ومكانة رفيعة، ولا نجد سبباً حقيقياً لانصراف الشاعر عن هذا الموضوع، أكثر من أن الشاعر، أعرب في أكثر من موضع عن تذمره من الحياة، وعدم اعتماده على المديح، وسيلة للتكسب الشعري.

وكل الذي احتجنه الديوان هو ثلاث قصائد فقط، أول هذه القصائد التي تتصدر الديوان همزيته التي ذكر جامع الديوان، أنها مما كتب بها الشاعر إلى الخليفة زهير العامري بمناسبة زواجه، والقصيدة تأخذ طابع قصائد التهنئة والمناسبات، وهي في واحد وستين بيتاً ومطلعها[2]:

اليوم حُلّي عاطل العلياء اليوم جرَّ الدَّهر ذيلَ بَهاء

توحي لنا القصيدة بأن ذلك الزواج كان مناسبة عامة، أظهر الناس فيه معالم الفرح والسرور، بزواج ملكهم، حيث أقيمت الاحتفالات ودعوات الولائم وأنفق فيها مال غزير،

---

(1) ق 13.

(2) ق 1.

وحضرها خلق كثير[1]:

لما رفَعتَ مؤججاً نار القرى	فيه لدانٍ وافدٍ ولناء
لبّاك منثالين في عدد الدبى	زمرٌ يضيق بهن كل فضاء
إن يكثروا عدداً فقد أوسعتُهم	صدراً تضيق له فلا البيداء
فرقت شملَ المالِ مغتبطاً بما	جُمعت من مجد ومن علياء

والراجح أن القصيدة، مما أرسل به الشاعر إلى الممدوح- زهير العامري- وأنه لم يرحل إلى المرية، كما أنه لم يعش في كنف الممدوح، وإلا لجاد ديوانه بقصائد أخرى فيه، فقد خلت المصادر من أية إشارة إلى رحليه إلى المرية، بل اقترنت به مقيماً في سرقسطة، إلا أن آخر القصيدة يوحي برحيله إلى الممدوح، يقول جامع الديوان: "فلما كان بعد إتمام إنشاده هذه القصيدة .."[2]، ولفظة "إنشاده" تحمل دلالة إمكانية أن يكون الإنشاد أمام الممدوح.

وأبيات القصيدة الأخيرة، تتضمن إشارة واضحة إلى أن الخليفة وصل الشاعر بالمال حتى لهج لسانه بالشكر والثناء[3]:

أنت الذي أنعشتني بمكارم	جلّت فواضلها عن الإحصاء
وكسوتني حلل المَبرة عندما	كشفتني الدنيا فكنتَ غِطائي

لقد أظهر الشاعر تفاؤله، وسروره، بتلك المناسبة، ويبدو أن زوجة الممدوح، كانت ذات محتد كريم، ونسب عريق، ونجر رفيع، ولذلك رأى الشاعر في زواجهما، تناسباً وتآلفاً، حتى جعلهما بدراً وشمساً مرة، وفتخاء وحمامة أخرى، وأن امتزاجهما الروحي، يشبه امتزاج الماء بالصهباء.

وغالباً ما ينطوي زواج الملوك على غرض دبلوماسي، وهو نمط شائع بين ملوك الأندلس، لا سيما في عصر الطوائف، إذ تكون المصاهرة وجهاً من أوجه الوفاق بعد

---

(1) ق 1/ 16، 17، 20، 23.

(2) ديوانه ورقة 5/ ب.

(3) ق 1/ 58 ـ 61.

الـصراع، ومن أمثلته، تزويج أبي بكر بن عبد العزيز، حاكم بلنسية، ابنته، لأحمد المستعين بن المؤتمن حاكم الثغر الأعلى (سرقسطة) وكان زواجهما مضرب الأمثال في البذخ والثراء[1].

وأما إشارة الجزار إلى مكانة العروس ونسبها فيأتي في قوله:

لله عُرسـاً، يـا خلـيفةُ إنهـا ... لمـسيرةٌ بمـآتم الأعـداء

فأمـر بمـا تهـوى، تطعـك فإنـه ... كـاد العـروس يعـد في الأمـراء

ملـك الملـوك وسـيد الـرؤسـاء ... واشكر صنيع المستعين المرتضى

وتبقى الإشارة غامضة مبهمة، إذ لا نعرف في ملوك الأندلس- من كان يحمل هذين اللقبين كليهما!

فأمـا اللقـب الأول (المـستعين)، فقد أطلق على اثنين من ملوك سرقسطة، أكبر هو أبو أيـوب سـليمان بن هود، حكم سرقسطة خلال السنوات (431 - 438هـ)[2] وأصغر هو: أبو جعفر أحمد بن يوسف، وقد تولى الحكم بين عامي (478 - 503هـ)[3].

ولا ينـسجم أن يكـون "الأصـغر" مقـصوداً، لأن زهـيراً الـصقلبي، تـولى الحكـم سنة (419هـ) وقتل سنة (429هـ) أي توفي قبل تولي المستعين بحوالي خمسين عاماً، ومن المحتمل أن يكـون الأكـبر سـليمان بـن هـود هو المقصود على افتراض أن الزواج حاصل قبيل توليه السلطة سنة (431هـ)، وقبل وفاة زهير بسنوات قلائل.

وأمـا اللقـب الثانـي: "المرتـضى" فقد اقترن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر، آخـر ملـوك الأمـويين بالأنـدلس، الـذي بويع بالخلافة سنة (407هـ)، ودخل في معركة مع جـيوش البربـر في غـرناطة، بقـيادة زاوي بـن زيـري الـصنهاجي، وقتل فيها، وذلك في سنة (409هـ).

---

(1) دول الطوائف، 216.

(2) البيان المغرب، 3/ 222.

(3) دول الطوائف، جدول حكام الأندلس، 437.

ومن المستبعد أن يكون هو المقصود، اللهم إلا إذا افترضنا أن الزواج حصل من ابنته بعد وفاته، والإشارة إليه، في هذه الحالة، تكون غير ذات جدوى أو أهمية[1]، لكن من الواضح أن منزلة المُنكح كانت كبيرة، وأن زواج زهير بها كان ضرباً من التكريم حيث يقول[2]:

أعلاك قدراً واصطفاك مكارماً حتى كأنك واحد الأبناء

ويتوقف الجزار، في ثمانية أبيات عند وصف قصر زهير، الذي يضاهي قصر الجعفري، ويعطينا صورة ماثلة للعيان عن بذخ القصر ورفهه، وتعدد ألوان فرشه، حتى تناهي حسنه إلى حد التوهم في أن يكون قصراً من قصور اليمن[3]:

وكفاك تشريفاً وفخراً أن ترى بالجعفريّ مؤهلاً لبناء

قصرٌ عدا فيه السرور معرساً يغشى العيون بساطع الآلاء

وثرى نمارق صورةٍ مصفوفةٍ موشية الأقطار والأرجاء

من أبيضٍ في أحمرٍ قد أشبَهَا صَلف الغواة وخجلةَ العذراء

لولا تناهي حُسنه لم تختلف أنّا حللنا منه في صنعاء

ولا تعدو القصيدة، قصائد الشعر العربي، في تداولها لمعاني المديح، حيث تذكر النسب العتيد، والكرم والحياء وشجاعة الممدوح، وبأسه، ودهاءه وحسن سياسته لبلاده، وقيادته الحكيمة، وتترجح الخصال المعنوية التي وصفها الشاعر على الحسية، فهو بهجة الدنيا، وزهرة أهلها، وأفعاله كالغرة في جبين الأدهم، وهو ذو بردين، هيبة وعلاء:

---

(1) كذلك من المستبعد أن يكون المقصود، الأمير عبد الله المرتضى (468 ـ 486هـ) الذي استقل بحكم الجزائر الشرقية بعد انقراض الدولة المجاهدية، إذ من البين أنه تولى بعد وفاة زهير بنحو أربعين عاماً.

(2) ق 1/ 34.

(3) ق 1/ 35، 36، 38، 39، 42.

زهـرت بـوجه زُهيرُ الدنيا كما		راقــت بحلــيٍ لــبَّة الحــسناء
ئــندى أسّــرةُ وجهــه، ويمينــه		في حالــة الــسرّاء والــضرّاء
يـا بهجـة الدّنـيا وزهـرةِ أهلها		وســواد مقلـةِ عيـنها الحـوراء

وأمـا القـصيدتان الأخـريان، فقـد ذكـرهما جامع الديوان متواليتين في آخره، وختم بهمـا ما وصل من الديوان: في مدح الفقيه المشاور أبي الوليد، ومعلوماتنا عنه شحيحة، فربما كـان "سـليمان بن عبد الله بن محمد بن حفصيل الأسدي، من آل حفص بن سليمان القاري، صاحب عاصم الكوفي، ولي قضاء بلده بعد تغلب الروم عليه، وكان فقيهاً أديباً شاعراً"[1].

جاءت القصيدة في ثمانية وثلاثين بيتاً من بحر الكامل، مردفة بالياء والواو ومطلعها:

يـسعى الحـريص ورزقُـه مَقسومُ		والِحرص مَرتعه الخَصيب وخيم

وتـستغرق مقدمـة القـصيدة عشرة أبيات، يدور الحديث فيها- خلافاً لما جرى عليه الـشعراء- عن مقادير الله في الرزق، وقضائه في نعمه، وأن الحرص والحزم ليس كل شيء في هـذا المجـال، وما على المسلم إلا الإذعان والتسليم لله سبحانه، وهو مفهوم إسلامي عقدي، يقره القرآن الكريم والحديث الشريف.

وينـتقل بعـدها الشاعر إلى نفسه، فنلقاه ساخطاً برماً، بما وصل به الحال، حتى أنه لا يقـيم أوده لكـنه يواسـي نفـسه، ويطـبب جـراحه، لأن شأن الدنيا أن تتقلب بأهلها، فيتأخر الأحرار تارة ويتقدمون أخرى[2]:

مــا بــالُ دنــياي الدّنــية لم تُقِــمْ		أودى أكــــلُ مفـــوّهٌ محـــروم؟
لا تجزعـي يـا نفس إن خطبٌ غدا		فالحــــر يعثـــر تـــارة ويقـــوم
فكــذا الــزمان بأهلــه مــتقلبٌ		لا الـبؤس فـيه ولا النعـيم يـدوم

---

(1) الذيل والتكملة، 4/ 71، رقم 172.

(2) ق 51/ 6، 9، 11.

ويجعـل الجـزار هذا الحديث الشجي، عن تقلب الدنيا بالناس، وتأخرها به مدخلاً لبث همومه عند الممدوح، الذي يبدو سيداً كريماً من سادة قومه، يقصد ويرجى للملمات[1]:

إن الفقـيه أبـا الولـيدْ المتقـى ... وزرٌ كفـيلٌ بالمـراد زعـيم

يـا أيهـا المحـروم مأمـول المنـى ... أجهلـت أنَّ عطـاءه محـتوم

والقـصيدة توضـح لـنا كـثيراً من خلال الممدوح وخصاله، في الوقت الذي لا نقف على تفصيلات عنه في كتب التراجم، فهو من الخلق بمكان بحيث أن زيارته والسلام عليه أمرٌ لا غنـى للمـرء عـنه، وأبـرز صـفاته أنـه وقـور ومتواضع، صاحب ذهن وقاد، وهو كالدهر حلاوة ومرارة، ليس كريماً فحسب بل هو من قوم يؤدون الزكاة، وهو ذو فضل في قوم ذوي فـضل، يتـسم بالفـصاحة في القول نثراً وشعراً، وهو في ذلك يضاهي شأن يعرب وتميم، يحل بفقهه المعضلات والمشكلات[2]:

لا تعــدُ لقــياه وزره مــسلّماً ... فلقــاؤه يكفــيكَ والتّــسليم

وأنـخْ بـباب رحابـه بُدْنَ الرجا ... ء ولا تخـم فالجـود فـيه خـيم

عقِـمَ الزّمان عن أن يجيء بمثله ... إن الــزمان بمــثله لعقــيم

وثانـية القـصديتين: في مـدح ذي الوزارتين أبي الإصبع بن الإمام (الذي لم نوفق في الوقـوف على ترجمته فيما تيسر بين أيدينا من كتب التراجم) وهي أطول من سابقتها، جاءت (مبتورة) في خمسين بيتاً من بحر الوافر بروي الميم المردفة بالألف ومطلعها[3]:

ألــمّ خـيالُ مـيّة عـن لمـام ... بـنارِ منـى فحـيّا بالـسلام

---

(1) ق 51/ 12، 14.
(2) ق 51/ 15، 16، 32.
(3) 52/ 1.

يبدأ قصيدته على جاري عادة الشعراء، بالغزل بطيف الخيال، مع ذكر الأماكن، منى وذي طلوع، ولوى أريك، ويمضي في وصف زيارة الطيف بعد قطعه الصحارى، في غفلة من أعين الرقباء، والسماء نقية، يهزم جيوش الظلام فيها، بدرٌ تمام، ونجوم مشرقة، ويمضي في وصف الأنواء الجوية إلى الفرقدين، وسهيل والشعرى، وبنات نعش، والسهى والجوزاء، ويجعل البيت الرابع والعشرين حسن التخلص فيقول[1]:

كأن ذرور الشمس حسناً ... وإشراقاً محيا ابن الإمام

ثم يذكر ممدوحه مقروناً بكل الصفات الجيدة، فهو ذو همة قعساء، وخلال سنية، فصح بنفسه، ودهره يومان، جود وبأس، حافظ للعهد، ولذلك اختاره المستعين لوزارته وقد ورث المنازل العلية عن آبائه الكرام، الذين عرفوا بالمجد العتيد شيباً وشباناً[2]:

ومن تكن الوزارة فيه ضَلَّتْ ... هداه سبيلها أهدى إمام
رآه المستعين لها فوافى ... به منها على أعلى السَّنام
وملّكه أزمتها وألقى ... إليه بالمقادر والخطام

ويذكر الجزار أياديه البيض عليه وعلى أمثاله، حتى إنه استعبدهم بنعمائه، وبذل وسعه في حماية قواعد جزيرة الأندلس، بعد أن قلَّ الحماة وشحوا[3]:

وكم لك من يَدٍ بيضاءَ فينا ... بها طوّقتنا طوقَ الحمام
أفضت على الجميع بها سَماء ... فأضحوا رقَّ أنعمك العِظام
حميتَ حِمى الجَزيرة إذ أبيحت ... قواعِدها وقلّ بها الحامي

وابن الإمام في ذلك، يقيم عمود الدين، إذ يوشك على الانهدام، وإن أدى به ذلك خوض البحار ومقاساة المتاعب وشظف العيش[4].

وأبيات القصيدة الأخيرة، لا توحي بانتهاء مراد الشاعر، بل من المرجح أن تتمتها سقطت من الديوان[5].

---

(1) I/ 24.
(2) 51/ 31 ـ 33.
(3) ق 52/ 45 ـ 47.
(4) ق 51/ 49 ـ 50.
(5) ينظر ما ذكرناه بصدد الجزء الساقط من الديوان في ـ قيمة المخطوطة.

3- الشعر الاجتماعي:

أولى الجزار المجتمع الأندلسي، جانباً واضحاً من أشعاره، وذلك يُعزى إلى صلته القوية بمجتمعه، إذ لم يكن بعيداً عنه ولا بد أن ننوه بأن ما يعزز صلة الشاعر بمجتمعه نظمه في الموشحات التي هي- اتجاه شعبي- كما اتفقت عليه الدراسات، وكانت مهنة الجزارة التي بدأ حياته بها، ثم تركها وعاد إليها ثانية، تقوي صلته بمجتمعه وأشعار هذا اللون تنشطر في جذمين:

أحدهما: ما جاء في وصف المجتمع الأندلسي في عصره، والفخر بالعروبة والإسلام ومفاهيمه في ظروف سياسية مضطربة، أوشكت تلك القيم أن تنفلت منه.

فأما أشعار المحور الأول، فتبدو في قصائده التي عرض فيها لمهنة خصمه الفراء، حيث وصفها على لسان صاحبها بقوله[1]:

أنا ابن الذي إن قال صُدِّق قوله	ولم يك بين الناس فيه خلاف
بأنمله ماضِ الطّعان مثقف	خُطاه إلى الطّعن الرّكين خِفاف
إذا ازداد طعناً لاءم الدّهر سمته	ويطعنُ قصداً والطعان صِداف

ويعود في قصيدة أخرى يشير إلى إبرة الفراء، وأنها ليست ذات أثر فيقول[2]:

هل رُمحك المهموزُ إلا إبرةٌ	أمن الطعين بها من الإدماء؟
لو أنها في عين مرمود لما	منعت ملاحِظه من الإغضاء
أبإبرة مثلَ الهبَاة كسيرةٍ	تستطيع قلع الهضبة الصمّاء؟

ولا جرم أن يباهي الجزار بسكينه إزاء إبرة الفراء[3]:

تروي المدى من نجيعٍ قانئٍ أبداً	وليس يُدرَكُ فينا طالبٌ ثارا

---

(1) ق 14.

(2) ق 34/ 29 ـ 31.

(3) ق 25/ 4.

فهو لا يجد بأساً في مهنته، بعد أن عابه عليها الوزير الكاتب أبو الفضل ابن حسداي، إذ يَردُّ عليه قائلاً[1]:

تعيب عليٌ مألوف القصابة ... ومن لم يدر قدر الشيء عابه
ولو أحكمت منها بعض فنٍ ... لما استبدلت منها بالحجابه

ويتفنن شاعرنا في عرض محاسن مهنته بأسلوب ساخر، فيصف في قصيدته مهنته أجلَّ وصف، في معرض المباهاة، وكأنه يسطر ملحمة من ملاحم القتال والبأس، بأسلوب بارعٍ ولُغة رشيقة[2].

ويتجاوز الأمر لدى الجزار هذا، حيث يجعل جميع ذوي المهن عالة عليه، وتبع له، فيشير إلى أكثر مهن عصره من قصيدة في تسعة أبيات، يقول في بعضها[3]:

فمنهم الكراش والسلأخ ... إليهم السبار والطباخ
والصنَع المألوف والجلاد ... ودابغ الجلود والحداد
إليهم الرواسي والبلاجي ... ثم الفتى المدعو بالسراج
ومنهم الفران والزقاق ... يليهم الرقاق والمواق

وغيرهم من أصحاب المهن ...

وإذ تشتد خصومته مع الفراء، ويحتد في الكشف عن عوراته، وترصد معايبه، يتولى ذلك في قصيدة ميمية، فيحدثنا حديث العارف الخبير، وهو ليس ببعيد عن مهنة صاحبه، ويتهمه بالتدليس في ابتياع الفراء، وأنها ليست ذات جدوى في دفع غائلة البرد، أو شدة الحر، ورائحتها كريهة لا تطاق، ويفصّل القول في أساليب بيعها وشرائها، وتخرج إلى ضروب محرّمة، تقوم على أساس الاستغلال، يلجأ إليها الفرّاؤون[4]:

(1) 36/ 1 ـ 2.
(2) تنظر أبياته 3 ـ 12، 17، 18.
(3) ق 4.
(4) ق 21/ 1، 7، 8، 12، 13.

ألستم بتدليس الفراء عرفتم	وذلك ظلم ليس يعدله ظلم
تبيعونها من جاهلين بأمرها	مزوقةً محسومة مالها رسم
مزابنة تفضي إلى غاية الرِّبا	وذلك ثلمٌ بالديانةِ بل خَرَمُ

وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن المزابنة، التي هي بيع ما لا يعلم بمعلوم المقدار، ولا يلبث أن يبين حد البيع المباح بقوله[1]:

إن خير البيوع ما كان نقداً	ليس ما كان آجلاً بنسيه

ومن صور المجتمع التي وقف عندها السرقسطي، صورة شكوى الناس من العمال، واتهامهم بالظلم مع سوء أعمالهم، فمما وقع به عن المستعين بالله ابن هود قوله[2]:

نسبتم الظلم لعمالكم	ونمتم عن قبح أعمالكم
لا تنسبوا الجور إليهم فما	عمالكم إلا كأعمالكم

وهو إذ يرد تهم الظلم الموجهة للعمال، يخاطب أبا جعفر العامل، مستشفعاً لأبيه بعد أن اجتمع عليه خراج أرض اكتراها، ويبدو أن صاحب الشرطة كان قد أعانه، فارتكن إليه واستقوى به وقد تهكم من قله خبرة أبيه، وأشار إلى اكترائه الأرض وخسارته فيها[3]:

اكتراها ولم يكن مستخيراً	وقت شؤم بطالع الأدبار
جدبةٌ بعضها من الشؤم أضحى	في علوٍّ وبعضها في انحدار
لم يزل زارعاً بها حمل بغل	رافعاً منه نصف حِمل حمار

ولقد تقدم بنا كيف أن الشاعر ترك الشعر إلى الجزارة، وذلك فيما أجاب به أبا الفضل بن حسداي، ثم أنه أدركته حرفة الأدب، وجعلته يدع الشعر إلى الجزارة تارة، ويعود إليه أخرى، لكنه يبين ما أدركه من نصب ووصب، فمن ذلك قوله يخاطب صاحب الأحكام

---

(1) المستدرك 11/ 14.
(2) المستدرك 9/ 1 ـ 2.
(3) المستدرك 4.

بسرقسطة[1]:

أقـل بنـيّات الخـصوم تهدّنـي وإن عنَّ نظم الشعر طبقتُ مِفصله

ويصور الشاعر اضطرابه بين القصابة والشعر، أدق تصوير وكيف أنه أدركه السغب فيهما ولم يستقر به المقام على واحدة منهما، حتى أصبح كالغراب الذي أضاع المشيتين[2]:

كـم بالقـصابة لا أنفـك في سـغب وفي المـدائح عـنها للفتـى حِـول
حتـى إذا حكت أثواب المديح، إذا بجـود لا بـسها قـولٌ ولا عمـل
لمـا بـدا لـي أن الـشعر مـسغبة وحـظٌ ناظمـه الحـرمان والـبخلُ
أو كالغـراب رأى في جـوّه حجـلاً فقـال: قـد بزّنـي في مـشيه الحجل

ويعزو أفول نجم شعره إلى دهره، يتناول ذلك بصريح العبارة ويقول[3]:

أشـقى لجـدك أن تكـون أديـباً أو أن يـرى فـيك الـورى تهذيـباً
فـإن اسـتقمت فـإن دهـرك كلّـه عـوجٌ، وإن أخطـأت كـنت مصيباً

والـزاوية الأخـرى الـتي يطـل بهـا شـاعرنا علـى المجتمع الأندلسي، تبدو من خلال قـصيدته الـرائية الـتي رد بهـا علـى أبـي عامر أحمد بن غرسية، الذي كان من أبناء النصارى البـشكنس، ونـشأ في رعايـة مجاهد العامري، وقد ذاعت شهرة رسالته الشعرية التي فضل بها العجم على العرب.

ولم تكـن مـثل هـذه النـبرة، لتمـضي، دون تمحيص وتدقيق، فانبرى له أشهر كتاب الأنـدلس وردوا عليه، وعرفت في ذلك أربع رسائل، رسالة أبي يحيى بن مسعدة[4]، ورسالة

(1) المستدرك 6.
(2) ق 43/ 9، 11، 13، 21.
(3) المستدرك (1).
(4) نوادر المخطوطات 1/ 256 ـ 291.

أبـي جعفـر أحمـد بـن الـدودين البلنـسي[1]، الـذي ترجم له ابن بسام، والتقاه سنة 477هـ ورسـالة أبـي الطـيب بـن مـد الله الهـواري القيروانـي، المتوفـى سنة 493هـ[2] وهي أطول الرسـائل جميعاً، ورابعـة لابـن عـباس[3]، وقـد وردت الإشـارة إلى رسالة خامسة هي لأبي مـروان عـبد الملـك بـن أبـي عبد الله محمد بن أبي الخصال الأديب المشهور، كتبها في جمادى الآخرة سنة 528هـ، وكانت وفاته بعدها[4].

وكانـت رسـالة ابـن غرسـية مـوجهة إلى ابن الخراز، وفيها يعاتبه لتركه مدح مجاهد واقتـصاره علـى مـدائح ابـن صـمادح التجيبـي، ومن الغريب أن لا يرد ابن الخراز عليه، مـوافقاً أو مخالفـاً، وقـد وصـفها ابن بسام بقوله: "وهي رسالة ذميمة غَرَّب في تسطيرها، فلم يـسبق لكثـرة غلطه فيها وزللـه، إلى نظيرها، وذمّ فيها العرب، وفخر بقومه العجم، وأراد أن يعرب فأعجم .."[5].

وهـناك رأي آخـر يـزعم أن الرسـالة وجهـت إلى الـشاعر الأديـب أبي عبد الله بن الحداد[6].

ولأي مـنهما وجهـت، فـإن صـوت الـشعوبية في الأنـدلس لم يكـن قوياً، ولم تسفر الـشعوبية فـيها عـن وجههـا الـصريح، كمـا لم يكـن لها أنصار كثيرون على نحو ما كانت في المشرق، ولذلك لم يتجاوز صداها مدى بعيداً.

وعلـى كثـرة الـذين ردوا علـى أبـي عامـر بـن غرسـية، فإن جميعهم اختار أسلوب الرسـالة في الرد، وتفرد شاعرنا الجزار السرقسطي في الرد عليه شعراً، في قصيدة، وصل منها عشرة أبيات مطلعها[7]:

---

(1) نوادر المخطوطات 1/ 302 ـ 308، الأخيرة 3/ 715 ـ 722.

(2) سمـى رسـالته "حديقـة الـبلاغة ودوحة البراعة، المورقة أفنانها، بذكر المآثر العربية، ونشر المفاخر الإسلامية والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم الأعجمية" نوادر المخطوطات 1/ 310 ـ 330، الذخيرة 3/ 723 ـ 746.

(3) الذخيرة 3/ 746 ـ 755.

(4) التكملة 2/ 609 رقم 1700.

(5) الذخيرة 3/ 704، وفي المغرب 2/ 407، "ابن الجزار".

(6) نوادر المخطوطات 1/ 246.

(7) ق 44.

يـا مفتـياً بانـتقاص الشرع أعصاراً　　　أن كـنت ريحـاً فقد لاقيت إعصاراً

ولا يخـوض في تفـصيلات الحجـج الـتي يزعم فيها ابن غرسية فضل الأعاجم على العـرب، علـى نحـو مـا جنحت له رسائل كتاب عصره الذين أغلظوا القول له وردوه بعنف وشـدة، بـل نجـد نـبرة الإبـاء والعـزة في أبياته، ويحرض الناس للنهوض في حماية الدين إزاء تبجح ابن غرسية:

كفاجـــرٍ مـــنهم في أرض دانـــيةٍ　　　قـد أظهـر الكفر فيها اليوم إظهارا

يــا للحنيفــي ممــا حــل مــا لكــم　　　لا تنكـرون خـلاف الـشرع إنكارا

هـذا ابـن غرسـيةٌ مـن ارذ لهـج　　　بكــل كفــر صــريح يـورد الـنارا

فحـذروا الـناس من رومي مذهبه　　　ولا يـرى أحـدٌ مـنكم لـه جـارا

إنـا نـرى الآن هـذا الـدِّين نخذلـه　　　ونحــن كـنا لـه مـن قـبل أنـصارا

ونـتوقع أن تكـون القصيدة مبتورة وأنها جزء من قصيدة طويلة، وذلك لأن الشاعر كـان حـياً حين ألف ابن غرسية رسالته، فضج كتاب عصره بالرد عليها ـ كما رأينا ـ ونقض أفكارهـا، والـذي ينسجم مع سورة الغضب، وحدة المزاج التي طبع عليها الشاعر، أن تجيش قـريحة الـشاعر بقـصيدة طـويلة، تتـناول تفصيلات رسالة ابن غرسية بالمناقشة، لا سيما وأن ديوان الشاعر ينبئ عن نفس شعري طويل.

ونعـود إلى المحـور الثاني الذي دارت عليه أشعار الجزار في الإطار الاجتماعي، وهو شعر الآداب والأخلاق الإسلامية، فقد مضت في هذا الاتجاه عدة قصائد منها قصيدته البائية التي كتب بها إلى بعض إخوانه يصبره على ما دهاه فيقول:

عــوائد هــذه الدنــيا ضــروب　　　يُحمِّـل عـبأها الفَطِـنُ اللبـيبُ

وهـي ثمانـية أبـيات، وفـيها يقـرر حقـيقة تقلـب الأيـام، وتغيرهـا بأهلـها، وعـدم اسـتقرارها علـى حال، ويتضخم لديه هذا الشعور إلى أن يبلغ نبرةً تصور شكواه من الزمان

وخيبة أمله فيه بحيث يصفه بالشحّ، ويبدو أنه عاش ظروفاً سيئة حتى انتهى به الأمر إلى أن يتمنى الموت على الحياة ما دامَ العيش يقتضي ذُلَّ صاحبه[1]:

أرومُ الجودَ من زمن شحيح ... وصعبُ الروم توقيف الجموح
زمانٌ أقصر الأيام فيه ... كأطول ما حكوا عن عمر نُوحْ
يشيب لهوله الولدان ذعراً ... ويحسدُ حَيُّه من في الضريح
فزر يا موت أو يا نفس فيضي ... وإلا تعتدي للموت روحي

ولا يلبث أن يسلم أمره إلى قضاء الله سبحانه في عقيدة مؤمنة بالله، وطوية سليمة:

وما يأتي القضاء على قياس ... فييأس من صلاح أو صلوح

ويتجلى إيمانه بقضاء الله وقدره، أجل تصوير، في قصيدة رائية قالها في رجل رحل من سرقسطة فاراً منها حذاراً من العدو، وأظهر في فراره المسير إلى الحج، فلما أبصر البحر جزع وانصرف! وفيها يرى أن اجتهاد الإنسان في النجاة لا يؤخر الأجل أو يقدمه، وأنّ ثوب الخلود عارية، وما نحاذره أو نرجوه يحول بينه القضاء الجاري، والآمال القريبة لا تختلف عن البعيدة، فربما لم يدركها الإنسان، لأن الحكم النهائي لله سبحانه فالأولى أن يستسلم المرء إليه، يقول[2]:

يا من يفرّ من القضاء بنفسه ... هيهات من لمقيّدٍ بفرار
تبغي النجاة لها من الدنيا، وهل ... ينجو قنيصٌ من مخالب ضار؟
أتفرُّ مذعوراً، كأنك خالدٌ ... وكأن ثوب العمر، غير معارِ؟
من فرّ من قدَر، فليس فراره ... إلاّ إلى قدر عليه جاري

---

(1) ق 45.

(2) ق 50، وينظر ما جاء آخر القصيدة في مناسبتها.

وتسيطر هذه الروح المؤمنة على قصائد أخرى للجزار، منها قصيدته الميمية التي يمدح بها الفقيه أبا الوليد، التي يستهلها، بمعاني التسليم لله، وقضائه وقدره[1]:

سبق القضاء بكل ما هو كائن ... فمن النهى التفويض والتسليم

قد قَسّمَ الأرزاق بين عباده ... ربٌّ رؤوف بالعباد رحيمُ

وللقصيدة الرائية المتقدمة آنفاً، وجهان آخران، أحدهما: يسلط الضوء على طبيعة المعركة التي كانت محتدمة في القرن الخامس الهجري بين حكام الأندلس، وحكام اسبانية الشمالية، واتخذت أبعاداً منها، البعد العسكري، والبعد الفكري، فهي تصور نكبة المسلمين في الأندلس وضعف شوكتهم والصراع القائم بين الكفر والإيمان، بحيث دفع اضطراب الأمور والخطر المهدد أقواماً إلى الفرار والرحيل عن الأندلس، وصور ذلك ابن العسال (ت 487هـ)، أثر سقوط طليطلة، في أبياته المشهورة التي منها[2]:

حثوا رواحلكم يا أهل أندلسٍ ... فما المقام بها إلا من الغلط

وأما الوجه الآخر: فيتمثل في صورة البحر المرعبة، التي ألقت في روع شعراء الأندلس، الخوف والذعر على نحو ما صوروه في أشعار كثيرة لهم[3]، مما دعا ذلك الشاعر إلى العودة عن الرحيل، وإيثار الموت في بلده مجاهداً عنه، فضلاً عما للجهاد من مكانة عند الله:

والبحر أصعبُ ميتةً لغريقه ... من ميتة بعواملٍ وشفار

وأحق من نالَ الشهادة مقصد ... بالمشرفية والقَنا الخطّار

أو ليس أفضل أن أموت مجاهداً ... من أن أموت لُقىً غريق بحارِ

ومن مقطعاته في شعر الآداب الإسلامية ما قاله في اللسان[4]:

---

(1) ق 51.

(2) نفح الطيب 4/ 352، وينظر بحث: ملامح من النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي ص 528.

(3) ينظر بحث: البحر في شعر الأندلس والمغرب، ص 15؛ حوليات جامعة الكويت ـ الحولية السابعة 1986.

(4) المستدرك (5).

إيـاكَ مـن زلـل اللـسان فإنمـا عقـل الفتـى في لفظـه المسموع
فالمـــرءُ يختـــبر الإنـــاء بنقـــره لـيرى الصحيح به من المصدوع

ورسـالتها (بـادرة العـصر) تحفـل بهذا اللون من الشعر فمن ذلك قوله، في ضرورة اقتران الفهم والذكاء بطلب العلم[1]:

ودارس كـتب العلـم لا فهَم عنده كـساعٍ بـلا جِـدٍ لإدراك مـأرب
يـنال مـن العلـم الذكـي نـصيبه وإن هـو لم يعكـف علـيه ويـدأب
ومـا يـنفع المـرء الغـبيَّ دراسـةً أينـتفع الأعمـى بكـل مجـرّب؟

وفي الرسالة ذاتها يقول في أدب التعامل مع العدو، وعدم الغفلة عنه أو مداراته[2]:

وإنّ العـــدو لكالحـــيَّة الـــتي كمـــن الـــسمّ في ذاتهـــا
إذا استمكنت لدغت واعتدتْ ولم تنـــتفع بمـــداراتها

4- موضوعات أخرى:

أشـرنا فيما تقدم إلى أبرز موضوعات الجزار الشعرية، ولكي لا نحيف على الشاعر، ونخـل في التعريف بأشعاره، نقف وقفة قصيرة، عند موضوعاته الأخرى، التي كان مقلاً فيها، فمـن ذلـك مـا جاء في باب الخمرة والمجون، وهما يأتيان دائماً مقرونين بوصف الطبيعة، وفي ديـوانه ثـلاث قـصائد متجاورة في هـذا الاتجاه، وفي المستدرك رابعة، وأولى قصائده بائية في سبعة أبيات[3]:

وكـم ليلةٍ أحلى من الأمن بتُّها نديمـيَّ بـدر والـرحيق رضـاب
سـريت إلـيها والـسماء كأنهـا غديـرٌ لهـا زهـر النجوم حباب

---

(1) ق 7.

(2) ق 8، وتنظر ق 9، وق 48 وق 49.

(3) ق 40.

ويبلغ الوصف عنده مبلغ كبار الشعراء، فيصور لنا الليل ودخوله في الصباح وتلابسه:

وشهب الدراري تخفق الجوّ والدجى ... كما اشتجرتْ يوم الهياج حراب
كأن طلوع الشِّعريين باثرها ... رقيبٌ بإحدى مقلتيه مصاب
وسلّتْ يدُ الإصباح مرهف فجره ... فذلّت رقاب الليل وهي صعاب

وثانية القصائد طائية يستهلها بالشوق والحنين إلى مدينة "شيقر" والذكريات التي أودعها فيها، وهي أطول قصائده في موضوعها بلغت نحو أربعين بيتاً، ومن آخرها نفهم أنها رسالة في الجواب على أحد أصدقائه[1]:

عسى وطن أودى بالفتنا شحطا ... يقرّبنا زلفى وينظمنا سِمطا
ألا ليت شعري هل يُرى بعد ساعحاً ... بعهد تصابٍ كنت في عقده وسطى
وهل يسعفني فيك يوماً بأوبةً ... يُضيءُ بها أرجاءَ "شيقر" والشطا

وعن مغامراته وفتكاته يحدثنا فيقول:

وكم فتكةٍ للراحِ جازت بنا المدى ... بحيث وشيجُ الحب والأثل والأرَطى
ومقصبةٍ تهفو الرياح فتنثني ... فتحسبها تحت الرياح قناً خَطّا

وفي جمال الطبيعة، في وطنه الذي غادره، جدول الماء، والصَّبا، والبساتين يقول:

وجدول ماء كالمجرة أسبغت ... بحافاتها الأنواء من نسجها بسطا
صفا ماؤه حتى كأن انصبابه ... حسامٌ إذا يستل أو حيّة رقطا
كأن نثير النَّور تحت يد الصبا ... فصوص مها أو لؤلؤ أعوز السمطا

---

(1) ق 41.

بساتين بزّت حُسن جنة مأرب ... لذيذ حلاها ليس أثلاً ولا خمطا

ويعود ثانيةً ليشير إلى الخمرة ومعاقرتها في تلك الطبيعة الساحرة في حوالي عشرة أبيات، ولا ينسى ساقيتهم، ونصيبها في الحسن المتجلي في جمال خدّيها وساقيها، وشعرها، ويبدو أن السن تقد تقدمت به حيث يختم قصيدته بالحديث عن مرضه الذي حار فيه الأطباء، ولازمه عاماً، فأقعده عن الكتابة، فضلاً عن شعوره بكبر السن والشيخوخة، واقتران ذكر الخمرة بالمرض، يدلنا على أنه ربما كان مدمناً عليها، وإلا فكيف ساغ له أن يرفع شكواه إلى الله، ويرجو السلامة وهو مقيم على معصيته سبحانه:

توالى عليّ السقم عاماً فحطني ... على رغم أنفي عن جدى صحتي حطا

إلى الله أشكو ما دهاني فقد عدا ... وأسأل تعجيل بُرءٍ، فقد أبطا

وثالثة الأثافي في شعر الخمرة والمجون طائية كذلك، وهي أظهر في موضوعها وأجلى من سابقتيها تمثله في كبر سنه، وهي في سبعة أبيات فيقول[1]:

وعاطلةٍ حلّيتُ بالجد جيدها ... ونظمتُ من در الحباب لها سمطا

أدرت حمياها على الشرب والدجى ... بالجمه حال كزنجيةٍ شمطا

أقمت على اللذات فيها مباعداً ... ووفيت ريعان الشباب بها قِسطا

ويدركه السكر في كثرة معاقرتها، فيصور لنا ذلك بقوله:

أغني ولا أذنٌ تعي نغم الغنا ... وأُسقى فلا أسطيع قبضاً ولا بسطا

وأما قصيدته التي ألحقناها بالديوان فهي في أربعة عشر بيتاً، يائية موصولة بالهاء، قالها يستهدي فيها مشروباً، وكانت قصائده الخمرية الثلاثة على وزن الطويل، لكنه اختار وزناً خفيفاً راقصاً يحكي رحلته الماجنة، هو بحر الخفيف، استمع إليه[2]:

---

(1) ق 42.

(2) المستدرك 11.

هاتهـا كوثـرية عـسجدية | بـنت كـرم رحـيقة عطـرية
رب خمـارة سـريت إلـيها | والدجـى في ثـيابه الـزنجية
كـم عقـارٍ بذلـته بُعقـارٍ | وثـيابٍ صـبغتها خمـرية

ويختمها بقوله:

هـاك روضـاً مـن التأدب غضاً | بفـصولٍ غـريبة معـنوية
مـن شـكورٍ أهـدى إلـيك ثناءً | حـين لم يـستطع سـواه هديـة

ومـن موضوعاته التي كان مقلاً فيها، شعر المجاوبات، وهو موضوع كثر النظم فيه في عصر الشاعر عصر ملوك الطوائف، وله فيه وقفتان ثنتان، أولاهما مع الوزير أبي الفضل بن حسداي الإسرائيلي الكاتب الشاعر، فقد رُوي أن الجزار دخل قصر سرقسطة مع الجزارين، في بعض أحوالهم، فأبصره الوزير أبو الفضل بن حسداي فاعترضه بهذا البيت[1]:

تـركت الـشعر من قلة الإصابه | وعـدت إلى التحـرف بالقصابه

فأجابـه أبو بكر بقصيدته على الوزن والقافية، في واحد وستين بيتاً، مناقضاً ومدافعاً عن القصابة:

تعـيبُ علـيّ مألـوف القـصابة | ومـن لم يـدرِ قـدرَ الشيء عابه
ولـو أحكمـتَ مـنها بعض فن | لمـا اسـتبدلت مـنها بالحجابـه

وقـد تقـدمت بعـض أبياتها خلال حديثنا عن شعره الاجتماعي الذي صور حرفته، تـصويراً سـاخراً ويحدثنا- في جواب أبي الفضل بن حسداي- عن أسباب عزوفه عن الشعر إلى مهـنة القـصابة، إذ لم يعـد الـشعر عـنده، بـاب حـياة ورزق، بعد أن شحّ بنو عصره على أصحابه:

---

[1] ق 36.

أبـا الفـضلْ الوزير أجب ندائي ... ففـضلك ضـامنٌ عنك الإجابه
لعمـرك مـا تركت الشعر حتى ... رأيـت الـبخل قد أمضى شهابه

وبلغ الأمر بالشاعر، أكبر من ذلك، حيث شعر بأنه كان ثقيلاً في زيارته أبا الفضل:

وظـن زيارتـي لطـلاب نـيلٍ ... فنافرنـي وغلّـظ لـي حِجابـه
وذو الهمـم العلـيّة مـن تجافـى ... وجـنّب كـل مـن يبغي اجتنابه

وإزاء انفـلات الأمر من يديه، وعدم استطاعته التكسب بشعره تتشوه الصورة عنده فيمـسخ الـناس ذئابـاً مفترسـة، لا سـيما بخلاءهـم، ويوقـع بهم عن طريق مهنته، ويبدو أن الأبـيات العـشرة الـتي ختم بها قصيدته، وصارحه بما هو فيه من ضيق عيش وضنك حال لم تهـز مـنه كـريماً، ولم تـسعفه في حاجـته، ولذلك كتب إليه ثانية، يستنجزه، ويحثه، ويعنفه عن التأخر[1]:

أبـا الفـضلْ لا تـرتبْ بفـضلك إنـني ... حفـزتُكَ والمـضطرّ يُعـذَرَ في الحفـزِ
ولا بـد مـن هـزّ الكـريمُ لأنـني ... رأيت الحسام العضبَ أمضى لدى الهزّ
ولـو كـان يـستغنى الكـريم بطـبعه ... عـن الهـزِّ لاسـتغنى الجـواد عن الهمز

فمـاذا يكون جواب ابن حسداي، بعد ما تقدم من الجزار، لقد أبدى إعجابه بشعره، ووعـده بالعطـاء، وكنـى عـن ذلـك، بفروٍ من الحمد يكسو به، ينتف منه طوراً، ويجزه طوراً آخر:

لعمـري لقـد طبقتُ في الشعر مفصلاً ... أتـيت بـه عفـواً، وأقللـت في الحـزُّ
سـألطف في فـرو مـن الحمـد تكتسي ... بـه مقتـضى بالنـتف طـوراً وبالجـزُّ

فراجعه الجزار ثانية يذكره بوعده، ويستنجزه، ويذكر ضيق السبل به[2]:

---

(1) ق 37.
(2) ق 38.

وإنـي لـذو بـزٍّ مـن الحمـد طـرزه فمالـي أراك الـيوم تـزهد في بـزّي[1]

فـيؤخذ مـن قـوم بعطـف تـوددٍ ويـؤخذ مـن قـوم ان اعتاض بالزّز[2]

ولم يـبق مـن يعتاضُ غيرك فاقض لي عليك فقـد أخلقت وجهي بالجمز[3]

ومن أشعاره في باب المجاوبات، ما ورد من أنه وعد شاعراً بشيء ومطله، فكتب إليه الشاعر ثلاثة أبيات يعاتبه[4]:

فإذا وعدت وقلت في شيء نعمْ لا تخلفـن فعـن خلافـك تُسال

يا صفوتي من أهل ودّي كلهم مالـي أراك تقـول ما لا تفعل؟

فما كان من الجزار إلا أن أحسن التعليل، في جواب صاحبه فقال:

في سورة الشعراء عذري واضح وكفـى بمـا نـص الكتاب المنزل

لكـن أراك إلى الملامـة جانحـاً ولـربَّ عـذر واضـح لا يقـبل

تبغـي لـيفعل شـاعراً مـا قالـه والله قـال: يقـول مـا لا يفعـلُ

وتأتـي قـصيدته البائـية[5]، فـريدة في موضوع الرثاء، وهي ذات نفس طويل، وصل مـنها سـتة وثلاثون بيتاً يرثي بها الوزير أبا يونس بن أحمد، ويعزي ابنه أبا عمر، فيظهر عظم المصاب عليه، وجلله، ومطلعها:

ألمْ يـأن أن يغنـى العـزاء لبـيبُ وأن يتـسلى عـن أسـاه كئـيب

وهـي في مفهـومها العـام تـدور في اتجـاه الـندب والـبكاء، وإظهار التفجع والأسى لفقدانه:

---

(1) البز: نوع من الثياب، وبز الثانية بمعنى الغلبة وفي المثل: "من عزّ بزّ".
(2) الزز: الصفع.
(3) الجمز: ضرب من العدو، وجمز الرجل في الأرض: ذهب.
(4) ق 46.
(5) ق 35.

أجل إنها من فتكةِ الدهر حالةٌ تقضقض أضلاع لها وجنوبُ
فللدمع ما بين الجفون تدفق وللوجد ما بين الضلوع دبيب
هو البث في قلب الهدى منه حسرةٌ وفي صفحة العلياء منه ندوب
لئن شققت منه السحاب جيُوبها لقد شُققت منا عليه قلوب
وما هو إلا حادثٌ جل خطبه ففاض شجى منه وجاش وجيبُ

ويظهر عظم أسفه لفقده إياه، فقد خامر العقول الخبل، ولم يصدقوا برحيله، ينتقل إلى تأبينه، فيذكر خلاله ومحاسنه في ستة أبيات منها:

ليبك عليك العلم والحلم والحجى بأجفان شجو ما لهن غروب
فتى كان يقتاد الأبيُّ فينثني ويقتاده داعي الهدى فينيب
له سيفُ عزمٍ إن نضاحده مضى يفل حسام الخطب وهو رسوب
أديب أريب قُلّبُ القلب حازم فتىً المعيُّ بالظنون مصيب

ويختم الشاعر قصيدته بتعزية ابنه أبي عمر، فيقول:

أبا عمرْ إن تكتئب فلمثله وإن تحتسبه فالجزاء حسيب
ومثلك من يشجى فيرجع للتي هي الأخر فيما نابه ويثوب

ويأتي وصف الطبيعة، موضوعاً رابعاً في الموضوعات التي أقلَّ فيها الجزار، إذ لم يفرد الطبيعة بقصائد، بل جاء وصفه إياها مبثوثاً في موضوعاته الأخرى، وقد تقدمت لنا إشارة في قصيدته الميمية التي مدح فيها أبا الأصبع بن الإمام، ومنهجه في الوصف لا يخرج عن منهج شعراء الطبيعة في الأندلس، الذين أثقلوا شعرهم بالتشبيهات، ومن أشعاره فيها ما جاء مقترناً بالغزل يقول[1]:

---

(1) 52/ 7 ـ 8.

سـرت ونواظـرُ الـرقباء رمـدُ وعـين الدهـر ريـا بالمـنام
وقـد لبِست نجـوم الجـو بُـرداً أجـادت صِـبغهُ أيـدي الظـلام

ويسترسل في ذلك مستهلاً أربعة عشر بيتاً بأداة التشبيه "كأن"، وهو فيها يشبه الخضراء بالـروض تفـتح عـن بهـار في كمـام، والـبدر بأمير القوم، ونجومه بالجنود المبثوثين، فتقدمها الطلائـع، وهـي تكـشف أسـرار اللـيل، قـبل انـبلاج الـصبح، وهكـذا يمضي مع الفرقدين، وسـهيل، والـشعرى، وبـنات نعـش والسهى والحوت والجوزاء، في صور بديعة، وتشبيهات بلـيغة، وقـد لاحظـنا كيف مزج الشاعر وصف الطبيعة مع شعر الخمرة والمجون، على نحو ما تقدمت أبياته البائية والطائية[1].

ولـشعراء الأنـدلس وقفـة عـند الطبيعة الحية، أفردها زميلي الدكتور حازم عبد الله خـضر بدراسـة[2]، وأمـا الجزار فله مقطعة في ثلاثة أبيات، ارتجلها بعد أن أرقته البراغيث في ليلة باتها في حصن "بيتول" من عمل سرقسطة ومنها قوله[3]:

لقـد بـتُّ فـيها لـيلة أي لـيلة وبرغوثها حولي من الفرح يرقصُ
كـأن فراشـي تحـت جنبيَّ طـاجن وزريعـة الكـتان فـيه تحمّـص

وقـد تـردد هـذا المعنـى عـند شـاعرين أندلـسيين آخرين هما، أبو الحسن الحصري القيراونـي، وابـن حمـديس حـيث يتفقان على رقص البراغيث، لكنها عند الحصري، ترقص على غناء البعوض، حيث يصفها بعد حلوله بلنسية، فيقول[4]:

ضـاقت بلنـسية بـي وذاد عـني غموضـي
رقـص الـبراغيث حولـي علـى غـناء الـبعوض

---

(1) تنظر ق قم 40، 41.
(2) وصف الحيوان في الشعر الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين، وزارة الإعلام ـ بغداد، 1987.
(3) ق 47.
(4) المطرب، 197.

ويرى ابن حمديس فيها ذئاباً مفترسة، بعد أن جعلت دمه خمراً تشربه، يقول[1]:

جعلـت دمي خمراً تداوم شربها ... مسترخـصاتٍ منه مالا يرخصُ
فـترى الـبعوض مغنـياً بـربابه ... والبق تشرب والبراغِث ترقصُ

السمات الفنية:

لاحظنا من الدراسة الموضوعية لأشعار أبي بكر الجزار، تنوعاً موضوعياً في أشعاره، فلـم يقصرها على موضوع واحد، وإن كانت أنصبتها متفاوتة، وكانت حصة المديح والهجاء مـتقدمة، تلـتها أشعاره التي صور فيها مجتمعه ومهنته، وفخره بالعروبة والإسلام، في معرض الـرد علـى نزعة الشعوبية، واشعاره الحكمية، في الآداب والأخلاق الإسلامية، وموضوعات أخرى كان مقلاً فيها، كشعر الخمرة والمجون وشعر المجاوبات، والرثاء وشعر الطبيعة.

لقـد اغفلت أكثر مصادر الأدب الأندلسي، ذكره، حتى أن أديباً أندلسياً وناقداً كبيراً مـثل ابـن بـسام ممن كان له سعة باع، في تتبع أشعار أهل عصره بالأندلس، جعل شاعرنا في جملة الشعراء المقلين، وكان ثالث ثلاثة ختم بهم سفره القيم الذي ترجم فيه للجانب الشرقي من الأندلس[2].

إن جامـع ديوان الجزار أنكر هذا الموقف على ابن بسام، وانتصف له- وهو الناقد- فاجتنى من الأيام أشعار الجزار وباهى به الزمان، وبلغ إعجابه به أن قال فيه: "لو أنشد الصم لـشق أسماعها وفتق، ولو تناولته البكم، لأجرى لسنها بالتكلم به وأنطق، أو لو افتخرت به الرواة، لكفاها فخراً، أو سمعته الخنساء لأنساها صخراً ..."[3] وقال عنه كذلك: "لما خص من الـشعر بخطـو وسـاع، ومـادة من قوة واتساع، وأغراض عذبة المساق، ومعان بديعة الانتظام والاتـساق، وألفـاظ مـصقولة الترائب، وأشعار محفوفة بالحكم والغرائب قد خلصت تخليص الإبريز ... فجاءت له حسن الوجوه الصباح، وتعلقت بالقلوب تعلق الأرواح بالأشباح"[4].

---

(1) ديوان ابن حمديس، ص 289.
(2) الذخيرة، 3/ 905 ـ 908.
(3) ديوانه 1/ب.
(4) نفسه 1/ب.

وممـن أبـدى إعجابـه بـشعر أبـي بكر الجزار الشاعر الكاتب الناقد، لسان الدين بن الخطـيب (ت776هــ) فقـال فيه: "أفصح عن السِّحر في مقاله واجتلى كالسيف غِبَّ صقاله، ولدّ واخترع، وفي كلتا الحالتين برع"[1].

لقـد بلـغ عمـر شاعرنا الشعري أربعين عاماً[2]، وعلى الرغم من أنه لم يكن متفرغاً لقـول الـشعر، كمـا أنـه لم يكـن متكسباً به، بشكل متصل، فإن هذا العمر الطويل ينتظر معه نِتاج خصب، إلا أن كثيراً من شعره فُقد، وما بقي من أشعاره يمثل جانباً، ونستطيع أن نلمح مما بين أيدينا من أشعاره الملامح التالية:

خـرج الجـزار على النهج التقليدي في استهلال القصيدة بالغزل، فقد لاحظنا أن النسبة الغالـبة مـن قصائده، لا تلتزم هذا النهج، لا سيما مدائحه[3]، وقد زاوج في أكثر من قصيدة بين وصف الطبيعة وموضوعات أخرى، كالشوق والحنين، والغزل، والخمرة.

كـان الـشاعر ذا ثـروة لغـوية كـبيرة، وقـد أعـرب ابن مطروح، جامع الديوان، عن أعجابـه بلغـة الـشاعر وأسـلوبه في الـنظم، فكان مما وصف به قصيدته البائية في جواب ابن حـسداي "وأقـول الآن أن قصيدته هذه أجاد سبكها وأحسن، وضمنها المثل الغريب، والمعنى المستحـسن، وبـز فـيها جمـيع الـبلغاء والفـصحاء، جمع فيها بين صحة المعنى، وعذوبة اللفظ المصقول"[4].

وممـا يعـرب عـن ثـروة الجـزار اللغـوية وثقافـته احـتجاجه في تـشبيه ممدوحه زهير العامـري بالفـتخاء، التي هي مؤنثة، إذ يصف بها مذكراً، وقد عرضنا لذلك في موضعه حين الحـديث عـن كـتابه (بـادرة العـصر)، فقـد أورد من الشواهد في كلام العرب وأشعارهم في تـشبيه الرجال بالحية الأنثى، إلا أنه مع ذلك آثر اليسر والسهولة في لغته وعدم التكلف، وقد حلا له أن يتلاعب بالألفاظ كما نلمح ذلك مجنساً بين كلمتي "فرّاء" و"فرّار" كما في قوله[5]:

---

(1) جيش التوشيح، 147.

(2) ديوانه 16/ ب.

(3) تنظر القصائد: 11، 39، 41، 51.

(4) ديوانه 10/أ.

(5) ديوانه رقم (25).

وإنما قيل: 'فراء' لصانعكم   على المجاز، وكان الأصل 'فرّار'

أو في قوله[1]:

سلام يا أبا حسنٍ   عليك سلام إرضاء
سلام مبدل الميم   على فوديك بالحاء

وعلى الرغم من غنى أبي بكر اللغوي، فإن لغته الشعرية بقيت تميل إلى السهولة والسلاسة، لا سيما في قصائده الطويلة التي تتسم بسمة العفوية، وعدم التكلف في الصناعة اللفظية، وسنستعرض بعض أبيات قصيدته البائية التي أجاب بها أبا الفضل بن حسداي وهي في واحد وستين بيتاً، لم نجد فيها لفظة حوشية غريبة بل لحنا اللغة السهلة الواضحة[2]:

تعيب عليّ مألوف القصابه   ومن لم يدر قدر الشيء عابه
لعمرك لو نظرت إليّ فيها   وحولي من بني كلبٍ عصابه
لهالك ما رأيت وقلت: هذا   هِزبرٌ صير الأوضام غابه

ويستخدم المحسنات البديعية باعتدال، فنلمح الجناس في قوله:

فتكنا في بني العنزي فتكاً   أقر الذعر فيهم والمهابة
أبدنا شيبهم ومتى ظفرنا   بغرٍ شب لم نرحم شبابه

وتبقى لغة الشاعر محافظة على سمتها، حتى في موضوعاته التي تستدعي جزالة الألفاظ ومتانتها، ويبدو ذلك واضحاً في قصائده الثلاث التي وردت في الديوان في مدح الخليفة زهير العامري، والفقيهين أبي الأصبع بن الإمام، فمن الأولى قوله[3]:

---

(1) ديوانه رقم (10).

(2) ديوانه رقم 36/ 1، 3 ـ 4.

(3) ديوانه رقم 1/ 1 ـ 3.

الـيوم حُلّـيَ عاطـلُ العلـياء   الـيوم جـرَّ الدهـر ذيـل بهـاءِ
اليـوم تـوجت العـلا وتبرجت   عـند المنـى في حلـة الـسراء
أوفـى الـزمان بعهـدهِ لـزفافه   خـيرَ النـساء لـسيدِ الخلفـاء

ومن الثانية قوله[1]:

إن الفقـيه أبـا الولـيدْ المتقـى   وزر كفـيلٌ بالمـراد زعـيمُ
لـولا سـلوك يمينه سبل الندى   دُرسـت ولم يُعلـم لهـن رسـوم
يـا أيهـا المحـرومُ مأمـولَ المنـى   أجهلـت أن عطـاءه محـتوم؟

ومن الثالثة قوله[2]:

قديـر همُّـه صـون المعانـي   وبـذل الـنفس في الهمم العظام
كـلا يومـيه في جـود وبـأس   حمـيد الـسعي مرضـي المقـامِ
يجـود بمالـه جـود الكـرام   ويمـنع عرضـه مـنع اللـئامِ

وتواتيه لغته السهلة في قصيدة الرثاء كذلك فمن ذلك ما جاء في بائيته التي يرثي فيها أبا يونس، ونلمح فيها استخدام المحسنات البديعية بشكل معتدل[3]:

ألم تـر شـعب المجـد كـيف سـطت بـه   وجـزت شـعوب الشمل فيه شعوب؟
دعـته المـنايا دعـوة فأجابهـا   وبالكـره مـا تدعـو بـنا فنجـيبُ
ولا زال ريحـان الإلـه وروحـه   يـنم علـى أرواحـه ويطـيب
يهـبن رضـا مـنها ويـسلبن عـنوةً   وأغـرب شـيءٍ واهـب وسـلوبُ

(1) ديوانه رقم 51/ 12 ـ 14.
(2) ديوانه رقم 52/ 26، 28، 29.
(3) ديوانه رقم 35/ 9، 14، 28، 34، 35.

أبـا عمـرٍ إن تكتـئب فلمـثله   وإن تحتـسبه فالجـزاء حـسيبُ

وأما في مجال الصورة الفنية، فقد حالفه الحظ في تشبيهاته التي استخدمها في وصف الطبيعة وقد تقدم بنا بعضها حين عرضنا لشعره في الغزل والمجون، لا سيما بائيته التي يقول فيها[1]:

وكم ليلة أحلى من الأمن بتها   نديمي بدر والرحيق رضاب

ويصف انبلاج الصباح، وإدبار الليل بقوله[2]:

وسلت يد الإصباح مرهف فجره   فذلت رقاب الليل وهي صعاب

ويبلغ الذروة في التصوير في قصيدته الميمية التي نظمها في مدح ابن الإمام حين تأتي مثقلة بالتشبيهات، وقد استخدم فيها أداة التشبيه كأنْ في بداية أربعة عشر بيتاً، فالبدر أمير القوم، يقدم جيشه، والفرقدان حبيبان، استكانا للغرام، وسهيل مروع من ذي انتقام، وهو خافق القلب، كالمعنّى، وأما الشعرى فقد تبرجت فأشبهت خليع الفتيات، وهكذا يمضي في تشبيهاته مع بنات نعش، والسهى، والجوزاء .. فيقول[3]:

كأن البدر منه أمير قوم   سرى منهن في جيش لهام
كأن الفرقدين إذا استكنا   حبيبان استكانا للغرام
كأن سهيلها رجل مروع   توجس خيفة من ذي انتقام
كأن خفوقه قلب المعنى   تشكى ما يلاقي من هيام
كأن تبرج الشعرى خليع   من الفتيات واضعة اللثام

---

(1) 40/ 1.

(2) 40/ 6.

(3) 52/ 10، 13 ـ 16.

ومن صوره الجميلة التي جاءت في قصيدة المديح قوله[1]:

لما رأيت سماء جودك زينت ... بنجوم جود نوؤها مسجوم
أرسلت شيطان افتقاري سامعاً ... فلعله بشهابها مرجوم

كذلك نجد صوره البارعة في قصيدة الرثاء، وهو يتحدث عن ألمه وفجيعته بالقدر[2]:

لئن شققت منه السحاب جيوبها ... لقد شققت منا عليه قلوب
ألا إنما الأقدار جيش خيوله ... متون الليالي والسلاح خطوب

وتتكرر المعاني لدى الشاعر في بعض صوره، فمن ذلك إشارته إلى وسطى العقد تارة بعهد تصابيه، وأخرى بتوسط الشعري بين الكواكب، مكرراً لفظة القافية فيقول[3]:

ألا ليت شعري هل يرى بعد ساعة ... بعهد تصابٍ كنت في عِقده وسُطى

ويقول كذلك[4]:

تخير من ذر الكواكب عقده ... وخُص من الشعرى العبور له وسطى

ومما تكرر في القصيدتين آنفاً قوله[5]:

وعذراً لتأخير الجواب فإنني ... ضعفت فلا قبضاً أطقت ولا بسطا

وقوله[6]:

---

(1) 51/ 37 ـ 38.
(2) 35/ 5، 11.
(3) 41/ 4.
(4) 42/ 3.
(5) 41/ 27.
(6) 42/ 7.

أغنّـي ولا أذن تعـي نغـم الغـنا　　　وأمضي فلا أسطيع قبضاً ولا بسطا

وأمـا أوزان الجـزار وموسـيقاه الـتي اسـتخدمها في قـصائده، فـالملاحظ أنـه مال في قـصائده إلى الأوزان الطـويلة الهادئـة، بحـيث جـاءت أربع وخمسون قصيدة عليها، أي بنسبة 84٪ مـن مجمـوع شـعره، وأمـا الأوزان القصيرة المضطربة، فقد جاءت في عشر قصائد فقط بنـسبة 16٪، وقـد استطاع السرقسطي أن يحقق تنوعاً في بحوره التي استخدمها، فقد استخدم ثلثي البحور الشعرية وأهمل ستة بحور فقط.

ولا يفوتـنا أن نـشير إلى أن الـشاعر نظم في الموشحات وكان واحداً من أبرز شعراء عـصر المـرابطين في هـذا المجـال وقـد حفـظ لـنا ابـن الخطيب عشر موشحات[1] له ألحقناها بالديوان.

وأما النموذج الذي آثره الشاعر لقصائد ديوانه، من حيث بناء القصيدة، فقد لاحظنا أن أكثـر أشـعاره تمـيل إلى المقطعـات الشعرية، فقد جاء حوالي ثلثي ديوانه بصورة مقطعات شـعرية، وأمـا قـصائده الطـويلة، فـتؤلف حوالي ربع الديوان، وأما القصائد التي لا تتجاوز عـشرة أبـيات فهي أقل نصيباً إذ جاءت ست قصائد فقط على هذا النحو، وذلك يتضح من خلال الإحصائية المبسطة لقصائد الديوان وعدد أبياتها مع النسبة المئوية لها.

وبعد ...

فقد بسطت الحديث ممهداً .. في وصف مخطوط الديوان وقيمتها، وتحدثت عن جامع الديـوان ومـنهجه، ثم ألممت بإيجاز بحياة الشاعر، وقدمت دراسة متواضعة عن كتاب (بادرة العصر ..) الذي جاء ضمن ديوانه (روضة المحاسن ..) كما استعرضت أبرز موضوعات هذا الديوان ووقفت عند السمات الفنية المتميزة في شعره.

أرجـو أن أكـون قـد وفقت فيما أنا بسبيله ومن الله نستمد القوة والأيد، والحمد لله والصلاة والسلام على نبيه الكريم ..

---

(1) جيش التوشيح، ص 147 ـ 157.



الـــديـــوان



الورقة: ١ (أ) من ديوان الجزار السرقسطي

الورقة: ١ (ب) من ديوان الجزار السرقسطي

الورقة: ٦١ (أ) من الديوان

الورقة: ٦١ (ب) من الديوان

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيْمِ [١/ أ]

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ديوان الأديب أبي بكر الجزار



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم

ديوان الجزار السرقسطي

الحمد لله الذي بَرأ الإنسانَ وخلق، وأجرى اللسان بالبيان وأطلق، وجَبل على [1/أ] البلاغة من شاء، ومنحه الاختراعَ والإنشا، وصلى الله على سيدنا محمد، الذي اصطفاه واجتباه، وخصّه بجوامع الكَلِم وحباه، وأرسله بالبينات الواضحة، وأنقذه من المشكلات الفاضحة، وعلى آله الأبرار، وصحابته الأخيار[1]، صلاةً متصلة بمدى[2] الليالي والأعمار، وبعد:

فإن الشعرَ لما كان ديوانَ العرب الذي به حفظت أسماءها وأحسابها، وحققتْ به انتماءها إلى الفضائل وانتسابها، وأدركت به ثأرها، وقيّدت به مساعيها الكريمة، وأنارت، وأبرأت به نُفاثةَ الصُّدور وشَفَت، واسترجَعَتْ به على الطلول التي دَرستْ وعَفَتْ[3]؛ وغَدا مستَودع أخبارِها الأُول، ومشتملاً على ما اتّفق في سالفِ الأيام والدّول، وانتظمَ على هذا النوع والمثال، وخُصَّ بالحِكَم الغريبة والأمثال، صار ضَالّة كلِّ إنسان، وحِليةَ كلِّ لسان، وعادَ مدرجةً للبيان، نافقاً عند السُّوقة[4] والأعيان، يُروَى، ويروي على مر الزمان، ويتشوق إليه تشوقَ الخائف إلى الأمان، فإن الأستاذ الشّاعر الباهر، والأديب الأريب الماهر، أبا بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي[5]- عفا الله عنه- لما خص من الشعر بخطو وساع، ومادة من قوة واتساع، وأغراضٍ عذبة المساق، ومعان بديعة الانتظام والاتساق[6]، وألفاظٍ مصقولةِ

(1) الأصل: الخيار والتصحيح من الحاشية حيث كتبت الأخيار وفوقها كلمة صح.

(2) المدى كالفتى: الغاية، كالمدية بالضمة، والميداء بالكسر (ق).

(3) عطف تفسير، أن العفاء هو الدروس.

(4) السوقة بالضم، الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث أو قد يجمع سوقاً كعرد (ق).

(5) المعروف بابن عيسى السرقسطي.

(6) مصدر اتسق، يقال تلفقت الأشياء واتسقت وتنسقت انضم بعضها إلى بعض بمعنى.

التّرائب[1]، وأشعار محفوفة [1/ب] بالحكم والغَرائب، قد خَلُصتْ تخليصَ الإبريز، وأبرزتْ رائعةَ الحُلل والتَّطريز، فجاءتْ لها حسنُ الوجوه الصّباح، وتعلقتْ بالقلوب تعلقَ الأرواح بالأشباح، وضمَّني وإياه الوطن وجَمع، ورَأيتُ أشعاره تُتَمَنَّى أن تُروَى كلَّ حين وتُسمع، قُمتُ بذكره في الأنام مباهياً ومُفتخراً، وأصبحتُ لشعره مجتنياً من الأيام ومُدَّخراً.

وأقول الآن على طريق الاختصار والإيجاز، وأصرّحُ على وجه الحقيقةِ لا المجاز، لو أنشدَ شعره الصُّمَّ لشقَ أسماعهَا وفتقَ، ولو تناولته البُكم لأجرى لسانها بالتّكلم به وأنطقَ، أو لو افتخرت به الرُّواة لكفاها فخراً، أو لو سَمِعته الخَنساء لأنساها صَخراً، ولو رَآته حكمٌ[2] لازدرت أبا نواسها واستَقصرت، أو لو وَقفتْ عليه حَنيفةٌ لما رَضيت بالتختم من بدائع عَباسها[3] وأبصرت، أو لو اطّلعتْ عليه إياد ما استملحتْ قُسها بعكاظَ ولا استغربتْ، أو لو سَمعته خُزاعةُ لأَمسكتْ عن ذِكر دِعبلها[4] وأضربت.

هذا ونشأ بالثغر الأعلى[5] وسكن، ولم يتّصل به إنسه ولا تمكّن، بل جاورَ العجمَ جلَّ حياته، ولم يُنصفه الدّهر على غريب بدائِعه وآياته، فكيف لو لحِق بالفصحاء السّراة، وشَربَ من ماءِ دجلةَ والفرات، وحطَّ بالعراق رَحله، وأمِن بها حرب الزّمان ومَحلَه، لعلا في البلاغة نبعُه، وازداد رقةً طبعُه، وابتليتَ منه العجب، ورأيتَ من أسرارِ البَديع ما احتَجب.

ولّما ظهرتْ بدائعه وغُرره، وانتَظمت بجيدِ الزمانِ دُرره. وانتشرت أشعاره ورَفَّ[6] نُورها، وكثرَ على الألسنة دَورها، التمستُها في كل محفلٍ وناد، فما ألفيتُ لها رواية صحيحةَ

---

(1) الأصل: القرائب، وهو تحريف ما أثبتناه.

(2) القبيلة التي كان والد أبي نواس (ت198هـ) من موالي أحد ولاتها: الجراح بن عبد الله الحكمي وكان والي خراسان في عهد عمر بن عبد العزيز.

(3) الإشارة إلى العباس بن الأحنف الشاعر العباسي المعروف (ت192هـ) وقبيلته حنيفة.

(4) الإشارة إلى دعبل بن علي الشاعر العباسي المعروف (ت335هـ) قبيلته خزاعة وديوانه معروف طبع أكثر من طبعة.

(5) المراد بالثغر الأعلى: ولاية سرقسطة وأعمالها.

(6) رفّ رفاً ورفيفاً، ترف. ويحتمل أن يكون زف (بالزاي) بمعنى لمع أيضاً هذا على أن النون من نورها مضموم، وأما بالفتح فهو الزهر ويكون (زُفّ) مبنياً للمفعول ومعنى زف سرى وهو الأولى ليوازي (دورها)، وإن كان الأول أظهر من جهة المعنى.

الإنشاد، ولا ديواناً[1] مجموعاً، ولا تأليفاً مروياً عنه، ولا مَسموعاً، اللهم إلا نُبذاً يسيرة قَيدتها عن رجال ثقاتٍ، وجمعتُها في مددٍ طويلة وأوقات.

ولما رأيت الناس على قديم الدهور والأعصار، يفتخرون بمحاسن مِصرهم على سائر الأمصار، ضممتُ ما جمعتُ من تلك النُبذ ورتّبت، وأَلَفتُ ما قيدتُ منها قديماً وكتبت، [1/2] لكي يتحقق أنّ لأهل مِصرنا في كل نِضال رِماءً[2]، وأنّ لهم انتساباً إلى المحاسن وانتماءً، وأنهم طُبعوا على العلوم وجُبلوا، وحُمدوا في كل فنٍ منها واستُنبلوا، وأينَ يقع هذا المجموع مما له من بديعِ النِّظام، وما صدَر عنه من القصائد المذهبات[3] العِظام، بل أين هو من أمداحِهِ في ملوكِ بني هودٍ على كثيرِ عَدَدهم، واتصال أزمانِهم ومُددهِم، إلى ماله في أعيان الفقهاء والوُزراء، وما انفردَ به من الأغراض دون سائر الشعراء.

وهل هذا المجموع إلا قطرةٌ من بحره المتلاطم الزّاخر، ونبذةٌ من بديعه الفَائق الفَاخر، وعلى هذا فكيفَ جعله ابن بسام من المقلّين في الذخيرة[4]، ولم يلحقه بفحول الشعراء المكثرين الخيرة، الذين بذوا في صناعة الشعر وسبقوا، وملؤوا بمحاسنهم الآفاق وطبّقوا، وهل ذلك إلا غَلطٌ بيّن، أو شَطَط تلافيه مُعترض متعيّن.

وإلى الله أضرعُ في أن يوفّي كل ذي حقٍ حقَّه، وأن لا يؤاخذ أحداً إلا بما استوجبَه واستحقّه، أو لعل ابن بسام لم يبلغه من شعره إلا ما أورد له في كتابه، فمن الواجب أن يتوقفَ عن عتابه، ويُقضَى على الوجه الذي أتى به. والآن لا غَرو أن أثبتَ ما للمذكور في المجونِ من الأَشعار، وأورد أبياتاً في مقطوعاته الخَمريات، ليطّلع على ماله في البلاغة والفَصاحة، من اتساع المجالِ وبُعد السّاحة، لا رَاغباً في شيءٍ من المَوصوفات التي وَصف في شِعره وذكَر.

---

(1) الأصل: صحيحة وإنشاء ديواناً، وهو تحريف ما أثبتناه.

(2) [الرماء: مصدر رَمى، يرامي].

(3) المذهبات: من أذهب وذهّب: حلاهُ بالذّهب (ق) والشيء الردي هو الذي نميزه بالذهب، كالخرق والنجامر (كذا) والحديد، فليس هذا من أوصاف المدح بل من أبلغ أوصاف الذم، ويمكن أن يقال: أن هذا غلط من الناسخ، وأن نسخة المؤلف فيها القصائد الذهبيات.

(4) [يشير إلى كتاب ((الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)) من أشهر مصادر الأدب الأندلسي ً وقد نشره محققاً د. احسان عباس -دار الثقافة بيروت 1976].

ولَرب جاهلٍ متعسفٍ رأى في هذا المجموع، فنَعى عليَّ ما أوردته من تلك الأبيات وأنكر، ولم يعلمْ أنّي إنما أوردتُ ذلك، حَاكياً له، ودَالّاً عليه، ليُوقف على حقيقةِ ما نُسبَ من البَراعة إليه، ولو كنتُ رأيتُ ذلك غيرَ سائغٍ في حُكم الأدب عند الجمهور، وجائزٍ إلى الأَبد، على قديم الأزمنة والدهور، لما أحدَثتُ لشيء من ذلك كلّه ذكراً، ولا أعملتُ في جَمعه خاطراً ولا فكراً، ومع أنه جائزٌ عند من تأخر من النَّفير[1] وتقدم، فإني معتقد أني ممن أشفى على خَطرٍ في ذلك وأقْدم، واللهَ عز وجل أسأله غفرانَ الجَرائم والجَرائر، [2/ب] وأتوسل إليه في إصلاح الضَّمائر والسّرائر، بمنِّه وبه أستظهر على ذلك كلّه وأستعين، فهو سبحانه المنجد المعين.

وهاك من تلك النُّبذ، ما تَتمنى إليها[2] الأَبصار والأسماع، وتنقطعُ دون معارضتها الآمال والأَطماع، فمن ذلك قصيدة كتب بها إلى الخَليفة زهير[3] عند احتفاله في عُرسِه وابتنائه بعِرسِه، وهي هذا:

[1]

(من الكامل)

1	اليَومَ حُلّيَ عاطلُ العلياء	اليومَ جرَّ الدّهر ذيلَ بهاءِ
	اليومَ توجت العُلا وتَبرَّجت	عند المُنى في حُلةِ السَّراءِ[4]
	أوفى الزّمان بعَهده لزَفافِه	خيرَ النّساء لسيدِ الخُلفاءِ[5]
	لم تُسمعِ الآذانُ قبلَ هِدائِها	بحمامةٍ زُفتْ إلى فَتخاءِ[6]

---

(1) النفير: بمعنى النفر، جماعة الأدباء.

(2) الأصل: إليهَ.

(3) أبو القاسم الصقلبي العامري حكم المرية بعد وفاة أخيه وصاحبها خيران سنة 419، وحكم مرسية وأوريولة، وامتد حكمه شرقاً حتى شاطبة، وشمالاً حتى بياسة وقرطبة، وكانت علاقاته طيبة مع جيرانه في مالقة وغرناطة، إلا أنه خرج إلى غرناطة غازياً، واشتبك مع قوات باديس وقتل سنة 429، وأدركت المرية على عهده تقدماً علمياً كبيراً. ينظر دول الطوائف 126، 160، 172، الذخيرة، 1/ 2/ 656، التبيان 34، البيان المغرب 3/ 169، الإحاطة 1/ 517.

(4) تبرجت: اظهرت زينتها.

(5) لزفافه: اهدائه أو هديه يقال زف العروس إلى زوجها زفاً وزفافاً هداها (ق).

(6) زفت: أهديت او هديت.

5	أمــثال حــدٍ مــا تــرى أم أيكــم	قــد بُــشرت بــتآلف الأهــواء[1]
	مــا إنهــا لــسماتُ سَعدٍ بــشرتْ	أطـــيارَها بـــسعادةٍ ونَمـــاءِ
	زُفتْ إلى بَدرِ العُلا شمسُ الضُّحى	فتوسـطا فَلكـي سَناً وسناءِ [3/أ]
	كِفـآ عُـلا وسـيادة قـد أُلِّفـا	ومـن الـسّعود تآلُـفُ الأكفـاء[2]
	وتطابقـا رُوحَاهمـا فـتمازَجا	مـثل امتـزاجِ المـاءِ بالـصَّهباء[3]
10	بالـيُمنِ والإقـبالِ والـسّراء	وسـعادةٍ مَوصـولةٍ بـنَماء
	طلَعـتْ بـأفلاكِ الـسُّعود نجـومُها	فالجـابَ لـيلُ الحُـزن والغمّـاء
	لله عِرسـاً يـا خَلـيفةُ إنهـا	لـسيرةٌ بمـآتِمِ الأعـداء
	صُـنعٌ خلعـتَ بـه على كلّ الوَرى	حُلـلاً مـن الـسَّراءِ والـنَّعماء
	لبِـستْ بـه الأيّـام بُـردَ جَمالِها	وتـبرَّجتْ في حُلـةِ الخُـيلاء[4]
15	لمـا رَفعـتَ مُـؤجِجاً نـارَ القِـرى	فـيه لِـدانٍ وافـدٍ ولِـناءِ[5]
	لـبّاك، منـثالين في عَـددِ الدَّبـى	زُمـرٌ يـضيقُ بهـن كُـلُّ فَـضاءِ[6]
	تَـسعى بهـم قَـدمُ المنـى وتحـثُّهم	حثَّ الظماءِ إلى وُرود الماءِ [3/ب]
	حتـى إذا حَلُّـوا الـنَّدى وأيـنعتْ	لهـمُ ريـاضُ البـشر والإدنـاء[7]
	كـرَعَوا لحـوضِ المكـرماتِ كأنّمـا	فـازوا بَعـدْنٍ قـبلَ وقـتِ جَـزاء[8]
20	إن يكثـروا عـدَداً فقـد أوسـعتَهم	صَـدراً تـضيقُ لـه فـلا البَـيداءِ[9]

---

(1) الأيكم: جمع أكمة، وأصله أأكم. أبدلت الهمزة ياء وكان القياس إبدالها ألفاً كما في آدم.

(2) الأصل كفئاً وهو خطأ في الرسم

(3) استخدام الشاعر لغة آكلوني البراغيث ...

(4) تبرجت: أظهرت زينتها، الأخيل والخيلاء، والخيل والختلة والمختلة: الكبر (ق).

(5) الأصل: ماججا وهو خطأ في الرسم.

(6) منثالين: من انثال إذا انصب (ق)، حال من زمر، والدبي: بالدال، أصفر الجراد والنمل (ق).

(7) الإدناء: القرب، أي ورياض الإدناء، وقد أثبت رواية أخرى: وأومات لهم رياض البشر بالإدناء.

(8) في الحاشية: جوزوا بعدن.

(9) فلا: جمع فلاة، الصحراء الواسعة (ق).

٥ أمثال حدٍ ما ترى أم أيكم ... قد بُشرت بتآلف الأهواء[1]
ما إنها لسماتُ سَعدٍ بشرتْ ... أطيارَها بسعادةٍ ونماءِ
زُفتْ إلى بَدرِ العُلا شمسُ الضُّحى ... فتَوسطا فَلكي سَناً وسناءِ [٣/أ]
كِفآ عُلا وسيادة قد أُلِّفا ... ومن السّعود تآلُفُ الأكفاء[2]
وتطابقا رُوحَاهما فَتمازَجا ... مثل امتزاجِ الماءِ بالصَّهباء[3]
١٠ باليُمنِ والإقبالِ والسّراء ... وسعادةٍ مَوصولةٍ بنَماء
طلَعتْ بأفلاكِ السُّعود نجومُها ... فانجابَ ليلُ الحُزن والغمّاء
لله عِرساً يا خَليفةُ إنها ... لمسيرةٌ بمآتِمِ الأعداء
صُنعٌ خلعتَ به على كلّ الورَى ... حُللاً من السَّراءِ والنَّعماء
لبستْ به الأيّام بُردَ جَمالِها ... وتبرَّجتْ في حُلةِ الخُيلاء[4]

---

(١) الأيكم: جمع أكمة، وأصله أأكم، أبدلت الهمزة ياء وكان القياس إبدالها ألفاً كما في آدم.

(٢) الأصل كفئاً وهو خطأ في الرسم.

(٣) استخدام الشاعر لغة أكلوني البراغيث ...

(٤) تبرجت: أظهرت زينتها، الأخيل والخيلاء، والخيل والختلة والمختلة: الكبر (ق).

١٥	لما رَفعتَ مُؤججاً نارَ القِرى	فيه لِدانٍ وافدٍ ولِناءِ[1]
	لبَّاك، منثالين في عَددِ الدُّبى	زُمرٌ يضيقُ بهن كُلُّ فَضاءِ[2]
	تُسعى بهم قَدمُ المنى وتُحثُّهم	حثَّ الظماءِ إلى وُرود الماءِ [٣/ ب]
	حتى إذا حَلُّوا الندى وأينعتْ	لهمُ رياضُ البِشر والإدناء[3]
	كرَعَوا لحوضِ المكرماتِ كأنَّما	فازوا بَعدْنٍ قبلَ وقتِ جَزاء[4]
٢٠	إن يكثروا عدَداً فقد أوسعتَهم	صَدراً تضيقُ له فلا البَيداءِ[5]

---

[1] الأصل: ماجحا وهو خطأ في الرسم.

[2] منثالين: من انثال إذا انصب (ق)، حال من زمر، والدبي: بالدال، أصفر الجراد والنمل (ق).

[3] الإدناء: القرب، أي ورياض الإدناء، وقد أثبت رواية أخرى: "وأومأت لهم رياض البشر بالإدناء".

[4] في الحاشية: "جوزوا بعدن".

[5] فلا: جمع فلاة، الصحراء الواسعة (ق).

55 يـا بهجـةَ الدّنـيا وزَهـرة أهلـها | وسَـواد مُقلـةِ عَيـنها الحَـوراءِ[1]
إنّ القِـيادةَ خُطـةٌ قـد قُلِّـدتْ | بُعـلاك عِقـدَيْ سُـؤددٍ وبَهـاءِ
فاسـحبْ ذُيـولَ قـيادةٍ وسـيادةٍ | كَسياك بُـردي هَيبةٍ وعَلاء [5/ب]
أنـتَ الـذي أنعـشتني بمكـارمٍ | جلّـت فواضِـلُها عـن الإحـصاءِ
وكـسوتني حُلَـلَ المـبرَّة عـندما | كـشَفَتني الدُّنـيا فكـنتَ غطائـي[2]
60 فلأكـسونْكَ مـن بَدائـع مَنطقـي | حُلـلاً مطـرّزةً بتـبرِ ثـناءِ
ولأشـكرنْك مـا تَـراختْ مدّتـي | شـكرَ الـرِّياض لواكـفِ الأنـواء

فلما كان بعد إتمامِ من إنشاده هذه القصيدة، وَصلهُ أنّ الفقيه أبا الحسن علي بن عبد الله البُرجي[3]، انتقدَ عليه بيتاً منها هو:

لم تسمعِ الأذانُ قبلَ هِدائِها | بحمامةٍ زُفتْ إلى فتخاء[4]

وقال: إن الفتخاء مؤنثة ولا يوصف بها مذكر، فكتب إليه بهذه القصيدة يوبخه فيها، ويعاتبه بقوافيها وهي هذه:

[2]

(من الطويل)

1 تُـريكَ مَـضاءَ المُـرهفاتِ المـضَاربُ | وتكـشفُ أسـرارَ الأنـام الـتَّجاربُ
يفكـر الفتـى، يَـبدو لـه كلُّ غَامضٍ | وتَدنـو مـن العقـلِ الأمور العَوازبُ

---

(1) في الحاشية: الحسن بدل الدنيا.
(2) الأصل: غطاء، ولعل الصواب ما أثبتناه.
(3) هـو أبـو الحسـن علـي بـن عبد الله بن موسى بن طاهر الغفاري، ويعرف بالبرجي، بضم الباء نسبة إلى (برجة) من أعمال سرقسطة، سرقسطي، تـلا بالسبع علـي ابـن الـوراق، وروى عن ابن ملحان وابن الخراز، وغيرهم، وروى عنه أبو بكر التغلبي وأبـو الحسـن بـن مسعود وأبو مروان بن الصيقل، وكان لغوياً أديباً، لم يكن شعره بالكثير وكان ذا حظ صالح من روايـة الحديث، متقن الضبط، تصدر للإقراء بسرقسطة، تجول بأقطار الأندلس بعد ذلك واستقر أخيراً بوادي آشي، وتوفى فـيها بحـدود سـنة خمس أو نـيف وثلاثـين وخمسمائة، ينظر في ترجمته (التكملة (مخطوطة) 3/ 59، الذيل والتكملة 5/ 1/ 237، صلة الصلة ص 88).
(4) وهو البيت الرابع من القصيدة المتقدمة آنفا.

ومن جَرَّبَ الأشياءَ يزددْ بَصيرةً ... وتظهرْ إليه كلُّ يومٍ غَرائب [6/أ]

وكنْ بمراةِ الفِكرِ للعَقلِ نَاظراً ... يَبِنْ لك، أنّ النّاس طُرّاً ثعَالبُ[1]

5 يُعدّ شريفَ القَومِ ذو المال لا الذي ... قد اكْدى وإن كانتْ عُلاً ومنَاسِبُ[2]

وبالأصغرين المرءُ كانَ معظّماً ... وما أصغراه اليومَ إلا المكاسب[3]

فكنْ جَامعاً للمال مُقتنياً له ... يكنْ لك ذكرٌ في العَلا ومَراتب

ومن طلبَ الدُّنيا بغيرِ دَراهم ... ولا هِمةٍ تُبعدْ عليه المَطالبُ

فهوِّن عليكَ الهَول في جنبِ جَمعها ... فحيثُ يكونُ المالُ ثَمَّ الرَّغائبُ

10 ومن لم يخاطرْ في الجَسيم بنفسه ... يَعشْ مُكدياً، والفقرُ بئسَ المُصاحبُ[4]

فعِش مكدياً إن شئتَ أو عِش مُملكاً ... فليسَ بغيرِ المالِ تُدنو المآدبُ

ومن لم يكسّبه الثُّواء ببلدةٍ ... ثراءً يكسبهُ النّوى والسَّباسبُ

إذا بَعُدتْ هِمّات قَومٍ تغرَّبتْ ... مشارقُ أرضيه له والمَغاربُ [6/ب]

قرينُ الفَتى مَرآة مُضمره الذي ... ثرى ما طَواه فانتقدْ من تُصاحِبُ[5]

15 بأخدانه تُدرى خفيّاتُ أمره ... ألم ترَ أن الشّبهَ للشّبهِ جَاذبُ[6]

فدعْ قُرناءَ السّوء لا تُدنيَنَّهمْ ... فما قُرناءُ السوءِ إلا نَوائب

أخٌ كان لي قد كنتُ أحسبُ أنّه ... دِلاصي وسَيفي إن نَحاني طالب[7]

قَررتُ به عَيناً فلما بَلوتُه ... إذا هو يَبغي عَثرتي ويُراقب[8]

---

(1) خففت همزة مرآة لضرورة الوزن.

(2) اكدى: قلّ خيره.

(3) الأصغران هما القلب واللسان ونص المثل: إنما المرأ باصغريه قلبه ولسانه. مجمع الأمثال 2/ 294 رقم (3982)، المستقصى 1/ 345 رقم (1483).

(4) الأصل: بيس بتسهيل الهمزة.

(5) مضمره: محل السر. والسر نفسه وانتقد: أي ميزه، واختبره.

(6) في البيت تضمين لمعنى بيت عدي بن زيد العبادي (ديوانه ص 106، ط وزارة الثقافة والإرشاد بغداد، 1965).

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

(7) دلاص: الكساء أو الدرع الملساء اللينة (ق).

(8) تكررت كلمتا يبغي عثرتي لتوضيح الامحاء في المتن.

ومن مَحَصَ الإخوان بالخَبْرِ تُنْكَشِف ... يُخَبِّرهمْ منهم إليهِ عَجائبُ[1]

20 وإنّي لأستبقي صَديقي وإن جَفَا ... وأرضى بمَا يأتي به وهو غَاضِبُ

ولستُ على ما قد جَناه مُعاقباً ... وإن غَاظني، شرُّ الرّجال المعاقبُ

بلى، ربما أوليتُه عتبَ مشفقٍ ... وليس بمستبقيكَ من لا يُعاتِبُ[2]

ومن لم يكن يُغضِي لخلٍّ على القذى ... يعشْ دونَ خِلٍّ أو يمتْ وهو عَاتِبُ [7/ أ]

تغيّرَ من أصفَيتَه ماءَ خُلّتي ... ولا ذنبَ إلا أنني فيه رَاغبُ

25 ومَا رَابه إلا الوَفاء بعهده ... وحَمْلُ خِلالٍ كلّهن مَناقِبُ

وقد كان حقاً أن يُراعيَ وِدَّنا ... ولكنَّ إخوانَ الزّمان عَقارِبُ

أبا حسنٍ إنّ الحديثَ مساقهُ ... إليكَ، فما هذي الأمور العَجائبُ

أتبدِي إخاءً ثم تُضمر ضِدّه ... وتظهرُ لي سِلماً وأنتَ مُحارِبُ[3]

وأسقيك ماءَ الودِّ صَفواً من القَذى ... وأنتَ له بالغِلِّ والحقدِ شَائِبُ

30 ويا عجباً ضِدان فيك تجمّعا ... فؤادُك يُقصيني، وأنتَ تُعاقِبُ

أتنقدُ أشعاري وَترقبُ عَثرتي ... وأقربُ من هذا إليك الكَواكِبُ؟

وتطلقُ في نادي اَبن باقٍ بنقضِها ... كأنّ اَبن باقٍ في حبالك حَاطبُ[4]

ألمْ تستحقق يا أخيرقُ أنّه ... عليكَ بإثباتِ الحَقائقِ وَاثبُ [7/ ب]

إذا رُمتَ إخفاءَ الحقوقِ بباطلٍ ... تزخرفه فانظرْ به من تُخاطبُ

35 لقد جِئتها بَلقاءَ كالشّمس شُهرةً ... تُشينُك ما خبّتْ بِركبٍ ركائبُ

---

(1) محص أي التمحيص وهو الابتلاء والاختيار والأصل (الخير) بالياء المثناه والخبر بالباء المفردة أفصح وأبلغ.

(2) في البيت تضمين لقول النابغة (ديوانه 74، ط محمد أبو الفضل إبراهيم). الشعر والشعراء 1/ 105، فصل المقال 44، مجمع الأمثال 1/ 15:

ولست بمستبق اخاً لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

(3) اعيدت كلمة تضمر بقصد توضيحها

(4) لعل المقصود بابن باق: أبو الحسن باقي بن أحمد، الأديب الشاعر، الذي قدم على القاضي أبي أمية إبراهيم بن عصام، قاضي مرسية وقصر مدائحه فيه، وصحبه إلى العدوة، وجرت بينهما مراسلات، وكذلك بينه وبين الوزير أبي محمد بن القاسم، والفتح بن خاقان تنظر أخباره وأشعاره في قلائد العقيان: 342، 234، الخريدة 1/ 534، بغية الملتمس 251، المغرب 2/ 461، والأصل: جمالك خاطب وفيه تصحيف وتحريف.

كفاك اجتراءً أن نَقَدتَ فلم تُجِدْ ... هنالِك إلا من بسيفي يُضارِب

محاسنُ قولي رُمتَ إخفاءَ فضلِها ... فما أُبتَ إلا وهي فيك معايبُ

وعندَ ثُبوتِ الحَق يزهقُ باطلٌ ... كما تَنجلي عند الصَّباح الغَياهِبُ

ومن رَام أن يُخفي مَحاسن غيره ... تلحْ من مساويه إليه عَجائب

40 إذا ما عَدا الإنسانُ في الشيء طَوره ... تَعدت إليه بالغُموز الحَواجِبُ

الا لَيت شِعري والظُّنون كَثيرةٌ ... أخانك جَدٌّ منك أم أنتَ لاعب

أبتْ قِلةُ الإنصافِ إلا قَطيعةً ... ولو أن من يُبدى الخِلافَ أقارِبُ

ومن نازعَ الإخوانَ يكثرْ عَدُوه ... بحقٍ وتَستحوذ عليه المَثالبُ [8/أ]

متى لم يكنْ عقلُ الفتى هادياً له ... تَضيق في مساعيه عليه المَذاهب

45 ومن كان مُغتاباً صَديقاً فبُعدُه ... على كلِّ حالٍ لا مَحالة وَاجب

يُريك "علي" عفةً ودماثةً ... وصفوَ ودادٍ جمرُ واريه ذائِب(1)

وذاكَ رِياءٌ كلّه وتصنُّع ... تغذّى عليه لا طِباعٌ تُناسب

وقد يتحلّى ذو الرِّياء بعَادةٍ ... فتَحسبُ طَبعاً لكنِ الطَّبع ذاهب

وكلُّ اختلافٍ مُستحيلٌ وذاهبٌ ... يفارقُ أهليه وما الطَّبع ذاهِب

50 ألم تدرِ أنّي يا "علي" مُهنَّدٌ ... به من شَبا الهِنديّ تَفري المضَارب

وإنّ عفاريتَ القَصائدِ مُرَّدٌ ... لها أسهمٌ في كلّ غَيبٍ صَوائِب

أميَر القَوافي بين فكيَّ آمرٌ ... إذا شِئت لم يَحجبه عنيَ حاجِب

فكيفَ على اللّيث اجترأتَ مخاطراً ... ألم تخشَ أن تُرديك منه مَخالبُ[8/ب]

أرادَ "علي" أن يجرّب سيفَنا ... فهُزّ عليه منه أبترُ قَاضب

55 أقول له والمقتُ يُزري بعُجبه ... متى ساجلتَ فيضَ البحورِ المزائبِ(2)

نقدتَ علينا التِّبر وهو مُسجّرٌ ... قد أخلصَهُ من نارِ فِكريَ لاهب(3)

---

(1) الأصل: جرواديه وهو تحريف.

(2) [المزائب: جمع ميزاب وهو المزراب]. الأصل: يرزي بعجبه وفيه تصحيف.

(3) [المسجر من اللؤلؤ: المنظوم المسترسل] وهمزة أخلصه للوصل لضرورة الوزن.

أيَـا صَـيرفيُّ الـشِّعر هـذا نُـضارُنا ... وهذي عَذارانا فهل أنتَ خاطِبُ[1]

ويـا ابـنَ العميدِ المُتَـضِي سيفَ نقده ... إليك طُلى شِعري فهل أنت ضَارِب[2]

ويـا جَعـسويه احـسُ الذي قد سقيتنا ... فمـثلك حـاسٍ مـا سـقاه وشَـارب

60 أإن صـحَّ بـالفـتخاءٌ تـشبيهُنا الفتـى ... زُهـيراً بَـدَت في النَّقد منك غَرائِب

وطـارتْ طـيورُ العُجب حولك سُنَّحاً ... وهـبّتْ عِـتاقٌ من هَواك شَوازِب[3]

وقُلـتَ لمـن حَـاداك مـن غـيرِ فِكـرةٍ ... لـتُوهمَ كـلاً: أنَّ فهمَـك ثاقِـب[4]

أيعـزوه بـالفـتخاءِ وهـي بـذاتها ... مؤنَّـثة هـذا الثَّـناء المُـثالب [9/أ]

ومـا أقـبحَ الإعجابَ في المرءِ والهَوى ... وأحـسنُ مـنه القـولُ لولا المُجاوب

65 فـياذا الـذي عـن قَـوس إعجابه رَمى ... فخابـتْ مراميه وذُو العُجبِ خائِب

طَغـى لـك إعجـاب هَوَى لك نَجمُه ... إلى هُـوةٍ في قعـرِها أنـتَ راسـبُ

أصِـخْ لـشهودي، ثـم إن كـان مدفَـعٌ ... لـديك فغَالـبني فإنـي مُغالِـب

أأنكـرُ مَعـروفاً هـو الأصـل عـندنا ... لقـد سَخِرت منك الظّنون الكَواذب

أمـا شُـبهتْ مـن قـبلُ ذاك بمـثلِ ذا ... فُحـولٌ بهالـيلٌ فكـيفَ الـصَّقالب

70 وللعُـربِ مـن هـذا كـثيرٌ، وهـل لـنا ... بمـن نَقتَدي في الشِّعر إلا الأعارب؟

أمـا قـالَ للـنعمانِ شـاعر قـومه: ... لأنـك شمـسٌ والملـوكُ كواكبُ[5]؟

فـشبَّهُ بالـشمسِ وهـي لـديهمُ ... مؤنـثةٌ، هـل عَـاب ذلـك عَائـب؟

وهـل تُنـسب الأشـياء إلا لفعلـها ... وتعرفُ إلا بالمضاءِ القواضب؟[9/ ب]

إذا لم يكـن فهـمٌ فمـا الـدرس نافع ... ذويـه ومـا الأفهـام إلا مـواهب

---

(1) الصيرفي: ضراب الدراهم. الجمع صيارفة (ق). الأصل: عذارنا وهو خطا.

(2) انتضى السيف: سله، ويقال نضاه أيضاً (ق)، وفي البيت ورَّى الشاعر بابن العميد الكاتب العباسي المعروف (ت360هـ) متهكماً.

(3) قال في القاموس: الشازب: الخشن. والضامر اليابس. الجمع: شزّب كركّع، وشوازب.

(4) [المحاداة: المنازعة والتحدي].

(5) يشير الشاعر إلى قول النابغة الذبياني (ديوانه رقم (6) ص 78) في مدح النعمان بن المنذر:

فإنـك شمـس والملـوك كـواكب ... إذا طلعـت لم يـبد مـنهن كـوكب

75 وإذ أنـت ذو نقـدٍ صـحيح ودربـةٍ ... وتِـرب لـنقاد الكـلام وصـاحب
فـردّ علـى مـن قـال هـذا بحجـةٍ ... لـيَعلم كُـلّ أنّ خِطـرَك خاضِـب[1]
إذا كـنتَ لـي في مِـثل هـذا مخطّـئاً ... فكـلّ صَـوابٍ وجهـه عـنكَ غائـبُ
متـى رُمـت أنّ الـصّبح ليلٌ فقد بدا ... إلى كـلّ ذي عَيـنين أنّـك كـاذِب
الا رُبّ أسـرار بـناديك حُلـوةً ... فلمـا أُذيعـتْ مـرّرتها العَـواقب[2]
80 أخلـتَ انـتقادَ الـشّعر فَـرواً ممـزّقاً ... مُـرقّعه ممـن وَهـى مـنه جَانـب
رُويـدكَ يـا هَـذا فمـا الطّـيش معجـزٌ ... ولا العِلم مغصوبٌ ولا الجَهل غاصِب
أمـا أنّـه لـولا الحَـياءُ وأنّـني ... بخيمـيَ عـن سـبل المثالبِ ناكب[3]
لأرسـلتُ من شؤبوبِ نُطقي صَواعقاً ... عليك بأفكاري لهن سَحائب [10/أ]
سِـهام قَـوافٍ لـو لـثهلانَ فـوّقَت ... لهُـدّتْ بهـا مـنه الـذّرى والمـناكِب
85 ولكـنني أغـضي حـياءً مـن العُـلا ... وأصفوا وإنْ لم تصفُ منك المَشارب
وإنـي لمـصدورٌ فـإن كـنتَ نافِـثاً ... فعـذريَ بـادٍ والظّلـوم المُطالـب
زرعـتَ وهـذا مـا حَصدتُ فلا تلُم ... ولا تحـسبنّي إنـني لـك غَالـب
إذا قـادَك الإعجـاب بالقَول بالهَوى ... فـلا تتعـرضْ مَـن علـيه يُحـارِب
بلـى هـو توبـيخٌ علـى ذَنبك الذي ... يَقـومُ بـه عُـذري فهـل أنت تائب؟

وأقول الآن أن قصيدته هذه أجاد سبكها وأحسن، وضمنها المثل الغريب والمعنى المستحسن. وبز[4] فيها جميع البلغاء والفصحاء، وأطلعها رائعة المقاصد والأنحاء[5]، جمع فيها بين صحة المعنى، وعذوبة اللفظ المصقول، وغادرها آية لذوي الأفهام والعقول، واحتدّ فيها

---

(1) [الخطر: نبات يختضب به].
(2) الأصل: مباديها وفيه تحريف صوابه ما أثبتناه.
(3) [الخيم: الطبيعة والأصل] وفي البيت تضمين لتعلق معناه بالبيت الذي يليه.
(4) بزّ: غلب.
(5) الأصل: الأنحا بقصر الاسم الممدود.

[10/ب] ذهنه[1] واتَّقد، ونصر فيها بيته المنتَقَد[2]، حتى استُشعر لبراعته فيها اعظامه، وارتفع بها عن النقد نظامه.

قال أبو بكر الجزار في كتابه الذي ترجمه بـ (بادرة العَصر وفائدة المِصر) وهو كتاب ضمن فيه هذا القصيد والذي تقدم، وأجراه مجرى رسالةِ السيف والقلم[3]، ذكر فيه مثالب[4] الفرائين، ولذلك قاله له:

أخلتَ انتقادَ الشّعر فَرواً مُمَزّقاً[5]

يعرِّض له بالفراية التي كان أبوه يتجر فيها، ويذكر محاسنها على لسانه ويذكر محاسن القصابة مفتخراً بها على الفراية ويذكر مثالبها.

قال أبو بكر في الكتاب المذكور: فعندما وصل البُرجيّ هذا القصيد الذي أوله:

تُريك مِضاءَ المرهفات المضارب[6]

قام وقعد، وشمخ بأنفه ومَرد، واستعرَ[7] ثم خَمَد، وثراقى على بعض إخواني وإخوانه، فاستَحضرنا معا في دكّانه، فلما اطمأنّ بنا المجلس، وسكنت [11/أ] الأنفس وجَرى بيننا من المُخاطبة والمُراجعة، ما يَجري بين الأَخوين الشقيقين من المقاطعة، وكثُر الارتياب مما وقَع فيه العِتاب، أقْسَم إليّ بأيمانٍ لا كفّارة لها، أن الّذي نُقِل إلي زُورٌ، واعتذرَ منه أكملَ عذرٍ، فقلت: معذورٌ فقد قِيل:

---

[1] بالذال المعجمة المكسورة، الفهم والعقل وحفظ القلب، والفطنة، وبالمهملة من الشجر ما يقتل به السباع (ق).

[2] المراد بالبيت المنتقد البيت رقم 4 من القصيدة رقم 1.

[3] لعله يعني رسالة ابن برد الأصغر، وهي من الرسائل المشهورة في الأندلس، الذخيرة 1/ 1/ 523.

[4] جمع مثلبة يقال: ثلبه إذا لامه وعابه (ق).

[5] هو صدر البيت الذي تقدم آنفاً 2/ 80. وفوق كلمة ممزقاً تعليق غير واضح.

[6] هو صدر البيت الذي تقدم آنفاً 2/ 1.

[7] يقال: استعرت النار إذا اتقدت (ق).

(من الطويل)

إذا اعـتذرَ الجاني مَحا العُذرُ ذَنبه[2] وكـل امرئٍ لا يَقبل العذرَ مُذنبُ[1]

فما كان إلا عهدٌ يسير، وأخبرني خبير، أنّ الشيطان قد نفخَ في أنفه سَعيطَ[*] سخفه، ونفض بلاغم قحفِه[3]، وانبرى إلى الهجو، بضروب من اللغو وكان هذا الناقل غير موثوقٍ به في نقله، فقلت: هذا مُحرش علم استصلاحنا، مما شَجر بيننا، فيريد استفسادَنا ليضحك منا، وكيف ينكثُ عهدَه، وقد عَهد أن لاينحل له عَقد إخاء، ولا يتغيّر له شِرب صفاءٍ، وأبعدتُ أن لا أصدقَ شيئاً من أنبائه، حتى اطلعت على رُقعةٍ بهجائه، بخطه ومَطّه [11/ب] ونَقطه وضَبطه، وهي هذه[4]:

(من الكامل)

1 أعلـيّ تعـتبُ شَـاعر الغَـوغاء متعرضـاً جهـلاً لوسـمِ هجائـي؟

يـا خَاطـباً بكـرَ الهِجـاء بلـومه مـا إن أراك لهـا مـن الأكفـاءِ

في الهجْـو رِفعـةُ كـلُ مـرءٍ سَـاقط والغَـبن في سَـفَهٍ علـى السُفهاء

إن كـنتَ تُبغـي أن تُناسِبني، اسـتَعرْ نَـسَباً أُجـبك فلـست لـي بكفـاء

---

(1) البيت جاء غير منسوب في العقد الفريد 2/ 143، بهجة المجالس 1/ 486، فصل المقال 75، الحماسة البصرية نقلاً عن الموسوعة الشعرية، وجاء في بهجة المجالس مسبوقاً بـ:

ومـا كـنت أخـشى أن تـرى لـي زلـة ولكـن قـضاء الله مـا عـنه مهـرب

وفي الحماسة البصرية قول الشاعر:

إذا مـا امـرؤ مـن ذنـبه جـاء تائـباً إلـيك فلـم تغفِـر لـه فلـك الـذنب

(2) فصل المقال: الذنب عذره.

(*) [السعيط: مثل السعوط، الدواء يُصبّ في الأنف].

(3) جمع قحِف بالكسر وهو العظم فوق الدماغ.

(4) واضح أن القصيدة تناقض قصيدة الجزار التي تقدمت آنفاً رقم (1).

5 أعلـيٌّ يـا عـيراً خُـصوصاً تُجـتري ... والأسـد قـد هَابـت كـريهَ لِقائـي[1]
يـا لـيتَ شعري ما الذي أغراك بي؟ ... اْامـنتَ مـن بطـشي ومـن غَلوائي[2]
فرسـانُ قولـي تتَّقـيها- إن عَـدَتْ- ... فرســانَ كــلِّ كتيــبةٍ خــضراء
أنــى تفــوتُ مخــالبي في بلــدةٍ ... أرضِـي بهــا مَبـسوطةٌ وسَــمائي[3]
لـي صَـارمٌ مـا شَـامَه مـن غِمـده ... أحَـدٌ فأفلـتَ وهو ذو سرَّاء [12/أ]
10 لـو كـنتَ تعقِـل لم تُطِـع كـل امرئٍ ... مُتــزنّمٍ بنَمــيمةٍ مــشَّاء[4]
كـدَّرت صـفوَ الـود مـني بعـدَما ... أمحـضته لـكَ والـوَفاءُ وَفائـي
ورَأيـتَ إسـخاطي بقـولةِ كاشـحٍ ... قـد كـنتَ أجـدرَ أن تُرى إرضائي[5]
وأردتَ جحـدَ فـضائِلي فـشهدتَ لي ... إذ صـارَ ذمُّـك شـاهدَ الفُـضلاء
أعـرَاك جـنٌ أم غُـشيت بـنُورها ... فـأردتَ سـترَ شُموسـها بـرِداء؟
15 وزَعمـت أنَّـك في القَـريض مُساجلي ... هـل قِيـست الـدأماء بالاحـساء[6]؟
إن القَـريض لَحِطـةٌ لا خُطـةٌ ... قـد صِـرتَ يـا يُحيـى مـن الـشُّعراء
إن القَـوافي لـو أردتَ مَلاكهـا ... مـا صَـارَتِ إلاّ تحـت ظِـلِّ لوائي[7]
لكـنَّني أرضـى الكَفـاف فـلا أرى ... مُـستجديَ الأمـراء والـوُزراء[8]
لـيسَ الغِنـى بالمـالِ يَجمعـه الفَتـى ... خيُر الغِنى عندي غِنى الحَوباء[9] [12/ب]

---

(1) الأصل: لقاء بدون ياء المتكلم.
(2) جاءت القوافي هجائي وغلوائي في الأصل بدون ياء المتكلم، وهو خطأ.
(3) الأصل سماء بدون ياء المتكلم.
(4) فيه اقتباس إشاري من القلم.
(5) الكاشح: مضمر العداوة.
(6) مساجلي: من ساجله، باراه وفاخره (ق). الدأماء: البحر. الاحساء. جمع حسي: بضم الحاء وكسرها، سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، أو غلظ فوقه رمال، يجمع ماء المطر (ق) [والصواب كما في القاموس بفتح الحاء وكسرها لا بضم الحاء وكسرها].
(7) الأصل (لواء) بدون ياء المتكلم وهمزة (إلا) للوصل ليستقيم الوزن.
(8) مستجدي: سائل.
(9) النفس: جمعها حوباوات (ق).

20 إن كنتَ أعوزَت الثَّراء فإنّ لي ... نفساً قَناعَتها أجلُّ ثَراء[1]

مالي سِوى أدبي غِنى وحَزامةٌ ... ترمي الخطوبَ بِفيلقٍ شَهباء[2]

أصْدى فلا أُبدي لمرءٍ حاجةً ... والنّار تنبعُ من حِمى المَعزاء[3]

إني أعاف غِنى يجرُّ مذلةً ... وأحبّ فَقراً جَالبَ العَلياء

وأرى مواردَ لو أشاءُ وَردُتُها ... لكنّ نفس الحُرّ ذاتُ ظِماء[4]

25 عَجَباً لِيَحيى انْ يكونَ مُفاخري ... هل فاخرَ الديجورُ شمسَ ضُحاء؟

ما غرٌّ ذا المسكين إلا أنّه ... أجرى هَجين قريضِه بخَلاء

أيكونُ في الآداب مِثلُك سابقي ... وصَواهلي حازتْ رِهان عَلاء[5]

إن كانَ أخرّني زَمانٌ جِئتَه ... بَدءٌ التّفكر آخرُ الإنساء

او كنتَ تجهل ما أقول فَعاذرٌ ... أن لا تراه بُمقلةٍ عَمياء؟ [13/أ]

30 يا فَرقداً يسموا لِرُتبة فَرقدٍ ... هَيهات منك كواكبُ الجَوزاء

إن الحَياء لَشيمةٌ محمودةٌ ... لكنّ وَجهك ليس وَجهَ حَياء

تالله لولا أنني أبصرتُه ... لَحسِبتُهُ من صَخرةٍ صمّاء

يا أقحوانيُّ الطّباع لأيّما ... سَبب قَضَبتَ الحَبلَ حَبلَ إخائي[6]

وذمَمتني من غيرِ ذَنبٍ جِئتَه ... فأفدتَ أن غيّرت ماءَ صفائي[7]

35 من أجل أني قلت أنك مُخطئ ... فيما أتَيتَ به من النكراء؟[8]

شَبهت ممدوحاً مدحتَ وعِرسه ... بحمامةٍ زُفّتْ إلى فَتخاء

---

(1) أعوزت: افتقرت. الثراء: منصوب على إلغاء الخافض أي إلى الثراء. تفسير الثراء جاء مطموساً فتعذر عينا قراءته.

(2) الحزم، والحزامة، والحزومة ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة (ق).

(3) اصدى: أعطش. صدي كرضي. [المعزاء مؤنث الأمعز: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة].

(4) يقال ظما وظما وظما، وظماءة فهو ظمىء وظمآن إذا عطش.

(5) رهان: المراهنة والرهان المخاطرة والمسابقة على الخيل (ق).

(6) الأقحوان: البابونج، كتبت قطعت فوق كلمة قضبت.

(7) الأصل: جاءت كلمتا القافية بدون ياء (إخاء وصفاء).

(8) الأصل: آمن جاء مع همزة الاستفهام ولا يستقيم معها الوزن، النكر بالضم وبضمتين: المنكر بالنكراء (ق).

ثم احتجبتَ تخال قولك مثلَه | بمشبهٍ ممدوحه بذكاء
وحسبتَ أن ذُكاء في مدح بها | في اللّفظ مثل اللّقوة[1] الفتخاء
هل أُنشت شمسُ النهار حقيقةً | بالطبع قلْ، إن كنتَ خِدن ذكاء[13/ ب]

40 بالعلم لا بالسبُّ رُدَّ مقالتي | فالسبّ فعلُ الدّعي والضعفاء
ما يعضدُ الإنسانُ قولاً قاله | بالسبّ بل بالحُجة البيضاء
لولا رقيبٌ للمروءةِ ممسكٌ | لي عن هِجا من ليس من أكفائي[2]
لبعثتُ من نطقي إليك عقارباً | لدّاغةً تُعيي على الرُّقاء
وقطعتُ فاك بقولةٍ تُرضي الفدا | لُحقّها بالنفس والآباء[3]

45 لكنّ قرآناً إليك مُجاذبي | وفضيلةً شهدتْ بها أعدائي[4]
خُذها إليك فإنها تُنسى الورى | يا عِتبُ يا ابن الفعلة اللّخناء[5]

قال أبو بكر الجزار: فلما تصفحت رقعته لأعلم فيما نزغته فإذا بها رقعةٌ رقيعة، حَشوها سرابٌ بقيعة[6]، لا تتخلص إلى مدحٍ ولا ذم، ولا تقابل ببنتٍ ولا أم، فعند ذلك، ذهبت إلى مقارضته [14/ أ] على قبح معارضته قاطعاً له: أبعد الله مثله:

(من البسيط)

ولم تَزلْ قِلّة الإنصاف قاطعةً | بين الرِّجال وإن كانوا ذوي رَحِمِ[7]

---

(1) [اللقوة: العقاب السريعة الاختطاف].

(2) الأصل (اكفاء) بدون ياء المتكلم. وفي البيت تضمين لتعلق معناه بالبيت الذي يليه.

(3) في الحاشية رواية أخرى هي الفداء لحقها.

(4) الأصل (أعداء) بدون ياء المتكلم.

(5) العتب بكسر العين المعاتب (ق) ورجل ألخن وامرأة لخناء لم يختنا واللخن محركة قبح ريح الفرج والأرفاغ (ق) [والهاء في خذها تعود على القصيدة].

(6) جمع قاع وهي أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام فيه اقتباس من قوله تعالى النور/ 39: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾

(7) جاء البيت منسوباً إلى المتنبي في الوساطة للجرجاني، ويتيمة الدهر للثعالبي. والتذكرة الحمدونية لابن حمدون والحماسة المغربية للجراوي، وبغير نسبة في أعيان العصر للصفدي، والعقود اللؤلؤية للخزرجي، تنظر الموسوعة الشعرية- قرص مدمج أو موقع الموسوعة على الإنترنت.

وكنت أحسبه لدؤوبه على مطالعة الكتب، وملازمته لقراءة أشعار العرب أنه يفهم الأشعار، ولا يَجهل الإيراد والإصدار، فإذا به ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[1]. فلما اضمحل من الخير فيه ما ظننته، وانحلَّ لي من عهده ما عَقدته، أنشدتُ مرتجلاً وقلت:

[3]

(من الوافر)

1	بلـــوتُ علــياً الفـــرّاء فـــيما	تُعاطـــى مـــن مـــسابقة البَـــيان

فقلت: لا تضربوا الأمثال بعد بها:ب

2	وكـــنت أظـــنّه تِـــبراً نُـــضارا	زَكـــيٌّ الخُـــبر عـــند الامـــتحان
3	فـــإذا أفـــرغتَه في نـــارِ خُـــبرٍ	طلــبتُ فلــم أجــد غــيرَ الــدّخان

وما زلت أتعجب من بلادته، وأستريب من خَرق عادته [14/ب] وإذا بقائل: يا أحمقَ من باقل[2]:

[4]

(من البسيط)

1	لا تطلــبنّ مـــن الفـــرّاء معـــرفةً	إن الـــدماغ مـــن الفـــرّاء مقلـــوبُ
2	إن جـئتَ تـسأله في حاجـة عرضتْ	ظـنّ الغـبي بـأن الجَـص مطلـوب

فقلت أحسن من هذا:

---

(1) اقتباس من قوله تعالى في وصف بني إسرائيل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة/ 5.

(2) ينظر جمهرة الأمثال 1/ 385، 2/ 72، فرائد اللآل، 1/ 181، 2/ 36، حيث جمع بين مثلين هما أحمق من هبنقة وأعيا من باقل.

[5]

(من البسيط)

1- قالوا على جهة الإغباء: أغرب من ... عنقاءُ شكلاً، وهذا غير إغباء[1]

2- فقلت: لا تضربوا الأمثال بعدُ بها ... فإنّ أغرب منها عقلُ فرّاء

فقال: أحسن من هذا:

[6]

(من البسيط)

1- وإنّ طالِبَ فرّاءٍ بمعرفةٍ ... كباحثٍ طالبٍ في رَملةٍ وشَلا

2- فيه السخافة والبغضاء لا جرمٌ ... موجودتان وأمّا غير ذاك فلا[2]

والعلم بالفهم والحس، لا بكثرة الدرس، وفي ذلك أقول: [15/أ]

[7]

(من الطويل)

1- ودارسُ كُتْبِ العلم لا فَهم عنده ... كساعٍ بلا جَدٍّ لإدراك مأرَب

2- ينالُ من العلم الذكيُّ نصيبَه ... وإن هو لم يعكفْ عليه ويدأب

3- وما ينفعُ المرءَ الغبيُّ دراسةٌ ... أينتفعُ الأعمى بكل مجرّب؟

وكنت أبدلته من العتاب[3] بالإعتاب[4]، وأقلته من العِثار بالإيثار، فأبى إلا التمادي في غوايته، والإصرار على جنايته:

---

(1) ينظر فرائد اللآل 1/ 176 "عنقاء مغرب".

(2) لا محالة، أو لا بد، أو حقاً.

(3) الملامة كالعتب، مصدر عتب يعتب ويعتب.

(4) مصدر أعتب إذا طلب إليه العتبى وهي الرضى (ق).

(من الطويل)

وليس عِتاب المرء للمرءِ نافعاً إذا لم يكن للمرء لبٌّ يعاتبه[1]

والعدو وإن أبدى مُصانعة، فإن العداوة كامنة فيه، وإنه كما قيل:

(من البسيط)

إنّ العدوَ وإن أبدى مُصانعةً إذا رأى منك يوماً فرصةً وثبا[2]

أو كما قلت:

[8]

(من المتقارب)

1- وإن العدوَ لكالحيةِ الـ ـلتي كمُنَ السمّ في ذاتها [15/ ب]

2- إذا استمكنت لدَغتْ واعتدتْ ولم تنتفعْ بمُداراتها

فينبغي للعاقل أن ينتهز الفرصة في عدوه قبل أن ينتهزها فيه، ولا يغتر بوده الذي يبديه، وقلت في ذلك:

[9]

(من الطويل)

1 إذا ما تأتتْ في عدوّك فرصةٌ فثبْ وانتهزها وثبةَ الضيغم الأشِر[3]

ولا تكُ مثل المرء أمهلَ لِصّهُ لينظرَ ما يقضي فنامَ وما شعَرْ

وخاضَ جميعَ الليل في بحر نومه ولم ينتبهْ حتى قضى لصه الوَطَر

---

(1) جاء البيت في بهجة المجالس 1/ 725، وفي فصل المقال ص 273 على أنه من قصيدة بشار بن برد "إذا كنت في كل الأمور" وقد أخل الديوان به، ينظر الديوان 1/ 309.

(2) البيت لصالح بن عبد القدوس البصري (ت167هـ) من قصيدة في سبعة أبيات، ينظر صالح بن عبد القدوس، ص 136، رقم 37.

(3) ضرب البيت مطموس فلعل الصواب ما أثبتناه.

ومن أنس الغلط، مسالمة هذا النمط، ومن العجائب أن الشعر معرك لا يعلم حقائقه، إلا من اقتحم مضائقَه، وأن أكون منذ أربعين عاماً أركبُ دَلوله[1] وشارده، وأذوق سُخنه وبارده، ويقوم من غبٍّ الحيزوم[2]، وغير مرتاش القيدوم، ويروم المطار في جوي[3] [16/أ] والاستقصار لشأوي[4]:

مثلَ من علم النّكاح أباه بعد ما عمّ حاجبيه المشيبُ[5]

وأغرب ما جرى معه، أني استعجلت لقاءه لأعلم السبب الذي استوجب هجاءه:

[10]

(من مجزوء الوافر)

1	فلمّا أن تلاقينا	لـتـأنـيـبٍ وإغـضـاء[6]
	بدت في العين منّه	إلـيَّ سـمـاتُ بـغـضـاء
	قلت له وقد غصّت	بـه نفسـي وأعضائي:[7]
	سلامٌ يا أبا حسنٍ	علـيـك سـلامُ إرضـاء
5	سلامٌ مُبدل الميم	علـى فوديك بالـحاء[8]

فازور جانبه إليَّ، ولم يرد السلام عليَّ، فقلت:

---

(1) الأصل "دلوله" بالدال وهو تصحيف والذلول والشرود: الناقة إذا سهلت وانقادت، أو نفرت واستعصت ثم استعير المعنيان للقوافي.

(2) الحيزوم: الصدر ولعل المراد بغب الحيزوم، من لا شان له.

(3) جاءت بعد "جدي" كلمة "وإلا" ولا موضع لها في السياق.

(4) الأصل "لشوي" والصواب ما أثبتناه.

(5) لم نقف على قائل البيت فيما توفر لدينا من مصادر.

(6) وقع الشاعر في عيب "التضمين" وهو أن يعتمد آخر البيت الأول على مستهل البيت الذي يليه.

(7) الأصل "أعضاء" بدون ياء.

(8) حين تبدل ميم "سلام" حاء تصير "سلاح".

[11]

(من مجزوء الكامل)

1 أعليُّ ما هذا الذي ... قد غَار منك والمجدا [16/ب]

بعد المودة والصدا ... قة صِرت من أعدى العِدا

أينَ ادعاؤك للوفا ... ء وما عدا ممّا بدا

فقال: عدوك طوَّرك، وتصريفك غورَّك، وانزالك نفسك في غير مكانها، وسلوكك بها سبيل هوائها، أحلك هذا المحل، وجرَّعك هذا الذل.

فقلت: "رَحِمَ الله من أهدى إلينا عيوبنا، وكشفَ غُيوبنا"[1] فكيف أنزلتُ نفسي في غير مكانها وسلكتُ بها سبيل هوائها.

فقال: بخطابك الذي تعجب به، وتذهبُ فيه غير مذهبه، وتحسب الهذيان شعراً، والبَعر دُراً، وتسمّي نفسَك بالشّاعر الماهر، ولكن شاعرٌ أنت إذ لا شاعر، كما قيل:

لعمرُ أبيك ما نُسبَ المعلى ... إلى كَرمٍ وفي الدّنيا كريم [17/أ]

ولكنّ البلادَ إذا اقشعرتْ ... وصوَّحَ نبتُها رُعيَ الهَشيم[2]

ولو كان شاعر في العصر، لم يعلُ شأنك، ولا عُلِم مكانك، قلنا له: فإنّ لكلّ زمان دولة، ولكل دولة صَولة، وهل ذُكرَ من كان قبلي، أساء أو أحسن، إلا إذا عُدِم الكُفء، وأنا إن كنتُ أذكر في هذا العصر- على زَعمك- فقد صِرت لا كفءَ لي فيه، وكفى بذلك شَرفاً لي وأهلي، فأطرق ساكتاً وطأطأ رأسه باهتاً.

---

[1] جاء القول منسوباً إلى عمر بن عبد العزيز عند أبي عبيد، وإلى عمر ابن الخطاب عند البكري وفيه روايات مختلفة، ينظر: فصل المقال 274 ـ 275، فرائد اللآل 1/ 262.

[2] البيتان لأبي علي البصير، ينظر اشعار أبي علي البصري رقم 47، مجلة المورد 1/ 3/ 149.

فقلتُ: أعجزٌ عن خطاب، أو فكرةٌ عن جواب؟

فقال: ومثلُك يُعجر يا رَبيَّ فَرث الكُروش، وغَذيَّ دم الوحوش، عليك بالتّيوس أصحابك الذين نشأوا بين فَرثِ الأعفاجِ[1] ودماء الأوداج، بين الأقذار والأوضار، وآفات الليل والنهار، ندماء الكلاب ومساقط الذّباب، كلامكم حُباط[2]، وتسبيحكم ضُراط، [17 / ب] تعكفون على الأوضام[3]، عكوفَ الأساقيف على الأصنام، أقوياء الرؤوس ضعفاء النفوس:

[12]

(من الطويل)

1- وقد قلتُ: حقاً- والحقيقة مَهيع-[4]	وهل لامرئٍ في قولةِ الحقّ مَدفعُ
2- فقلت له: أسمعتَ لو كنتَ مُنصفاً	وأوجعتَ لكن ما ستسمع أوجعُ

وإذ كنت البادئَ فلا لوم، إذ نشرت مثالب القوم، فأبلغتَ وأمنعت ولكن قل ممن؟ وابن من أنت؟

فقال: أنا من قوم فضلهم مشهور لا يستر، وعفافهم معروف لا ينكر، لا يتظلم منهم أحد، ولا تَضيق لهم أرض ولا بلد، معروف ذلك فيهم ومروي عنهم، وما ظنك بقومٍ أنا فيهم ومنهم:

[13]

(من الطويل)

1 فإن قليلاً معشر لستُ فيهم	وإن كثيراً من أرى فيهم وحدي
2 وليس بمنكور على الله قدرةً	تُريك جميعَ الفَضل في رجلٍ فَردِ

فقلت: من هذا الذي أنجبك فنعْم ما أدبك [18/أ].

---

(1) [الأعفاج، جمع العفج: المعى].

(2) [الحباط: وجع البطن من الانتفاخ، لكثرة الأكل].

(3) [الأوضام: جمع وضم وهو كل ما يوضع عليه اللحم من خشب أو نحو ذلك يوقى به من الأرض].

(4) [المهيع من الطرق: البين].

[14]

فقال:

(من الطويل)

1 أنا ابن الذي إن قال، صُدِّق قوله ... ولم يك بين الناس فيه خلاف

مهيب، مطاع القول، من غير خُطّة ... عفيف، وزين الفاضلين، عفاف

عليه ثيابٌ حشوهن دماثة ... حسان، تروق الناظرين نظاف

بأنمله ماضي الطّعان مثقفٌ ... خُطاه إلى الطّعن الركين خَفافُ

إذا ازدادَ طَعناً لاءمَ الدّهر سمتَه ... ويَطعنُ قَصداً والطّعان صِدافُ

فقلت: لقد شوقتني إلى هذا الشريف العفيف، فهل من سبيل إلى التأليف والتعريف.

فقال: هو الجميل السَّبلة والزّي، المعروف بعبد الله البرجي.

فقلت: ما شاء الله كان، ولعن الله الشّيطان، كنتُ أظنك من أبناء الوزراء السادة، أو السّراة [18/ب] القادة، فإذا بك ذُبابة سوق، ونُفالة سويق، وهذا الذي تعني من أعرف به مني؟ عهدي به والنحس قد سقف عليه ورفرف، وقرَّطه وشنف، يستأجره عمك بالفلس ويأمر فيه وينهى بالثمن البخس، لا يملك قطميراً، ولا يعدل نقيراً، وكأني والله، أنظر إليه، والجص قد عجى سباله[1]، وخضب وجهه وسرباله، رب وضيع ارتفع، ورفيع اتّضع، وإنك في تعييرك لنا بـفَرث الأعفاج ودماء الأوداج لكما قال الله تعالى[2]: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ فهلا تذكرت فارعويت أو تفكّرت فاستحييت.

وأما قولك: نُدماء الكلاب ومساقيط الذُّباب.

فأقول: إن كلَّ حيوانٍ من ناطقٍ وصامت باحثٍ عن مصلحته (مستدفع لمضرته)[3] بالقوى الطبيعية التي ركبها الله فيه، فحيث وجد مصلحته مال إليها [19/أ] وأقام عليها،

---

(1) [عجى: أمال، السبال جمع سبلة وهو ما على الشارب من الشعر أو طرفه، أو طرف اللحية أو مقدمتها].

(2) يس آية / 78.

(3) الزيادة من الحاشية.

فقد جعلنا الله سبباً لمعاش أمم كثيرة، وجعلكم مشاركين مع الذباب والكلاب، بافتقاركم إلينا وطلاب معاشكم عندنا، فنحن أقوى أسباب هذا الرزق، لأكثر هذا الخلق:

[15]

(من الرجز)

1 فمنهم الكراش والسلاخ ... إليهم السبار والطباخ[1]

والصنع المألوف والجلاد ... ودابغ الجلود والحدّاد

إليهم الروّاس والبلاجي ... ثم الفتى المدعو بالسرّاج

ومنهم الفران والزقاق ... يليهم الرقاق والمواق

5 وبائع الأخفاف والخفاف ... وبعده الكبّار والدّفاف

ومنهم القرّان والخرّاز ... إليهم الغربال والشكاز[2]

وصانعُ الأوتارِ للعيدان ... بين مثالثٍ إلى مثاني [19/ب]

وصانع المُصحف والسَّقاء ... ثم بغايا القِفَّة الغراء[3]

9 ثم الكِلابُ الكُثر والذُّباب ... لامينَ في قولي ولا ارتياب

فهؤلاء أتباعنا، حاشى من لم نذكره، فمن أتباعكم يا بغاث الورى، وأضغاث الكرى، ثِفال رحى ونساء بِلحى؟

---

(1) وردت في القصيدة الإشارة إلى جملة من المهن والصناعات التي شاعت في عصر الشاعر وبعضها معروف في أيامنا، ولقد تكرم الدكتور حسين على محفوظ مشكوراً فأفادني معاني ما لم أقف عليه في المعجم، فأما السبار: فالجراح الذي يسبر غور الجرح، وأما الرواس فالأصل فيه الرأس: كشداد، بائع الرؤوس والرواس لحن منه ولعل البلاج: من البلجة، وهي نقاوة ما بين الحاجبين، والرقاق: صانع الرق: الجلد الرقيق يكتب فيه. الرقاق: السقاء، والمواق: صانع الموق، وهو خف غليظ يلبس فوق الخف، والأخفاف: جمع خف، والخفاف: صانعه، والكبار: صانع الكبر: نوع من الطبول، والقرّان: صانع القرون تصنع منه الدمالج والأسورة، والغربال والشكاز، صانع الغربال والشكر: نوع من الربع الجيب يتخذ للأغراض الفلكية قديماً.

(2) الأصل: الغرناق: وهو تحريف ما أثبتناه.

(3) الأصل: الفراء: وهو تحريف ما أثبتناه.

[16]

(من الطويل)

1- نساءٌ ولكن شَانُ أوجهها اللّحى فلا منة فيكم ولا مُتعة ترجى
2- فأنتم خَشاشُ الأرض في كل بلدةٍ فليس لمدحٍ تصلحون ولا هِجا[1]

[17]

(من مجزوء الرمل)

1 وسواءٌ أنتمُ في حالتي عُسرى ويُسرى
لؤماءٌ جبناءُ تسحبونَ البُخل تجرا
3 فرجالٌ كنِساءٍ وغنىً يُشبه فَقرا

فقال: إنّ لكل مقام مقالاً، وإنّ لكلّ كلامٍ جواباً، وإن نزغَتك هذه لسخيفة، وإن حُجتك لضَعيفة، لأنّ من الأشياء أشياءً يدعو [20/أ] الاضطرار إليها كالكَنيف الذي يؤتى للضّرورة، وأنتم وإن وقعتْ عليكم القَلانس والعَمائم، فذلك للاضطرار إليكم، لأنكم أهل الازديار على الاختيار، وأمّا نحن فتقصدنا[2] الأشراف وتجالسنا، وتأنسُ بنا وتؤانسنا، ولا نرى أحداً يزوركم إلا للضرورة التي أوضحنا والسّبب الذي شرحنا.

فأقول: إنما صار استهجان الناسِ للقصابين للشّهوات التي تحولُ بينهم وبين النظر بعين الحقيقة، في الجليلة والدقيقة، ولو كانت لَك يا جاهل، مُسكةُ عقل، يفرق بين النور والظلمة، لاعترفتَ بإنعام الله تعالى عليك وعلى آلك بنا، إذ أنتم فرع نحن أصله:

[18]

(من المتقارب)

1 تُريدُ لتُطفىءَ أنوارَنا وما يُدفعُ الحقّ بالباطل
وتطمعُ في غَمرِ أقداحِنا وذلك ما لستَ بالنّائل [20/ب]
3 كأكمهَ يَسخر من مُبصرٍ وحافٍ يشيرُ على ناعِل

---

(1) واضح أن الشاعر انتقل ـ على غير عادته ـ إلى أبيات أخرى بذات الموضوع.
(2) الأصل: تقصدنا بدون فاء وهو خطأ.

[19]

وقال:

(من الطويل)

1 وإنا وإياكم كمرءٍ مُعذبٍ   بأبناءِ سوءٍ يُظهرون عقوقا
2 إذا رَام يَهديهم طَريق رشادهم   أبوه وقالوا: لا نَراهُ طريقا

[20]

وقال:

(من الطويل)

1 وإنكمُ في نَشركم لعُيوبنا   وطيّكمُ ما أنتمُ بسبيله
2 كأعمى اغتَدى ممن به دَلّ سَاخراً   فأعجِبْ بأعمى ساخراً بدليله

يا خُشارة[1] الآباء، وحشرات[2] البر والدأماء.

[21]

(من الطويل)

1 ألستم بتَدليس الفِراء عُرفتمُ   وذلك ظلمٌ ليس يَعدله ظلمُ
تُبيعونها من جَاهلين بأمرها   مُزوّقة محسومةً ما لها رَسم [21/أ]
تُقعقعُ مثل الشَن فوق جُسومهم   فليس بها في البَرد ينتَفعُ الجسمُ
وتُمتد إمّا مسّها بعضُ نَدوة   وإن مَسّها شيءٌ من الحرّ تُنضمّ[3]
5 فإن قَعدوا تُنفخ لهم في وُجوههم   كأكيارِ حدّاد إذا اشتعلَ الفَحمُ
فهن إذا ما البَردُ صَالتْ جيوشه   سواءٌ على من يَستترْ به والعدم[4]

---

(1) الخشارة (بالضم) الرديء من كل شيء وسفلة الناس (ق).

(2) على يمين الصفحة تعليق بكلمة (حسرات)، أمم الهوام والدواب الصغار، وليس يجمع كما يتوهم (ق).

(3) الأصل: ان مسهاَ ولا يستقيم بها الوزن.

(4) الأصل بَها والعدمَ وفيه تحريف صوابه ما أثبتناه.

ثُبيعونها بالرّبح نَقْداً وأنتمُ إلى أمَدٍ ابتَعتُموها وذا غُشم
ويَنفعُ بعضٌ بَعضكم في شِرائها وفاعلُ ذا بالشّيخِ إبليسَ يأتم
وإنْ جازَ والمُضطر وافقَ غَالباً ويَقصرُ عن إدْرَاك غالٍ فَيَغتَمّ
10 فيَبتاع ما لا خيرَ فيه وقد رَأى لفرطِ اضطرارٍ أنّ ما ابتاعَه غُنْم
وماذا عَسى المُضطرّ يَصنعه وقد ثمعّر منه الوجهُ وانقَعر الجِسم[1]
مُزابنةٌ تُفضي إلى غَاية الرّبا وذلك ثلمٌ بالدّيانة بل خَرْم[21/ ب][2]
13 ومن يكُ ربحُ السّوء أسّاً لماله ويبنِ عليه فالّذي فَعل الهَدم

وهل أنتم بين هذا الخلق إلا كواو "عَمرو" أُقحمت للفرق[3]، أو كفاسِ نَحّاس يلمع ولا يَقطع، وأما نحن فأُسودٌ ضوارٍ، وسُيوف عوارٍ، لا يضامُ لنا جار ولا يدركُ فينا ثار، نُفوسٌ أبيّة، وحمّيةٌ جاهلية.

[22]

(من الطويل)

1- إذا كانَ منا واحدٌ في قَبيلة كفاها وإن ضَاق الخِناقُ حَماها
2- ولسنا كأنتم إن ألّت كريهةٌ جَزِعتم وقلتمْ من يَحلُّ عُراها

[23]

(من الطويل)

1 إذا ما غَزَونا[4] أرضَ آل عنيزةٍ غَزَتْ معناً عُقبانها ونُسورُها

---

(1) [تعمر: تقبض وجهه وتغير غيظاً، ومعر النخلة: قطعها من أصلها].
(2) [الزبن: بيع كل ثمر على شجره بتمر كيلاً، أو هو بيع ما لا يعلم بمعلوم المقدار].
(3) اخذ المعنى من قول أبي نواس في أشجع السلمي:

إنما أنت من سليم كواو الحقت في الهجاء ظلماً بعمرو

وقد وردت هذه العبارة في رسالة ابن زيدون الهزلية (ديوان ابن زيدون ورسائله 669).
(4) الأصل "غرونا" بالراء المهملة وهو تصحيف.

وإن نحن نازلنا الكتائب أدبرت وطارت ميامينا علينا طيورها
3 تقاسمهم أسيافنا شر قسمة ففينا غواشيهم وفيها صدورها

لم يفطم لنا رضيع، إلا أُرضع أخلافَ البأس الشديد، وعوضت [22/أ] راحتاه بالمُدى من النهود[1]:

[24]

(من الطويل)

1 فمنا أسودٌ ضاريات عوابس قُروم، كرام الراحتين، فحول
إذا نحن روينا الصوارم من دم فتلك دماءٌ ما لهن ذُحول
ولسنا نهابُ الجمع عند لقائه سواء كثير عندنا وقليل
وأسيافُنا تندى وما كل ساعة عليها النفوس الجامدات تسيل
5 مُعودةً أن لا تسيل نصالها فتعمدَ حتى تُستباح قبيل
إذا قَصرت في الحرب بالباسل الخُطا فإن خطانا في الحروب تطول

فأنتم ليت شعري لماذا خُلقتم، أو بأي شيء سوى النوك، والجبن، شهرتم؟ ألفتم الجبن حتى أنكم لفرط الجبن يفر الوالد من الابن:

[25]

(من البسيط)

1 وإنما قِيل: فرّاءٌ لصَانِعكم على المجازِ وكان الأصل فرّارا[2]
إن دبّ ذرٌّ لديكم دُبتمُ فَرَقا ومتمُ جَزَعاً أن تُبصروا الفَارا [22/ب]
ونحنُ فتيةُ حربٍ سافكون دماً أسداً إذا نَشِبت ناباً وأظفارا
نُروى المُدى من نَجيعٍ قانئٍ أبَداً وليس يُدرِك فينا طالبٌ ثارا
5 بَني الفِراية لا خُلدتمُ فلقد خَلدتُم في الآنام الشَّين والعَارا

---

[1] طمست بقية السطر بمقدار خمس كلمات.

[2] الأصل فرارٌ مرفوعة على الحكاية.

[26]

(من مجزوء الوافر)

1- وكمْ للنّاس في الآمثا ل من حِكَم ومن عِبره

فإنْ أحببت أن تُروى من السّباقُ بالخِبره[1]

3- ومن أعلى يداً فانظرْ إلى السّاطور والإبره[2]

نشدتكمُ الله معشرَ الفرائين[3]، ألستمْ فروعنا، منا تتغذون، وبنا تتنعّمون، ألسنا رياسكم، وبنا يقوم مَعاشكم، قالوا: بلى، قلت: فلأي شيءٍ استهواكم، ومِلتمُ مع هذا الذي أغواكم، ألم تعلموا أنّ للحق ناصراً يَعضده، ورَبّاً يَنصره ويؤيده، "فأقبل بعضكم على بعض [23/أ] يتلاومون"[4].

وقالوا: إنّا إذا لَجأنا[5] إلى اليَمين، فـ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾[6] وآن أن يُؤثر الصدق، لك الفضلُ والسَّبق، لله در الحق ما أحسنه وأوضحه، وقبّح الله الباطلَ ما ألعنه وأفضحه.

قلت: أفعجزتم؟

قالوا: لا مدفع، ولَلحق أحقّ أن يُتبع.

قلت: فإذا عجزتم، فلا بد أنْ أعقد عليكم بالفَلَج عَقداً، يكون بيني وبينكم سداً، ويكون لمن بعدي رُكنا، يَلجأ إليه، إن قام قائم عليه.

---

(1) الأصل "من السابقُ" ولا يستقيم به الوزن.

(2) هذه الأبيات الثلاثة جاءت مكتوبة كتابة نثرية.

(3) الأصل "الفراءين" وهو خطأ.

(4) اقتباس إشاري من القرآن الكريم، القلم/ 30 ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾.

(5) الأصل (لجائنا) وهو خطأ.

(6) اقتباس من القرآن الكريم، يوسف/ 52.

[27]

(من الطويل)

1 فقالوا: شَهِدنا إنّك السّابق الذي	بَراهِنُه بالحقّ تُقْضِي وتُشهد
عَجِزنا ولا دَفعٌ لنا في الذي به	أتيت وقولِ الحقّ فرضٌ مؤكّد
وإن 'علياً جاء بالبَاطل الذي	قد اخزاه[1] حتى قد عَراه التبلّد
4 ومن ينتحلْ ما ليسَ فيه بمُحسنٍ	فذلك عند الامتحانِ المُفندُ [23/ب]

ثم عطف القوم على 'عليٍّ وقالوا له: انظرْ ماذا جَنيت علينا؟ وأيُّ خِزيٍ جلبتَ إلينا؟

فقال لهم: إن الهزائمَ مخلوقاتٌ، وإن المناظرةَ لها أوقات.

قالوا: نعم، ولكن نُرى أن نستصلحه، لندفع عنا مثالبه، ونأمن بذلك جانبه، فأقبل القوم إليّ.

وقالوا لي: الدنيا دول، ولن يَصلح لأحدٍ فيها عمل، ونرى من الصواب أن نعقِد بيننا وبينك عَقداً، نستوثقُ به ونأمنُ من تقلّبه.

فقلت: أما إذ أذعنتم هذا الإذعان[2]، وأعلنتم بالاستخزاء هذا الإعلان، فسيروا آمنين، يغفِر الله لي ولكم أجمعين.

ثم إن 'علياً لما رأى ما في ذلك عليه من الخزي العظيم، والعار المقيم، قال للقوم: إنّ هذا الذي ذهبتم إليه ليس مُعوِّلي عليه.

قيل له: لم ذلك؟

قال: لأنه في الأدب [24/أ] يُجاريني ولا يدانيني.

قيل له: فماذا تريد؟

---

[1] همزة آخزىَ للوصل لضرورة الوزن.

[2] قسم الناسخ الكلمة جزاين في نهاية السطر وأوله.

قال: أريد مناقشته ومناظرته، فإنه وإن كان على شعره رونق طبع، فباعه في الأدب قصير، وجناحه فيه كسير.

فقالوا: نُرى أن تدعه فإن الحق معه، فقلت: وهذا من الباذنجان، فسمع هذا المقال فارتجل وقال:

[28]

(من الطويل)

1- أنا السَّابق الرَّحب الخُطا في التَّأدب ... أنا المَاهر المشهورُ في كلّ مَذهبِ

2- نُروح بآدابي الرَّكاب ونُغتَدي ... وقد شُهرتْ في كلّ شرقٍ ومَغربِ

فلما سمعت مقاله، راعني ما قاله.

وقلت: لا شك أنك عزمتَ على المناظرة، واستعددت بالتمثل والمحاضرة.

فقال: أجل.

فقلت: فأقول؟

قال: قل.

قلت: بأي شيء تعترض علينا في قولنا:

لم تسمعِ الآذانُ قبلَ هِدائها ... بحمامةٍ زُفت إلى فَتخاء [24/ب]

فقال: لشيء لو علمتَه، ما أقررتَ بهذا البيت ولا قلته.

قلت: فما هو؟

قال: تشبيهك المذكر النّاطق، بالمؤنث الصَّامت، وتشبيهُ المذكر بالمؤنث فيه ما فيه، والفتخاء، منفعلة[1] بطبعها، ولا مذكر لها من لفظها ألا ترى، أنك لا تقول فتخاء مذكر كما تقول عُقاب أنثى.

---

[1] افادني الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ مشكوراً بأن المقصود بـمنفعلة أنها تقوم مقام الذكر والأنثى تفعل وتنفعل.

قلنا له: إن الفتخاء وإن كانت مؤنثة، فإن فعلها مذكر، وذلك الذي أردنا وكفى أنّها رئيس الطيور، وجميع الطيور مُذعنة لها كإذعان الناس إلى الملوك، وإنما شبّهنا بصَولتها لا بذاتها[1] على التمثيل، لا لأنه فتخاء ولا أن عِرْسَه حمامة، أو تريد أن يكون المشبه بالشيء ذلك الشيء بعينه؟

ولقد تذكرت لبعض المحدثين مِثل[2] هذا، وكان يعرف بابن ناصح[3]، وكان منتسباً إلى بغداد، وكأني [25/أ] أنظر إليه، وقد قام ينشد المظفر[4] رحمه الله قصيدة قافية، يصف في بعض فصولها الشاذروان فقال:

والماءُ فوقَ الشّاذروان كأنه ماءٌ يسيلُ على رِقاب النّوق

فأضحك الحاضرين بقوله والماء كأنه ماء، ونحن إن شبهنا بالفتخاء، فلِذكرتها وصولتها على التمثيل، كما قلنا.

فقال: كم ذا تحيدُ عن السبيل، وتسري بغير دليل، وإنما نريد منك شاهداً من كلام العرب شُبِّه فيه مذكرٌ ناطق بمؤنث صامت؟

قلت: ذلك في كلام العرب موجود، وفي تشابيههم محدود، لو أحطتَ علماً بكلام العرب.

فقال: فهاته.

قلنا له: الحية، منفعلة بطبعها مؤنثة بلفظها[5] وقد شبه بها الفرسان الشجعان، وأكثر من ذلك المتقدمون والمتأخرون، على ما [25/ب] فيها من النتن وفظاعة المنظر ودمامته، وجعلوا ذلك غاية في المدح، فمن المتقدمين:

---

(1) الأصل (لابذالها) وهو تحريف.

(2) تكررت في الأصل كلمة مثل.

(3) لم نقف على ترجمة له فيما توفر بين أيدينا من مصادر.

(4) الغالب أن يكون المقصود به المظفر بن الأفطس محمد بن عبد الله حاكم بطليوس (437 ـ 461هـ)، وقد عرف بأنه كان شغوفاً بالشعر والأدب وهو صاحب الموسوعة الأدبية التاريخية المظفرى ينظر (البيان المغرب 3/ 236، المعجب 128، أعمال الأعلام 183).

(5) الأصل: بطبعها، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(من المتقارب)

فلو أنّهم قتلوا مالكاً لكنت لهم حيةً راصده[1]

والأخطل[2]:

(من الطويل)

فما تُرَكتْ قومي لقَومك حيةً تُغلّب في ثجْرِ ولا بَلَدٍ قَفر[3]

والآخر:

(من الطويل)

إذا حَيةٌ أعيى الرُّقاة دَواؤها بَعثنا لها تحتَ الظّلام ابنَ مُلجِمِ[4]

ومن المتأخرين أبو نواس قال:

(من الكامل)

ماذا عَسيتَ ومن وَرائك حيةٌ تُعيي الأسود ومن ورائك عُلّسُ[5]

وقال تميم:

---

(1) البيت لمالك بن عمرو العامري، في جمهرة الأمثال للعسكري برواية:

فأقسم لو قتلوا سِماكا لكنت لهم حيةً راصدة

وكتب بصيغة نثرية خطا، وجاء البيت في نهاية الأرب للنويري، كذلك.

(2) الأخطل، غياث بن غوث (ت90هـ) من بني تغلب، مدح بني أمية بالشام، نشأ على المسيحية في الحيرة اقترن اسمه بالنقائض، الأعلام 5/ 123.

(3) شعر الأخطل 1/ 188، الحيوان 4/ 240، المذكر والمؤنث 546 (برواية أخرى).

(4) سقطت همزة الوصل من (ابن)، وقد جاء البيت في الأمالي 2/ 256 منسوباً للنجاشي وهو قيس بن عمرو بن الحارث بن كهلان شاعر هجاء مخضرم، أصله من نجران وانتقل إلى الحجاز، واستقر في الكوفة توفى نحو سنة 40هـ ينظر الأعلام 5/ 207.

(5) البيت مما أخل به ديوان أبي نواس.

(من المتقارب)

هو الحيةُ الصِّلّ من نَفْثِها   تُميتُ وتقتلُ أصلالَها[1]

هذا إذا عنوا الحية الأنثى، فإذا عنوا الحية الذكر فسّروا.

قال عبد الرحمن:

(من البسيط)

إذا رأيتَ بوادٍ حيّةً ذكَرا فامرزْ   ودعني أمارسْ حيّة الوادي[2] [26/أ]

وقال الحسن:

قَهوةٌ في الكَأس مُترعةٌ   كلسانِ الحيّة الذّكر[3]

ولذلك إذا أرادوا الذّكر من الحيات قالوا: "هذه حية ذكر" وإذا أرادوا الأنثى قالوا: "حية" بالإطلاق.

فجعل يطرق، وخرسَ لا يَنطق، كأنما ألقمتَه حجَراً، أو سَقط عليه خرا:

وابنُ اللّبون إذا ما لُزّ في قَرنٍ   لم يستطعْ صولةَ البُزلِ القَناعيس[4]

والآن فلنبدأ بتزييفِ[5] بهرَجك، وإذواءِ عَرفجك، أما بعد:

---

(1) ديوان تميم بن المعز، ص 318، وتميم بن المعز بن المنصور بن القائم الفاطمي أبو علي، امير، كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب، فنشأ في الثراء، ومال إلى الأدب توفي بمصر سنة 374هـ (الأعلام 2/ 88).

(2) جاء البيت بغير عزو في الحيوان 4/ 235، ثمار القلوب 335، المخصص 16/ 101.

(3) البيتَ في قطب السرور، الرقيق القيرواني، الموسوعة الشعرية، قرص مدمج- المجمع الثقافي في أبو ظبي وروايته:

قَهــوةٌ في الكَــأس مُترعــةٌ   كلــسانِ الحــيّة الذّكــر

(4) سقطت همزة الوصل من آبنُ. البيت لجرير ينظر ديوانه ص 250.

(5) الأصل بتزيف بياء واحدة.

أيها الجامحُ في ميدان إعجابه بعُجابه، والطّامح بإغرابه، إلى ما أغرى به، والكودنُ[1] المُتعاطى قصبَ السّباق بمضمار العُقاق[2]، المنكوسُ بَندُ ادّعائه[3]، والمهزوم جند غلوائه[4]، فإنه وَردَتنا بكرك المباكرة بالجَفا، مستبدَلةً بالغَدَر من الوفا، مطوقةَ العُنق، بأغلاقِ الحُمق، وضِرةَ [26/ب] الإهاب والجلباب، يتيمةَ الأنساب والأحساب، تسفرُ عن دميمٍ وَقاع، وتفترّ عن ذي قلح[5] غير وضّاح، ذفرةَ الرّياح، كأنّما غُمست في السُّلاح، في صَحيفة سَخيفة، مملوءةٍ هَذياناً لا بَياناً، وبَعراً لا شِعْرَاً، قد حسرتْ لثامَ الحياء، عن مَعرى قليل الماء، فبرزتْ خالية الترائب، إلا من أعلاقِ المعائب، خاليةَ الرّسيم[6] إلا من العَار المقيم، فنَاهيك من جوهر، عَقلك صَدفُه، وجهلك بحره ونطفهُ، وإنْ كنت ـ أسخنَ الله عَينك، وأدنى حَينك ـ جادلتنا بالباطل، وأردت تحلية جيدك العاطل، بلَدَدِك الذي حططت به عن وجه جهلك برقعه، وأوضحت شكله ومَهيعه، ولن يُغلب من كان الحق معه، ولستُ بأول من جادلتَ بزخارف مَحالك، وكاشفته بخزار[7] جدالك، هذه شِيمتك مع كل [27/أ] من لابسته، وسيرتك مع كل من حالفته، وجالسته، حتى ألحقت إخوانك بأعدائك، بسخافتك واعتدائك، ألمْ تعلم أنّ معاندةَ الناس من سمات الخساس، وأنّ رأس العَقل بعد الإيمان التودد إلى الناس، كما قال رسول الله ﷺ: "ألا أُنبئكم بشرالناس؟" قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "من أكل وحده، وظلم عبده، ومنع رفده، ألا أنبئكم بشرٍ من ذلكم، من يُبغض الناس، ويبغضونه"[8] وأنت قد قَضبتَ حبل أصادقِك، بدعواك ومَخارقك.

---

(1) [الكودن: الذي يثقل في مشيه ويبطئ].

(2) [العقاق: من العقة حفرة عميقة في الأرض].

(3) الأصل: "بندا دعائه" وهو خطأ من الناسخ، والبند هو الراية ونكوسها كناية عن الفشل والخسارة.

(4) قاح الجرح، يقيح، أفرز القيح.

(5) القلح: صفرة الأسنان.

(6) رسمت الناقة رسيما، أثرت في الأرض.

(7) [الخازر: الرجل الداهية، وخزر: تداهى وهرب].

(8) تكرم الشيخ حمدي السلفي (جزاه الله خيراً) فخرج لي الحديث من حديث ابن عباس (رض)، وفي روايته اختلاف كذلك جاء الحديث في الترغيب 6/ 143، مشيراً إلى عدم صحته، وذكره السيوطي في الجامع الصغير، برواية أخرى، ونسبه إلى ابن عساكر في تاريخه.

أترى عملك مبتدعاً من تلقائك، لم يطالعه أحد سواك، أو معمى لم يفكه غيرك، لقد استحوذ عليك العُجب، حتى أوهمك الجهل أنّك نسيج وحدك، وفريد مِصرك، فجعلتَ تُحمي جهلك، بخلقٍ دني، وفعل [27/ ب] سخيف غبي.

فهلا أضربت عن خُلق اللئام السّخاف، وتحلّيت بخُلق الكرام الظِّراف، الذين ينسبكون انسباكَ الذّهب في بُوَط[1] التظريف والأدب، وينخرطون في كل مخرطة، ويتطرقون إلى الطرب، من سير مِطرقة، دون كبرٍ، ولا مخرقة، ألم تعلم أن تُرَقبَ عثرات الأنام من سمات الطعام؟

فما لك تتحلى بهذه الحُلي في كل ملأ، وخلأ؟ أبهذا تطمعُ أن تسود؟ كلا وربِّي، لا يُفلح مَن هذه طريقته، ولو بَدَتْ إلى العالم حَقيقته، ثم إنك تتحلى بحِلي النَّجدة والباس[2]، ولا تستحي من الله، ولا من الناس.

يا ليتَ شِعري ما هذه الخَنزُوانة؟[3] التي قامت ببابك فشَرَدت بها عن آلك، وأعمامك، وأخوالك، حتى ادّعيت من البَسالة ما جرَّ لك غمزاً، وعاد عليه هَمزاً ولَمزاً.

ألمْ تعلم أنّ لكلّ [29/ أ] سَاقطةٍ لاقطةً[4]، ولكل جامحةٍ ضَابطة، فقل: كيف اتفق لك هذا السَّعد، حتى هابت صَولتك الأُسد.

حَنانَك[5] يا عمرو[6] حنانك، ويا زيدَ الخيل[7]، قَصِّرْ عِنانك، وإذا لحظك ذو الحسد الباغي ورَمق، فأكثرْ من قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ أو تعوذ من عيون الحاسدين، بآي ﴿صۤ﴾ وآي ﴿يسۤ﴾، فقد كُملت فيك الخصال، وما آفة البدر إلا الكمال، فَسِمْ نفسك بعيبٍ واحدٍ فهو

---

(1) البوط جمع بوطة، الذي يذيب فيه الصائغ.

(2) [بتسهيل الهمزة].

(3) [الخنزوانة: الكبر والتعالي].

(4) هذا المثل من قول أكثم بن صيفي في خطأ القول وهذره، معجم الأمثال 2/ 178، فصل المقال 23، مجمع الأمثال 2/ 94.

(5) اي تحنن عليَّ مرة بعد مرة، وحنانا بعد حنان، هذا معنى حنانيك (ق).

(6) هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي الفارس العربي المشهور، (ت21هـ) بعد أن شهد اليرموك والقادسية جمع ديوانه هاشم الطعان، الأعلام 5/ 86.

(7) زيد الخيل، أبو مكنف بن مهلهل من أبطال الجاهلية وفد على النبي (ص)، وأسلم وسماه الرسول « زيد الخير » جمع شعره د. نوري حمودي القيسي (ت سنة 9هـ)، الأعلام 3/ 61.

أولى، فيقول الناس ما أكمل فلاناً لولا، فعساك توقّى بذلك شرهم، وتأمن بعون الله ضَرهم وخذ بقول الشاعر:

(من الكامل)

شَخص الأنام إلى كمالك فاستعذْ   من شر أعينهم بعيبٍ واحد[1]

وقال الآخر، وكأنه عناك بقوله:

قد كانَ قومك[3] يَحسبونك سيّداً   وأخالُ أنك سيّد مَعيون[2] [29/ب]

فإذا خَرَجت من دَارك فانفثْ ثلاثاً عن يَسارك، فبذلك تُفرق منك الجن، ويَنجلي الغمّ والحزن، فاجعلْ وصيتي نُصبَ عينيك، ودع من يقول:

هوّن عليك، فإني أخافُ، أن ترشقك سِهام العُيون، فتُرديك، وتُرمقك من كثبٍ[4] فتُودِيك، وتُضيقُ عليك الأوطانُ والأعطان، وتُنبتً بك الأسباب والأشطان، وخليفتي عليك الشّيطان، واعلمْ أني دبّرت لك "بَختجاً"[5] يَشفيك من داء الجنون، ويَقيك من سهام العيون، وهو من أفضل ما تُداوَى به المُتلخنون[6]، وأُفيد به الموسوسون، وقد أثنى عليه الأطباء المتقدمون، فقالوا: إنه ينقّي بطونَ الدّماغ، من فضول الفَراغ، ويَحدِر بلاغمَ القَمحدُوة[7] السّخيفة، ببُخاراته اللّطيفة، ويقوّي عَصَبها، [30/أ] الامتلاء من الطعام عند النوم، مركب لمزاجك، من خراج نتاجك[8]، قد جُرّبت في مثلك منفعته، وهذه نسخته:

---

(1) البيت للمتنبي في زهر الآداب، 85. وجاء في مصادر أخرى منسوباً إلى كشاجم، منها خمسة للثعالبي هي: الإعجاز والإيجاز والتمثيل والمحاضرة، وخاص الخاص، ولباب الآداب، ونثر النظم وحل الفقد، كذلك نهاية الأدب للنويرى، وأعيان العصر للصفدي، والكشكول للعاملي. وفي ديوان المعاني للعسكري بدون نسبة.

(2) البيت في شرح ديوان المتنبي للعكبري 4/ 165، وفي درّة الغوّاص للحريري بغير نسبة، وفي الأمالي للمرزوقي، جاء عجز البيت بغير نسبة كذلك، ونسب إلى العباس بن مرداس في المنمق في أخبار قريش لابن حبيب، والحيوان للجاحظ، والأغاني للأصفهاني، والحماسة البصرية للبصري. تنظر الموسوعة الشعرية.

(3) الأصل قوماً وهو تحريف ما أثبتناه.

(4) كثب: القرب.

(5) [يبدو أن البختج كلمة محلية تطلق على نوع من الدواء].

(6) المتلخنون: المترددون في الباطل.

(7) [في القاموس أن القمحدة، الهنة الناشزة فوق القفا، وأعلى القذال خلف الأذنين، ومؤخرة القذال].

(8) في الحاشية تعليق على الكلمة مطموس. ويبدو أنها محرفة عن نتاجك.

[29]

(من الطويل)

1 فخـذ أولاً بـسَفايج العقـلِ خَالـصاً ... مـن الـنُّوك[1] واجـرُدْ زُعـبه وتأنَّـق

وأنقعـه بعــدَ الـرَّض يـوماً ولـيلةً ... ليرطــبَ في مــاءِ الحَــياء المــروّق[2]

وأحكِـمْ علـى مـاءِ النَّـباهة طـبخَه ... قلـيلاً قلـيلاً، واحـذرِ العُنف وارفِق

وخـذْ من لَحَا إهليلج الفَهم والذَّكا ... ومـن فَيتمون الفِطنة الأحمر النَّقي[3]

5 وألـقِ علـى المـاءِ العَقـاقير كلَّهـا ... غُــباراً وضَــرِّبه[4] بهــا يتــصفَّق

وزد فـيه مـن مَحمـودةِ العَقل دَانقاً ... لتَحذِر من كَيموس[5] نُوكِك ما بَقي

وخُـذْ منه كَأسـاً كلَّ يوم على الطَّوى ... وداومْ علــى هــذا العِــلاج تُوفَّــق

وتُحـذِرك أخلاطَ الجُنونِ من اسْفلٍ ... بـرفقٍ وتأمنْ كلَّ ما مِنه تتقي[30/ب]

وإنْ شِـئتَ حـسمَ الدَّاء في مرّةٍ وأن ... يُقيـئك من أعلى فِزد جُزء خَربق[6]

10 وإن كــان مَعــدوماً وعَــزّ وجــوُده ... فخُـذْ بـدلاً من خَربقٍ بَذرَ سَرمَق[7]

وإنْ جــاءَ مُــرّاً في المَــذاقِ وعِفــته ... مخافــةَ قَيــيءٍ مُفــرطٍ أو تَــزلّق[8]

فخـذْ مـن خَـرا هِـرّ وكلـبٍ مُبرس ... مُـسنٍ بَهـيم اللَّـون لـيسَ بأبلـق[9]

ومـن سَـلحِ مَجـذومٍ قَـديمٍ مزنجـرٍ ... موشّــــى أعالــــيه بأغــــبرَ أزرقِ

---

(1) عروق في داخلها شيء كالفستق، بحموضة وحلاوة، نافع للمالينخوليا والجذام (ق)، النوك: بالضم والفتح، الحمق (ق).

(2) أمر مضارعه من أنقعَ، الرض: الفرى، الحياء: الحكمة، المروق: المصفى.

(3) الأهليلج: بفتح اللام الثانية وبكسرها، واحدته اهليلجة (ق) [وهو ثمر معروف منه أصفر ومنه أسود]. الفيتمون: فارسي.

(4) من ضرّبه بمعنى ضربه.

(5) الكيموس الخلط لغة سريانية (ق).

(6) الخربق: كجعفر نبات ورقه كلسان الحمل أبيض وأسود (ق).

(7) السرمق: كجعفر نبات القطف (ق).

(8) التزلق: الاضعاف.

(9) [تبربس: مشى مشية الكلب].

وصَيرهُ في هاوونِ جَعسٍ مُفتقاً؟ بقَيءٍ طِريٍ أو ببَول معتّقِ[1]

15 فمهما رأيتَ الكلّ قد صَارَ واحداً فخُذ منه ما تُهوى على الرِّيق والْعَق

ودَيره أقراصاً صِغاراً وحلّها بريقك وابلعْ ثفْلَها وتمطّقِ[2]

وإنْ عَرَضت في الحَلق منه خَوانقٌ تُغَرْغِر به عندَ الرُّقادِ وبَقبِق

وبخّر به في كلّ يَوم وليلةٍ سيالك تنا[3] الجنّ عنك وتُفرق [31/أ]

وحكّ به أسنانك الفُلجِ إنه متى ما به جلوت[4] ثغرك يبرق

20 ولا تتّخذ حَسواً سِواه فإنه من افْضَلِ[5] شيءٍ تُغتذيه وأوفقِ

وإياكَ لا تُسأم وخذ بوصيتي فإنك إن تأخذ بها لا توفق

فهذا الذي يَشفي جُنونك عُنوة على أنّه صَعبٌ مُعاناة أحمق

وهذه عروسك المجلوّة، وبكرك المخبوة، قد كشفتْ سوآتها للناظرين، وأسمعت لكنتها الصّم والسّامعين، وإذ كنتَ البادي بانتقادِك علينا، وإفشاءِ سوءِ اعتقادك إلينا، فاسمع يا حَلاجَ قُطنِ المحَال، ببرقشة[6] الجِدال، وكيف يُسبّكُ الهذَيان بنارِ البيانِ، فتخرجَ في الدُّخان، ألست القائل؟

أعليٌّ تعتبُ شاعرَ الغَوغاء مُتعرضاً جهلاً لوسم هجائي[7] [31/ب]

هذا بيت قد جمع من سوء الأدب، وقلةِ الاحتراس من الزَّلل، وركاكةِ النسج، ودناءَة الحَشو، ودمامةِ[8] اللّفظ، وانقلابِ ذمه إلى المدح ما يحكم به عليك الأدب، وتُشهد به العجَم والعَرب.

---

(1) الجعس: الرجيع المولد، أو اسم الموضع الذي يقع فيه (ق).

(2) تمطق: من التمطق وهو تصريف اللعاب (ق).

(3) السبال: جمع سبلة وهي الثياب (ق). الأصل: تناى، وهو خطا.

(4) جلوت: صقلت (ق).

(5) همزة افضل للوصل لضرورة الوزن.

(6) البرقشة: الكلام المختلط.

(7) ينظر البيت ورقة 11/ب.

(8) الدمامة: بالدال المهمة القبح.

فأمّا قولناً أولاً: بسوءِ الأدب، فإقرارُك بالعَتب ومجازاتك عليه بالسَّب، وهذا من سُوء الأدب، فقد قيل[1]:

"العِتاب حياةُ المودة، ومن لم يعاتبْ على الزَّلة فليس بحافظ للخلة"[2] وقيل[3]:

"العِتاب يَجلو وجهَ الإخاء، ويُذهب بالشَّحناء". وقيل:

"من لم يعاتِب أخاه فقد عاداه".

وقد قيل:

إذا ذهَبَ العِتاب فليسَ ودٌّ ويَبقى الوَدُّ ما بَقيَ العِتابُ[4]

ولو علمت الاحتراس من الزلل، ما أقررت بالعتاب الذي صار حجة عليك.

وأما قولنا: ركاكة النسج ودناءة الحشو، فقولك: "متعرضاً جهلاً" [32/أ] لأنك أتيت بالحَال بعد الحال، وهو من حشو الكلام، زائد ليس فيه فائد، ألا ترى أنك إذا قلت: "متعرضاً لهجائي" أنه كلام تام، وصار قولك: "جهلاً" زائداً، مستغنى عنه، فإن قلت: إن ضرورة الوزن أوجبت ذلك.

قلنا: ليس الأمر كذلك لأن في الكلام مندوحة عن الضرورة إلى غيرها. فهلا قلت: "متعرضاً بالعتب، للإهجاء"، وربط القسم الأول بالعتب، ربطاً لا انحلال له، وسقط الحشو، على أن المعنى فاسد من جهة إقرارك بالعتب ولكنه أقل عيباً[5].

---

(1) جاء القول: "من لم يعاتب .." منسوباً إلى محمد بن داود في بهجة المجالس 1/ 725.

(2) الخلة (بضم الخاء): الصداقة المختصة التي لا خلل فيها (ق).

(3) هـذان القـولان لم نقـف علـى قائلـهما، وفي لباب الآداب ص 389 لأسامة بن منقذ أبيات في هذا المعنى، كذلك في بهجة المجالس 1/ 724 ـ 725 أقوال في هذا الباب.

(4) البيت لعلي بن الجهم كما في بهجة المجالس 1/ 726، وقد أخل به ديوانه المطبوع وقبله بيت يقول فيه:

أعاتِـب ذا المـودة مـن صـديق إذا مـا رابـني مـنه اجتـناب

(5) الأصل "عيب" وهو خطأ.

وقولك: "لوسم هجائي" كلام خَبِث، مع اختلال معناه، لأن الوسم هو العلامة فانقطع لنا من قولك: إنما تعرضتَ لعلامة هجائك، لا لهجائك بعينه، كالرّامي الذي يرمي لغير غرض، والغرض نصب[1] عينيه.

وأما انقلاب ذمّه إلى المدح [32/ ب] فقولك: "شاعر الغوغاء" لأنك أوجبت لنا الشعر، بندائِك علينا به، ولو نَفَيته عنا- إذ به شُهرنا وعليه فُطِرنا- لأصبت الغِرة، ولكن أخطأتْ استَك الحُفرة[2].

وأيضاً فلم تُرد بقولك: "شاعر الغَوغاء"، شاعر العامة، فهذه غاية في مدحنا، لأن القول في العامة، أوعر طريقاً، وأضيق مَسلكاً، وأبعد منه مرمى، في الخاصة، لأنّ العامة دون المدح، والذم فوقها، ولذلك قال القائل:

وممّا يقتُل الشُّعراءَ غمّاً عَداوةُ من يَقِلّ عن الهجاءِ[3]

وبما في الخاصة من الخّلال المحمودة والفضائل الموجودة، صار القول فيها أسهل طريقاً، وأرحب مسلكاً، وأقرب مأخذاً.

كما قيل: "وجدَ جيراً وجصّاً فبنى"[4].

وليس لشاعر الخاصة فضل في مدحها، [33/ أ] أكثر من أنه يؤلف الكلام، ويقيم الوزن، لأنّ من حلاها يَستملي، فينسج ويُحلي:

[30]

(من المتقارب)

1 وإنك في نقدِ أشعارنا على جَرِّها ذَيلِ إكمالها

---

(1) قال القاموس: هذا الشيء نصب عيني بالضم والفتح أو الفتح لحن.

(2) من الأمثال التي تضرب لمن يطلب أمراً فيخطئه، وقد جاء في رسالة ابن زيدون الهزلية، ديوان ابن زيدون ورسائله ص671.

(3) لم نقف على قائله فيما لدينا من مصادر.

(4) لم نجده في كتب الأمثال، ولعله من الحكم التي لم تدون.

وتركِكَ أشعارَك المضحكا ... تِ أخبارُهن على حالِها
كمُرضعةٍ لبني غَيرها ... وتُهمل إرضاع أطفالها
وإلا كآسٍ به مَحلةٌ[1] ... قد اعياهُ مؤلم أعضَالها
5 ويَزعم عند الوَرى أنّه ... يُعاني سِواه من أمثالِها

ويا عجباً كيف ادّعيت ما لا تحسن، وطمحت إلى ما لا يمكن:

[31]

(من المتقارب)

1 وحلّيت نفسَك بالشّعر زَعماً ... كشَفتَ به بعض سوءاتها
ووجهتَ منك قَوافٍ غدا ... ينم السُّلاح بلبّاتها [33/ب]
عدلتَ بها عن سواء الطريق ... إلى خافياتِ بنياتها[2]
فقلْ لِيَ- باللهِ- إذ قلتها، ... خرِئت[3] على بعض أبياتها

وأما[4] إكثارك من قولك: "لست بكِفاء" و"لست من أكفائي" فأقول:

[32]

(من مجزوء الرمل)

1 لـــيت شـــعري بم ذا المفْـــ ... ـخـــر يـــا نُـــزر الحَـــياء[5]
أبـــسيفٍ أم بجـــودٍ ... أم بمَجـــد أم سَـــناء؟
قـــد تحلّـــيتَ بكـــبرٍ ... وبعُجـــبٍ وجَفـــاء

---

(1) [المحل: الشدة]، وهمزة أعياه للوصل لضروره الوزن.

(2) [بنيات الطريق: بالضم الترهات].

(3) في الأصل: حاشية نصها "حذف همزة الاستفهام والأصل أخرئت" وذلك لضرورة الوزن.

(4) الأصل: "وإنما" وهو تحريف.

(5) الأصل: "بماذا تفخر" وهو تحريف ما أثبتناه.

شِيمٌ ليست لعَمري شِيَماً للأدباء

5 أم من أبناءِ ملوكٍ أنتَ أم من وُزراء؟

أم من أبناء قُضاةٍ علماءٍ فُضَلاء؟

أم من أبناء حُماةٍ بالظُّبا يومَ اللّقاء؟ [34/أ]

أم من أبناء فِصاحٍ خُطباءٍ بلغاء؟[1]

أينَ من ذا الصِّنف تعتَدّ سخيفَ السُّخفاء؟

10 لستَ في ذا النَّحو من بابِ ابتداءٍ وانتهاءِ

إنما بابُك بابَ النّفي لا بابَ الجَزاء

ولهذا صِرت من نحوك في بابِ الهِجاء[2]

بَمَ ذا تُكثر من قولك لستم بكفاء؟[3]

أنتَ إلا نجل فرّاءٍ تغذّى بشَقَاء[4]

15 وجَرى الدّهر وراءَ الفَلس حِرصاً لاقتناءِ

أيُّ فَخرٍ لُمغذّى بقذاراتِ فِراء؟

قد نشا ما بين أشقافِ دِباغ كالخراء [34/ب]

جَدُّك البُرجيُّ من بُرجةَ دار الأغبياء

من جُعاةٍ لا سُراةٍ وحفاةٍ أشقياءِ[5]

20 فَدَعِ الفخرَ فليسَ الفخرُ سِيما العُقلاء

حطّ عن مَنكبِ فحواك رُواء الكِبرياءِ

22 فارتفاعُ المرء فوقَ القدرِ سيما الوُضعاءِ

---

(1) فصاح: جمع فصيح على غير قياس فالقياس فصحاء.

(2) ورّى الشاعر في الأبيات الثلاثة السابقة بالنحو والابتداء، والنفي والجزاء.

(3) الأصل: لَست لي والصواب ما أثبتناه.

(4) الأصل آنت إلاّ وهو تحريف.

(5) [الجعاة: الحمق].

وأما قولك:

ونطقتُ فيك بقَولةٍ تُرضى الفدا لحقّهــا بالــنفس والآبــاء[1]

فأقول: مناريا

[33]

(من المتقارب)

1 وأمــا وعــيدك بالقَــولة الــ ـــتي نـسج الــسخفُ سِــربالَها

فــتلك الــتي ضَــربتْ مِــصرَنا -بهــا في الــسُّخافة- أمــثالَها

وناهــيك مــن قَــولةٍ جَــرّرتْ على كُنف[2] السُّلح أذيالها [35/أ]

صَــفعتُ بــصفعك مــنها القَفــا وأوضــحتُ للــناس أشــكالها

5 ولــو كــنتَ وفّيــتها حقّهــا خَــرئتُ علــى ذِقــن مــن قَالهــا

فــتُهني أعاديــك أن قــد رَأتْ بــنظمِكها فــيك آمالهــا

وأمّــا عقَاربــك اللاســعاتُ بــشَولةٍ[3] هَجــوكَ مــن طَالهــا

فعِــندي لهــا رُقــيةٌ مــا وَعَــتْ مَــسامِعُ مَخلــوقٍ أمــثالها

تُمــيت العَقــارب مــن حَيــنها وتُــبرئُ مَلــسوعها يــا لهــا

10 ودِريــاق مــنظومةٍ، شــربُها يُــذيب الــسّموم وأغــوالها[4]

11 فــإنْ هــي دَبّــت إلى لــسعها وعــادتْ إلى الغــيّ عُــدنا لهــا

وهكذا نقدَ قصيدته بيتاً بيتاً، وغادر ذكره في حلبة الشعراء ميتاً، ولم أورد من انتقاده إلا هذا البَيت الأول، لأن [35/ ب] الغرضَ جمع شعره.

---

(1) البيت من قصيدة البرجي التي تقدمت رقمه 44 وقد ورد برواية أخرى: وقطعت فاك بقولة.

(2) كنف: جمع كنيف (ق).

(3) الشئولة: ما تشول العقرب من ذنبها (ق).

(4) الدرياق: الترياق (ق).

فلما كمل انتقادِه للقصيد، قال: وإذ فرغنا من انتقاد زَيفك، وفَللنا غَربَ سيفك، فلنُقارض صاعَك بأصواعٍ، ونكافِئ فَترك بأرحب بَاع، لتَعلم أنّ وعد الله حق، وأنّ الكذِب لا يمحوه إلا الصّدق، غير ملوم ولا مأثوم، ونسغفر الله، وهو الغفور الرحيم.

ثم جاوبه (عفا الله عنا وعنه) بقصيدة ضمن فيها من السّبّ والذم ما شاء وأودع، وأرغم بها أنف أعدائه وجَدع، لم يُسبق إلى مثلها في طريق الذم والهجاء، ولا خلّد نظيرها في جميع النواحي والأرجاء، أوردت منها ما غدا من الذم قبيحاً عارياً، وأضحى على طريق العتاب جارياً، وهي:

[34]

(من الكامل)

1	بَــرِحَ الخَفــاءُ فــلاتَ حــين خفــاء	فاجهرْ فبئس الثَّوبُ ثوبُ رياءِ [36/ أ]
	يــا سَــالحاً مــن نَــوكه في لُجــةٍ	سُــجرتْ لــه بالــسّخف والخُــيلاء
	إن تُجــزنا بالعَــتب ذمّــاً فاحِــشاً	فــبما حَــواه رشــحُ كــلُّ إنــاء[1]
	رؤيــا تــراءَى ضِــغثها لــك في الكَــرى	فحــسبتَ نفــسك موضــعاً لهجــاءِ
5	لا نَنتحــيك بــسَم هجــوٍ صــائبٍ	مــا يــصنعُ العِــنّين بالعَــذراء[2]
	الكلــبُ أقــذرُ خِلقــة وخَلــيقةً	مــن أن يكــون مُبخّــراً بكُــباء[3]
	ولِعلــةٍ عِفْــتُ الهجــاء وربّمــا	حَمــت المــواردَ كثــرةُ الأقــذاء
	إنــي وهَجــوك يــا علــيُّ لكالــذي	باهــى كَنــيفاً مُترعــاً بفُــساء[4]
	خــذ مهــرَ بكــرك لا أُحــب سِــفاحَها	لــيس الــسّفاح بــشيمة الكــرماءِ
10	اغليــتُها مَهــراً ولم اكُ بــاخلاً	وغــلاءُ مَهــر البكــر غــيرُ غَــلاء
	مــن يخطــبِ الحــسناء يُغــلِ مهــرَها	إن الحــسان فوارُكُ البُخلاء[5][36/ ب]
	إن كــانَ رِفعــةُ كــل مــرءٍ ســاقطٍ	في هجــوه فهــناك جَــزل هجــاء

---

(1) في عجز البيت تضمين المثل العربي: كل إناء ينضح بما فيهِ مجمع الأمثال 2/ 162، رقم (3260) للميداني.

(2) في الأصل حاشية نصها أي اقصدكَ.

(3) بكباء: ككساء، عود البخور أو نوع منه (ق).

(4) مترعاً: مملوءاً [والأصل بناء، وهو تحريف].

(5) الأصل: يغلي، وهو خطأ نحوي.

بِـمَ تعتلـي حتـى تقـولُ لـي: استعزْ
نَـسَبَاً، أُجِـبك: فلـستَ لـي بكِفـاء

اخـسأْ عليّْ فلـيسَ كفـؤك غـيرَ مـا
يَجـري مـن الأعفـاجِ والأمعـاءِ

15 ومـن العَجائـب، والعَجائـبُ جمّـة
أنْ تـسخرَ القَـرعاء بالفـرعاء[1]

ومنها:

أتـسبّني مـن غـيرِ ذنـب جِئـته
إلا عِـتابَ مـودّةٍ وإخـاءِ

والعَـتبُ يَـشهدُ بالـوِداد لأهلـه
في أكثـرِ الأشـياء والأنحـاء

فعـلامَ قارضـتَ العِـتاب بجَفـوة
تدعـو إلى البَغـضاء والـشّحناء

وغـدوتَ مـن عَـتبي بـه مُـستبدلاً
كمُعـوضٍ نـاراً مـن الرَّمـضاء

20 إن تُـبدِ مـن عَـتبي علـيك تألمـاً
فالعَير يضرطُ خيفة الكوّاء[2][37/أ]

ومنها:

عَهـدي بقـدرك في الحَضيضِ مـبوأ
ولقـد أراكَ طمحـتَ للعَلـياء

ووصـفتَ نَفـسك قـائلاً: ...
والأسـدُ قـد هابـتْ كـريهَ لِقائـي[3]

وكفـاك ذمـاً مـدحُ نفـسِك بـالتي
هـي مـن حِلـى الأمـلاك والـوُزراء

مـن كـانَ ممـدوحاً بغـيرِ صِـفاته
آلَ المـديحُ بـه إلى اسـتهزاءِ

25 وعَطفـتَ تدعونـي بقَـولك مُفصحاً
أأمـنتَ مـن بطـشي ومـن غُلوائي؟

اللهَ يـا لـيثَ العَـرين المُتقـى
اللهَ في دمِ فِتـية بُـرآء

---

(1) صدر البيت مأخوذ من صدر بيت أبي مروان الجزيري:

ومـن العجائـب والعجائـب جمـة
أن يلـهج الأعمـى بعـيب الأعـور

(2) الأصل: المكواء، وهو تحريف.

(3) أسقط الشاعر تفعيلة العروض في سياق اعجاب المهجو بنفسه .. وذلك أبلغ في الدلالة على الاستخفاف بوصف البرجي نفسه .

خــذْ مــن أســاء بذنــبه وبجُــرمه ... لا تأخــذِ الفُــضلاءَ بالــسّفهاء

هــذي الــرُّقاع رِقــاعُ والــدك الــتي ... طُــرّتْ بطُــرى قُمّــلٍ وخِــراء

هــل رُمحــك المهمــوز إلا إبــرةٌ ... أمن الطّعين بها من الإدماء؟[37/ ب]

30 لــو أنّهــا في عــينِ مــرمودٍ لمــا ... مَــنعتْ ملاحِظَــهُ مــن الإغــضاء

أبإبــرةٍ مِــثل الهَــباةِ كــسيرةٍ ... تــسطيع قلــعَ الهــضبة الــصماء؟

ومنها:

وأراكَ يــا عُــصفورُ تــوعد بَازيــاً ... بمخالــبٍ ليــستْ بــذاتِ مَــضاءِ[1]

لــو كــنتَ مُنــشئها بنَــسج خَدَرنــقٍ ... ضَــعُفت علــى الإيهــان والإنهــاء[2]

أرعــد وأبــرق يــا ســخيف فما على ... آســاد غــيل مــن نــباح جــراء

35 وأرى سمــاءك يــا علــيُّ جعلــتها ... مبــسوطة مــع أرضــك الــبوغاء

أعلــى المجــاز وضــعتها أم لم تكــن ... بــك قــدرةٌ تدعــو إلى الإعــلاء؟

مــا كــان أولى أن تعمِّــك بلــدةٌ ... تعــتدُّ ذا أرضٍ بهــا وسمــاء

فرســان قــولك خــيلها منكــبة ... تكبو[3] إذا ذهبت إلى التَّعداء[38/ أ]

وتُــرى حِــراناً كلمــا همــزت فمــا ... تخــشى فجــاءة غــارةٍ شــعواء

40 وحــسامك العَــضب الطريــرُ المنتقى ... قــد فلّــه فالــوذ حــدٌّ ذكــاء[4]

أتقــول لــي: لــو كــنت تعقل لم تطع ... كــل امــرئ بنمــيمةٍ مــشاء[5]

عــذراً فلــم أعلــم بــأن العقــل مخـ ... ــصوص بــه كــل امــرئ فَــراء

---

(1) [من أوعد يوعد، مصدره الوعيد أي التهديد والتخويف].

(2) [الخدرنق: العنكبوت].

(3) الأصل تبكواً وهو خطأ صوابه ما أثبتناه.

(4) [الفالوذ كالفولاذ، ذكرة الحديد].

(5) يشير إلى قصيدة البرجي البيت (10).

وجَهلـت مـا ضـربته مـن أمـثالها ... فـيكم قـديماً عِـترة الحكمـاء
عَجَـباً لدَعـواك الـوفاءَ وإنـه ... عَمري لأغـربُ فيك من عَنقاء[1]
45 إنـي لأسـتحيي وأيـمُ الله مـن ... طـول ادعائكـهُ بـلا اسـتحياءِ
أوَ لم تكـنْ عَاقـدتني أن لا تُـرى ... الطافـنا مَمـزوجةً بجَفَـاء
فنكـثتَ مـا شـدّ الإخـاءُ عُقـوده ... ومـزجتَ بالأقـذاءِ مـاءَ صَـفاءِ
ولـئنْ دَفعـتَ مَقـالتي وجَحَـدتُها ... فأبو محمدٍ أعدلُ الشُهداء [38/ ب]
وأردتَ أن أُرضـيك والـزِّنديقُ في ... إرضـائه إسـخاطُ ذي الآلاء
50 هـذي خِلالـك قـد نَشَرت ملاءَها ... مـشهورةَ الأسمـاءِ والأنـباءِ
فعـلامَ تَـزعم أنّـي بجُحـودها ... مُغـرىً أهـذا مـنك حَـقُّ جَزائـي
لله تلـك مَناقِـباً ومآثـراً ... فلقـدْ أقـرّت أعـينَ الأعـداءِ[2]
يـا أيّهـا التَّـيس الجمَّـر قـلْ: متـى ... حُـزتَ الـسّباق بحلـبةِ الفـصُحاءِ؟
حتـى تقـولَ مـصرّحاً وملجْلجـاً: ... هـل قِيـست الـدأماء بالأحـساء[3]
55 إطفـاءُ أنـواري تَـرومُ ودون مـا ... قـد رُمـتَه، إطفـاءُ نـور ذُكـاءِ
الـشمسُ لا تخفـى مَحاسـنها وإن ... غطّـى علـيها بـرقعُ الأنـواء
أبيهـرجٍ زُيـفٍ تـناقضُ عَـسْجداً ... شـتّان بـينَ غَـياهبٍ وضِـياء
وتقـول: لـو شِـئتَ القـوافي لم تكن ... إلا مِلاكاً تحت ظل لوائي[4] [39/ أ]
أحـسنتَ يـا ربَّ اللـواءِ الـمُرتقي ... بفخـارِه لمـراتبِ الـزُعماء

ومنها:

---

(1) تضمين للمثل العربي وقد تقدم في القصيدة (5).

(2) الأصل: مباقياً وهو تصحيف.

(3) يشير إلى قول البرجي في البيت (15).

(4) يشير إلى قول البرجي في البيت (17).

61 نـزَّهتَ همَّـتك الوضـيعةَ أنْ تُـرى ... مُـستجديَ الأمـراءِ والـوُزراء[1]

هـلْ أنـت [معـن] ابـن أوسٍ همـةً ... أم مـن تقدّمـه مـن الـشعراءِ[2]

حتـى تُـرى مُتنـزهاً عـن سُـوقةٍ ... فـضلاً عـن الـوزراء والرؤسـاء

لم تُـبدِ همـةَ عـزةٍ لكـنما ... أعـربتَ مُعتـزاً عـن اسـتخذاء

ولـو ابتليـتَ- وعـلّ ذلـك كـائنٌ- ... بالفقـر مـا عيّـرت ذا اسـتجداء

65 والأنبـياءُ المرسـلون اسـتطعموا ... وبُلـوا بـداءِ الفَقـر كـلُّ بـلاءِ

أو لـيس موسـى قـد توخّـى قـريةً ... مـستطعماً فأبـتْ بكـلِّ إبـاء

لا عـارَ يلحـقُ سـاعياً في عيـشه ... مـا لم يجيءْ في سعيه بخَناء [39/ب]

لا تغْتَـرر بـرُخاءِ بالِـك والغِنـى ... فالدهـر يمـزجُ شـدّةً بـرُخاء

69كـم مـن فتـى هـبَّت رُخاءً ريحُه ... كانـت عواقـبُها إلى نكـباء

70 لـيس الفتـى الـمُـضطرُ يملـكُ عزةً ... قطَـع الـشّقاءُ تعـزّز الفُقـراء

نـزعاتُ شِـعرك مـن محـالٍ كلُّهـا ... وكـذا المحـالُ خلائـقُ الـسُفهاء

لـو كـنت تقـنعُ بالعَفـاف كمـثلِ ما ... زخـرفتَ لم تعلـن بعـدم ثـراء

وأبـوك قـارونُ الغنَـى في خِفـةٍ ... مـا أكفـرَ الإنـسانَ بالـنُعماء[3]

وإذا حـوتْ يـدك الكفـافَ وتـشتكي ... عُـدماً فـأين إذاً غِنـى الحُـوباء؟[4]

ومنها:

75 أجـريتُ في مـلأٍ سـوابق منطقـي ... فـشأوتُ في مـلأٍ بهـا وخـلاء

---

(1) يشير إلى قول البرجي في البيت (18).

(2) زيادة يقتضيها السياق ليستقيم الوزن، وهمزة أبن للقطع للضرورة، معن بن أوس بن نصر المزني شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في الصحابة، له أخبار مع عمر بن الخطاب واستحسن معاوية شعره، توفي بالمدينة سنة 64 هـ، الأعلام 7/ 273.

(3) [الخفة: الجهل].

(4) يشير إلى قول البرجي في البيت (19).

لا كالـذي قـد قُلـتَ إنـي بـالخلا | أجريتُهُن ففزتُ بين بِطاء[1] [40/أ]
زيّـنت مـا قـد عَابـه ابـن قميئةٍ | ممـا نَفـته شِـرعةُ الحُـنفاء
فجعلـتَ تُفـصح قـائلاً متـزندقاً: | بَـدءُ التّفكـر آخـرُ الإنـساء[2]
وحكمـتَ أنـي جاهـلٌ مـا قلـته | ونـسبتني لبـصيرةٍ عمـياء[3]
80 ولـو الـزمانُ جـرى بفهمـك أولاً | مـا جِـئتُ إلا آخـر الفُهمـاء
ورفعـتَ عـن وجهـي الحـياء وإنـه | لملاءتـي بـين الـوَرى وردائـي
ولـو أن صـاعقةً هـوت مـا أثّـرتْ | في وَجهـك الجهـمِ القلـيلِ الماء[4]

ومنها:

هـذا الثّـناء فهـل سمعـتَ بمـثله؟ | لقـد احـتويتَ فـضائلَ الظُّـرفاء
والله مـا أدري وإنـي حائـرٌ | في أمـرك المـتخالفِ الأنحـاء
85 تنهـى عـن الـسّب الـذي قـد جئتَه | وتراه فِعلَ الرُّعن والضُّعفاء[40/ب]
كمحـرمٍ مـا يـستحلّ لنفـسه | هـذا أدلُّ دلائـلِ الـسُّخفاءِ
أنـتَ الـضّعيف إذا عـلا مـا قلـتُه | والأرعـنُ الآتـي بكـلّ هُـذاء[5]
تـسمو إلى نقـد القَـريض ونقـضه | وأراكَ تخـبط فـيه كالعَـشواء
مـا فـيك مـن فهـمٍ يُـسرّ وإنمـا | تهـذي علـيّ وتدعـي بـذكاء
90 إن كـان علمُـك مـثل عقلِك ذا فقد | أخليتَ نفسَك مـن حُلـى العُلماء
بيـضاءُ حجّـتُك الـتي أوضـحتَها | جـاءتْ بكـلّ مُـصيبة سـوداء
قـل يـا سـخيفُ: بم ادعيـتَ بـسالةً | وجعلـتَ نفـسكَ مُرتقـى الجَـوزاء؟

---

(1) يشير إلى البيت (26) [وبطاء جمع بطيء].
(2) يشير إلى البيت (28).
(3) يشير إلى البيت (29).
(4) يشير إلى البيت (31).
(5) الأصل "ما قد قلته". وفيه زيادة لا يستقيم بها الوزن.

وإذا عـدا في الـشّيء مـرءً طَـورَه فـبم ادعــاؤك عــزةَ القَعــساء؟

وإذا عـدا في الـشّيء مـرءً طَـورَه دبــتْ إلــيه عقــارب البَغــضاء

95 شـيئان مـا في الأرض أوجـع منهما ذُلُّ الـرَّفيع وعـزةُ الوضعاء [41/أ]

أشـهر حُـسامك يـا عليٌّ مكافحاً فـضحَ الـشّجاعُ ضـمائرَ الجبـناءِ

هـذا أوان الـشدِّ فابـرزْ مُقـدماً حتـى نُـرى مـن فـارسُ الهيـجاء؟

انتهى القصيد المجاوب به، وتركت أكثره لقبائح ذكرها فيه وضمنها في أكثر قوافيه عفا الله عنا وعنه- وهذا آخر ما في كتابه (بادرة العصر) من شعره.

[35]

(من الطويل)

وله رحمه الله، يرثي الوزير أبا يونس[1] عفا الله عنه- ويعزي ابنه فيه:

1 ألمْ يـأنِ أن يغنـى العـزاءَ لبـيبُ وأن يتـسلّى عـن أسـاه كئـيب

أجـل إنهـا مـن فـتكةِ الدهـر حالـةٌ تقَـضْقضُ أضـلاعٌ لهـا وجَـنوب[2]

فللدمـع مـا بـين الجُفـون تدفّـق وللـوجدِ مـا بـين الـضُّلوع دبـيب

هـو الـبثُّ في قلـب الهـدى منه حسرةٌ وفي صفحة العلياء منه ندوبُ[41/ ب]

5 لـئن شـقّقتْ مـنه الـسحاب جيوبَها لقـد شُـقِّقَتْ مـنا علـيه قلـوبُ

وإن ظهـرتْ بالـشمس مـنه كآبـةٌ ففـي كـل وجـهٍ عِـبرة وشـحوبُ

ومـا هـو إلا حـادثٌ جـلَّ خطـبه ففـاض شـجىً مـنه وجـاش وجـيبُ

كفـرنا أيـادي الدَّهـرِ مـنه فهـذه رزايـاه تُـترى خَـشوهنَّ حـروب

ألم تـرَ شـعب المجـد كـيف سـطتْ بـه وجـرَّت شعوبَ الشّمل منه شعوبُ؟

10 وكـيف استباحتْ كفُّهـا حـرمةَ العـلا ومـن دونهـا حجـبٌ لهـا ودروب؟

---

[1] لم أقف على ترجمته فيما توفر لدي من مصادر.

[2] الأصل: تغضغض وهو تحريف، وقضق ضت العظام: صاتت عند كسرها.

ألا إنما الأقدارُ جيشٌ خيوله … متونُ الليالي والسلاحُ خطوب

فطَعنٌ ولم يبرزْ له متنُ لَهذمٍ … وضربٌ ولم يُستلّ منه قضيب

وإنّ امرءاً قد عاش بعد ابن أحمدٍ … لجلدٌ على مضّ الزّمان صليب

دعته المنايا دعوةً فأجابها … وبالكره ما تدعو بنا فنُجيب [42/أ]

15 فلما نعى الناعي به طاشتْ النُّهى … وخامرها خَبلٌ هناك عجيب

فكِدنا - ولم نملك عنان تشبثٍ - … نشك وقلنا غائبٌ سيؤوب

وإني به والمنتأى جِدُّ نازحٍ … بعيدٌ على أنّ المزار قريب

ليبكِ عليه العلم والحِلم والحِجى … بأجفانِ شَجوٍ ماؤهن[1] غَروب

فتى كان يقتادُ الأبيُّ فينثني … ويقتاده داعي الهدى فيُنيب

20 إذا ظلمات الخطب أبهمْنَ شابَها … برأيٍ شباهُ في الخطوب خطيب

له سيفُ عزمٍ إن نضا حدَّه مضى … يفلُّ حُسامَ الخطب وهو رسوب

أديبٌ أريبٌ قلّب القلبِ حازمٌ … فتىً، المعيّ بالظنون مصيب[2]

فتىً يستخفُّ الدّهر وهو موقّرٌ … ويملأ أفقَ الأرض وهو رَحيبُ

عزيزٌ علينا أن يحل بمستوى من … الأرض حيث المجد منه غريب [42/ب]

25 ويعتاضُ من لبس العلا لبسةَ … البلى وبردٌ حَلاه بالثناء قَشيب

سَقى جدثاً قد حلّه وثوى به … حياً مستهلاً في رباه سَكوب

يخصُّ به خِدن لدي معظمٌ … ويحيا به شخصٌ لديّ حبيبُ

ولا زَال ريحانُ الإله ورَوحه … ينمُّ على أرواحِه ويَطيب

أبا يونسٍ أجدبتَ معهدَ أُنسنا … وعهدي به بالأمسِ وهو خَصيب

30 فكم مقلةٍ عَبرى عليك شجيةٍ … وكم كبدٍ حرّى عليك تذوب

أثابك بالحُسنى من الخير كلّه … [فالحُـر] يجزى أهله ويثيب[3]

نعزّي بك الأعداءَ إذ ليس عندنا … لقلبٍ وليٍ في العَزاء نصيب

---

(1) الأصل: "ما لهن" وهو تحريف ما أثبتناه، والغروب، عرق في العين يسقى لا ينقطع. ومسيل الدمع وانهلاله.

(2) [قلب القلب: البصير بتقليب الأمور].

(3) في أول عجز البيت كلمة مطموسة لعلها ما أثبتناه.

أمـا في الليالـي عِـبرة لـذوي النُّهـى لهـا حـسناتٌ عـندنا وذُنـوب
يَهـبنَ رضـاً مـنها ويـسلُبنَ عـنوةً وأغربُ شيءٍ واهب وسلوب [43/أ]
35 أبـا عمـرٍ إن تكتـسبْ فلمـثلهِ وإن تحتـسبْه فالجـزاءُ حـسيب[1]
ومـثلُك مـن يـشجى فيرجـع للـتي هـي الذُّخـرُ فـيما نابـه ويـثوب

[36][2]

ذكر أن أبا بكر يحيى الجزار (عفا الله عنه) دخل قصر سرقسطة مع الجزارين في بعض أحوالهم، فأبصره الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداي الاسرائيلي[3] فاعترضه بهذا البيت:

(من الوافر)

تـركت الـشّعر مـن قلـة[5] الإصـابه وعُـدت إلى التَّحـرفِ[4] بالقـصابه

فأجابه أبو بكر بهذه القصيدة:

---

(1) يبدو أن كنية المعزى ابن الوزير أبن يونس هي أبو عمر.

(2) هـذه القـصيدة مما تداولـته المـصادر الأندلسية، فأوردت بعض أبياتها ففي الذخيرة والمغرب ونفح الطيب: أن الحاجب ابن هـود أمر الوزيـر أبـا الفضل بن حـسداي أن يوبخ يحيى هذا على رجوعه إلى الجزارة من بعد أدبه فخاطبه بأبيات، وفي زاد المسافر أن ابن حـسداي كتب إليه بقصيدته فراجعه الجزار وفيما يلي تخريج القصيدة:
الذخيرة 3/ 2/ 905 ـ 906 أ ـ 4، 18، 15، 19، 26، 28، 54، 51، 59، 60.
زاد المسافر 140 ـ 141 أ ـ 4، 10، 15، 13، 11.
المغرب 2/ 445 أ ـ 4، 15، 19، 26 ـ 28.
نفح الطيب 4/ 152 ـ 153 أ، 2، 5، 3، 4، 6، 10، 15، 18، 19، 23، 24، 26 ـ 28.

(3) أبـو الفضل حسداي بن يوسف بن حـسداي الإسرائيلي، أسلم وعمل في بلاد المقتدر بن هود (438 ـ 474هـ) بـسرقسطة، كـان كاتـباً شاعراً، أثنى على بلاغته، ابن خاقان وابن بسام، تتصل أخباره بالمستعين بالله سليمان بن هود (478هـ ـ 503 هـ)، جـرت مراسـلات بيـنه وبـين ذي الـوزارتين أبـي عامر بن الفرج الذي كان وزيراً للمأمون بن ذي النون في طليطلة (435 ـ 467هـ)، ينظـر: القلائـد 209 ـ 212، الـذخيرة 3/ 457 ـ 494، الخـريدة 2/ 480، المغـرب 2/ 441، دول الطوائف 272، 285، أبو الحسن الحصري القيرواني 47.

(4) الذخيرة والمغرب: إلى الدناءة، النفح، وملت إلى، الزاد والنفح إلى التجارة.

(5) قلة بغير تضعيف ليستقيم الوزن وفي الذخيرة والمغرب من ضعف الزاد والنفح: من عدم.

1	تعـيب علـيّ مألـوف القِـصابة	ومـن لم يـدرِ قـدرَ الـشيء عابـه
	2ولـو أحكمـتَ مـنها بعـضَ فـنٍ	لمـا اسـتبدلتَ مـنها بالحِجابـة
	لعمـرُك لـو نظـرت إلـيَّ فـيها	وحولي من بني كلبٍ عصابه[1][43/ب]
	لهالـكَ مـا رأيـتَ وقلـت: هـذا	هزبـرٌ[2] صـيّر الأوضـامَ غابـه
5	ولـو تـدري بهـا كَلفـي ووَجـدي	علمـتَ عـلامَ تُحـتمل الـصَبابة[3]؟
	لقـد شـهدتْ لـنا كلـبٌ وهـرٌّ	بـأن المجـد قـد حُـزنا لُـبابه[4]
	إذا طلـع الولـيدَ لـنا رَضـيعاً	رأيـتَ بـوجهه سـيما الـنَّجابه
	وإن بلـغَ الفِطـام فـذاك لـيثٌ	هزبـر[5] كاسـر للحـرب نابـه
	إذا مـا نحـن نازَلـنا قبـيلاً	رأيـت المـوتَ قـد أمـضى حـرابه
10	فتكـنا في بـني العَنـزِيِّ فـتكاً	أقـرُّ الذعـرَ فـيهم والمهابـةَ
	أبـدنا شِـيبهم ومتـى ظفِـرنا	بغـرٍ شـبٌ لم نـرحمْ شـبابه[6]
	ولـولا نحـنُ لم تجـدِ المـنايا الـسـ	ـبـيل[7] إلى بنـيها المُـستطابة
	وهـل جمـلٌ بـدا إلا حَمـلْـنا	عليه حملةً هتكتْ حجابه[8] [44/أ]
	صـفعنا بالـشّفار قَفـاه حتـى	فَـريناه ومـزقنا إهابـه
15	ولم نقلـعْ عـن الـثوريِّ حتـى	مـزجنا بالـدّم القانـي لعابَـه

---

(1) الـزاد: فانـكَ بـدل لعمركَ وصدر البيت في الذخيرة والمغرب: أما ولو اطلعت علي يوماً وفي النفح: وإنك لو اطلعت علي يوماً.

(2) الزاد: منظري ولقلتَ. هزبر كسبحل ودرهم، الأسد الضخم (الجمع هزابر (ق)).

(3) الأصـل: ولـو تـدري كلفـى بهاَ مع الإشارة إلى أن الصواب بها كلفَ وذلك بالحرفين (ق) أي قدم و(خ) أي أخر. النفح: احتمل الصبابة.

(4) النفح: وكم شهدتَ.

(5) هزبر تكرر شرحها: ضخم.

(6) الزاد: أبدنا شيخهم.

(7) الأصل: سبيلاً ولا يستقيم بها الوزن.

(8) الزاد: جمل يرى.

إذا ما لانَ عودُ الناس يوماً   وخرٌ فعُودنا فيه صلابه

نريقُ دماً ولا حَرجٌ علينا   ومن نقتلْه لا نخشى عِقابه

ويبرُز واحد منا لألفٍ   فيُفنيهم وتلك من الغرابه[1]

ومن يغترُّ منهم بامتناعٍ   فإن إلى سَواطرنا إيابه[2]

20 بناءُ المجد لا شِيد المباني   وجدّ السيف لا جد الكتابه[3]

ورثنا المجد عن قرمٍ فقرمٍ   فليس لغيرنا تُعزى نجابه

وحُزنا في الشقاوة كلَّ فن   فليس بغيرنا تصبو دُبابه[4]

أبا الفضل الوزير أجب ندائي   ففضلك[5] ضامنٌ عنك الإجابه[44/ ب]

وإصغاءً إلى شكوى شكورٍ   أطلتَ على قِصابته عِتابه[6]

25 جلاه الدهرُ بالأرجاء ظُلماً   وأنشبَ ظُفرَه فيه ونابه

لعمرُك ما تركتُ الشعر حتى   رأيت البُخلَ قد أمضى شهابه[7]

وحتى زرتُ مشتاقاً حميمي   فأظهرَ لي التجهُّم والكآبه[8]

وظن زيارتي لطِلاب نيلٍ   فنافرني وغلَّظ لي حِجابه[9]

وذو الهمم العليَّة من تجافى   وجنَّب كلَّ من يبغي اجتنابه

30 لقد حجبَ الندى المألوف وجهاً   وحطّ اللؤم عن قصدٍ نِقابه

وصارَ الجودُ لفظاً دون معنى   وصِرنا بالمنى نرتادُ بابه

إذا ما قِيل هذا بحرُ جودٍ   وردتُ فلم أجد إلا سرابه

---

(1) النفح: فيغلبهم وذاك من الغرابه.

(2) الأصل: فإنا إلى وهو تحريف، وفي الذخيرة والمغرب والنفح: صوارمنا بدل سواطرنا.

(3) لعل الصواب وحد السيف.

(4) الأصل: (تصبوا) بإثبات الألف وهو خطا.

(5) النفح: وفضلك.

(6) النفح: على صناعته.

(7) الأصل: رايت الشعر قد أورى شهابه. والتصحيح من الذخيرة، المغرب: قد أذكى شهابه النفح: قد أوصى صحابه.

(8) الذخيرة: حميماً المغرب: حبيباً النفح: خليلي الذخيرة والمغرب والنفح فابدى النفح لي التحيل.

(9) الذخيرة والمغرب وللنفح: لطلاب شيء. المغرب: واغلظ لي.

وكان الشعر أحسنُ ما يحلّى ... به أهل الدّعارة والدُّعابة [45/أ]

فصار بنوه عند الناس أدنى ... وأحقرُ في العيون من الصُّؤابه

35 إذا ما شئتَ أن تشنأ فنظِّم ... قريضاً والتمس فيه الإثابه

ولما صارَ أهلُ الأرض طُرًّا ... ذئاباً صِرتُ مفترساً ذئابه[1]

فمن لم أستمِله بالقوافي ... وكان البخلُ بالمعروض دابه[2]

نصبتَ للُؤمه شَرَكَ احتيالي ... وصِدتُ لهاه من باب القصابه

ولا حرجٌ على المضطر في أن ... يصرِّف في تخلُّصه خِلابه

40 يذلِّل لي صعابَ القولِ طبعٌ ... جَعلتُ إلى رياضته انتدابه

ويهتز القَريض إلَيّ عُجباً ... متى أوجفتُ في أحدٍ ركابه[3]

وهل أحدٌ بامضى فيه مني ... وانفذَ سهماً أو أقوى إصابه؟

متى أمدح أشِدْ مجداً أثيلاً ... يد الأيام لا تُمضي خرابه [45/ب]

ولو كنتُ امرأً بالذم يُغرى ... هَرقتُ على مُرقّه صِنابه

45 ولكنّي شئمتُ الذمّ حتى ... نضوت تكرّماً عني ثِيابه

وربُّ الشّعر ما لم ياسَ يوماً ... ويَجرحْ لا تكون له مَهابه

وإذْ أيقظتني ونَدبتَ مني ... إلى قَصد الوَرى صَعبَ الإنابه[4]

فأنتَ أحق مُسؤولٍ بقَصدي ... وأفضلُ من قَرعت عليه بَابه

وقد صيّرت ما أشكو كتاباً ... فصيِّر ما تجود به جَوابه

50 وإلا فُرضةٌ منكم عَسى أن ... يقال: لقد ملا يحيى جِرابه

---

(1) ذئابَ في موضعيها بتسهيل الهمزة.

(2) دأبه بتسهيل الهمزة.

(3) في البيت اقتباس من قوله تعالى، الحشر / 6 ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾.

(4) في البيت تضمين وهو أن يتعلق معناه بالبيت الذي يليه.

مــن الأوشــالِ لُــجُّ البَحــر طــامٍ وفـيضُ الـسيل[1] مـن نُقـط السّحابه
دعــاكَ دعــاءَ مُــضطرٍ غَــريقٍ ويـــرجو أن دَعـــوته مجابـــه
إذا انـتُخبَ العظـيمُ لكَـشفِ جُلـى وتبلـيغِ المنـى كُـنت انـتخابه [46/أ]
ومــن تــكُ سَــهمَه الماضــي ويأمــلْ بـك الغـرض الـذي يَهـوى، أصـابه
55 قـد اظلـمَ بالحَـوادث أفـقُ سَـعدي فجـلِّ بـشمس عـونِك لـي ضَـبابه[2]
وضــاق بمــا طــواه الـسّعد ذرعــاً فوسِّــعْ بالــذي أرجــو جــنابه
وصــلْ رَحِــم الــتأدب بالأمَانــي فــإن ذِمَامـــه أدنـــى قَـــرابه
تآلفـــنا علـــى نَـــسبٍ كَـــريمٍ فـبابُ الـشعر مـن بـابِ الكـتابه
كتــبتُ بــه عَلــيل الجــسم نِــضواً وذو الأســقام قــد يعــدو صَــوابه
60 وموقــفُ حـشرِ نقـدِ الـشّعر صـعبٌ فيــسُّرْ عــند مــوقفه حــسابه[3]
وإغــضاءً علــيه فلــيس صــقرٌ يجــرُّ الــصيدَ حــيث يــرى عِقابــه

[37]

فلما دفع إليه هذه القصيدة كتب إليه يستنجزه:

(من الطويل)

1 أبا الفضلِ لا تُرتب بفضلك إنني حفزتُك والمضطرُ يُعذر في الحَفز[46/ ب]
إذا كان للمرءِ التقدمُ رتبةً ولا بد منه فالتّأخر عن عِجز
ولابد من هزِّ الكريمِ لأنني رأيت الحُسامَ العضبَ أمضى لدى الهز

---

(1) الذخيرة: "وفيض البحر".

(2) همزة اظلم للوصل لضرورة الوزن.

(3) في الذخيرة: "موقف حسن" الأصل: "بعد الشعر".

4 ولو كان يستغني الكريمُ بطبعه عن الهزّ لاستغنى الجواد عن الهَمز

فكتب إليه أبو الفضل بن حسداي:

(من الطويل)

1 لعَمري لقد طبّقت في الشعر مِفصلاً أتيتُ به عَفواً وأقللت في الحز

سألطفُ في فروٍ من الحمد تُكتسي به يُقتضَى بالنتف طوراً وبالجزِّ

3 فيؤخذُ من قوم بعطفٍ تودد ويؤخذ من قومٍ إن اعتاضَ بالزّزِ[1]

[38]

فكتب إليه أبو بكر الجزار يراجعه:

(من الطويل)

1 وإني لذو بزٍّ من الحمد طرزُه فمالي أراكَ اليوم تزهدُ في بَزّي

كأنك لم تكتبْ إليَّ مصرّحاً بلا لغزَ فيما خططت ولا رمزِ [47/أ]

سألطف في فَروٍ من الحَمد تكتَسي به يُقتضى بالنتف طَوراً وبالجَزْ

فيؤخذْ من قَومٍ بعَطفٍ تُودد ويؤخذْ من قومٍ إنْ اعتاض بالززِ[2]

5 ولم يبقَ من يَعتاضُ غيرَك فاقضِ لي عليك فقد أخلقتُ وجهيَ بالجَمزِ[3]

وأقول الآن إن أبا بكر- رحمه الله- احتفل في قصيدته في القصابة وأبلغ، ووصل بها الغاية القصوى من الفصاحة وبلغ، ونزع فيها منزعاً رشيقاً نبيلاً، وسلك من الجد والهزل سبيلاً، ووصف فيها قِصابته، ومدح جماعته وعِصابته، ونعتهم بالبسالة والنّجابة، وفضل

---

(1) [الزز: الصفع].

(2) أعاد الجزار بيتي الوزير ابن حسداي اللذين جاءا في جوابه المتقدم آنفاً.

(3) [الجمز: ضرب من العدو، وجمز الرجل في الأرض، ذهب].

صناعتهم على الحجابة، فطوراً يمدحهم ويذمهم تارة، وآنة تصريحاً، وآونة إشارة، ففي بيت يصفهم بطهارة الجلباب [47/ب]، وفي آخر يجعلهم مقراً للذباب، وفي ثالث ينشر لهم محاسن في الناس، ويصفهم بالقذارة والأدناس.

وهذه نهاية البليغ المشحوذ الفكر، وغاية الأديب الكثير الذكر، أن يمدح ويذم معاً إذا شاء، ويجيد السبك والإنشاء، ويُنشي للكامل من النقصان صورة، ويدع المحاسن (على الخسيس)[1] موقوفة مقصورة.

وهذا أمرٌ عسير الاطراد، إلا على المهرة الأفراد.

[39]

وله- رحمه الله- إلى بعض إخوانه يصبره على ما دهاه:

(من الوافر)

1 عوائدُ هذه الدنيا ضُروب ... يحملُ عبأها الفَطِن اللبيب

وللأيام طبعٌ مستحيل ... فلا دعةٌ تدومُ ولا لغوبُ

فلا تفرحْ إذا دنتِ الأماني ... ولا تحزنْ إذا دَهتْ الخطوب [48/أ]

فغايةُ كلِّ عاصفةٍ سكونٌ ... وغايةُ كلِّ ساكنةٍ هبوب

5 ومن عَرفَ الزَّمان يكنْ سواءً ... لديه القارُ والحلو الشَّنيب

وما نبغيه من زمنٍ لئيم ... أخو الكرمِ الصريحِ به مَعيب

يصابُ لفضله ذو الفضل فيه ... فيُخفيه كما تُخفى العُيوب

8 يخلصكَ المهيمنُ من أذاه ... فلي مما دُهيت به نصيب

[40]

وله رحمه الله: (من الطويل)

1 وكم ليلةٍ أحلى من الأمن بتّها ... نديمِيَ بدرٌ والرحيق رُضاب

سريتُ إليه والسّماء كأنها ... غديرٌ له زهر النجوم حَباب

---

(1) زيادة من الحاشية.

وشهبُ الدّراري تخفِق الجو والدُّج | كما اشتجرتْ يوم الهياج حِراب[1]
وقد مالت الجوزاءُ غرباً وأوجفتْ | لطعنِ الدجا خيلٌ وزُمٌّ ركاب[48/ ب]
5 كأنّ طُلوع الشّعريين باثرها | رقيبٌ بإحدى مُقلتيه مصابُ
وسلتْ يد الإصباح مرهفَ فجره | فذلّت رقابُ اللّيل وهي صعاب
وقلصتْ الظلماءُ وارتاع سِربها | كما طارَ عن بيضٍ أكنَّ غراب

[41]

وله رحمه الله (من الطويل)

1 عَسى وطن أودى بألفتنا شحَطا | يقرّبنا زُلفى ويَنظمنا سِمطا
لأسرعُ ما أمضى التّفرق سهمه | فأصمى فؤادَ القرب منا وما أخطأ
ووصلتُكم كانتْ من الدّهر مِنحةً | فما باله اليَوم استردّ الذي أعطى
ألا ليتَ شِعري هل يُرى بعدُ ساعِاً | بعهدِ تصاب كنتُ في عِقده وُسطى
5 وهل يُسعِفني فيك يَوماً بأوبةٍ | يضيءُ بها أرجاءَ شيقرْ والشّطا[2]
أتذكر كَمْ من طِيبةٍ أثر طِيبةٍ | سَحبنا لها في فُتنيط[3] العُلا مِرطا [49/ أ]
وكم فَتكةٍ للراحِ جازَتْ بنا المَدى | بحيثُ وشيجُ الحُبِّ والأثلِ والأرطى[4]
ومَقصبةٍ تُهفو الرّياحُ فتنثنى | فتَحسبها تحتَ الرّياحُ قَنا خَطّا
وجدولِ ماءٍ كالمجرّةِ أسبغتْ | بحَافاتها الأنواءُ من نَسجها بَسطا
10 صَفا ماؤه حتى كأنّ انصبابه | حسامٌ إذا يُستلّ أو حيّة رَقطا
كأنّ نثيرَ النّور تحت يَدِ الصّبا | فصوصُ مها أو لؤلؤٌ أعوز السّمطا[5]

---

(1) الأصل يوم الحراب هياج وهو وهم من الناسخ بتقديم وتأخير.
(2) شيقر نهر يخرج من أرض جليقية، تقوم عليه مدينة لاردة إحدى مدن الثغر الأعلى، ومنه تلتقط شذرات الذهب، الروض المعطار 507.
(3) الراجح فيها أنها اسم موضع في الأندلس، لم أقف عليه فيما توفر لدى من مصادر.
(4) الوشيج: شجر الرماح واشتباك القرابة، الأثل: شجر واحدته أثلة، الأرطى: شجر نوره كنور الخلاف، وثمره كالعناب مرّة تأكلها الإبل الواحدة أرطاة والألف للإلحاق (ق).
(5) [المها جمع مهاه وهي البلّورة].

إذا ما الرِّياح الهُوج نثرنَ عِقدَه … ظَلِلنا نُفدِّيه ونَلقِطه لَقطاً[1]

فيالكَ مَرأى ما أسرَّ لناظر … ويالكَ فَرشاً ما أجدّ وما أوطا

بساتينُ بزّت حُسنَ جنةِ مأرب … لذيذٌ حلاها ليس أثلاً ولا خِمطا[2]

15 وأربعُ عُرفٍ لم يُشنها بمنكرٍ … ولم تسمعِ الآذان منها بها لَغطا

لو أنّ امرأ القيس بن حجر يَحلُّها … لأقصرَ عن أن يذكر الجزعَ والسقْطا[3] [49/ب]

وعذراءُ دونِ بنتِ تسعين حِجة … بذلنا لها الأرواحَ في مَهرها شَرطاً

أقمنا بها سُوق التّصابي فما وَنَت … تُردّ البَنان الجَعد من يَومها سِبْطا

ومِلنا إلى خَلع العِذار فما وَنَت … أطافَ بها ذو العَذل فيها لنا ضَبطا

20 تطوف بها غُصينةُ القدِّ كاعبٌ … لها مقلةٌ كالخَمر سَطوةً أو أسْطى[4]

وخدٍ كمثل البدر ليلةَ تمه … تُخال سَواد الخال في صَفحه نُقطا

وساقٍ شكا الخِلخالَ ضيقاً كما شكت … معاصمُها شحّ السّوار لها ضَغطا

وفرعٍ يغشّي المتنَ أسود فاحمٌ … تُضِل المُداريَ في غدائره مَشطا[5]

إلى مِثلها يَصبو الذي كانَ صَابياً … وإلا فما وفّى الصِّبا في الهَوى قِسطا

25 ودونَكها عَذراء أحكمتُ سَردها … وقلدتُ آذانَ القوافي بها قِرطا[6]

وإني وإن أهديتها بحترية … كمُهد إلى صنعاء من وشيها مِرطا [50/أ]

وعُذراً لتأخير الجَواب فإنني … ضَعفتُ فلا قَبضاً أطقتُ ولا بَسطاً

تولى عليَّ السُّقم عاماً فحطّني … على رَغم أنفي عن جِلى[7] صِحى حِطا

---

(1) الهوج: الشديدة.

(2) بزت: غلبت ومأرب: موضع باليمن. الخمط: المرّ من كل شيء وكل نبت أخذ طعماً من مرارة (ق).

(3) الجزع والسقط: اسم موضعين ذكرهما امرؤ القيس في شعره، [ديوانه 8، 88، 201].

(4) بتخفيف همزة أو الأصل: سطوة بالتاء ولا يستقيم بها الوزن.

(5) في صدر البيت تضمين لبيت امرئ القيس (ديوانه ص16) الذي عجزه: أثيث كقنو النخلة المتعثكل.

(6) الأصل: ودونها وهو تحريف صوابه ما أثبتناه.

(7) [الجدية، القطعة المحشوة تحت السرج والرجل].

وطالتْ مُعاناة الأساةِ وكلّهم ... عَمٍ خابطٌ عشواءَ في عِلّتي خَبطا

30 فهذا يَراها علةً دمويةً ... وهذا يراها مرةً خالطتْ خِلْطا

يعانيك هذا ثم إن سِيلَ غيره ... يقول- وإن كان المُصيب- لقد أخطا

فلو أبصرتْ عيناكَ لونيَ أغبراً ... ورونقَ وجهي قد تغيرٌ والمحطا[1]

ورَأسيَ قد شَابت ذوائبُ ليله ... ولاحَ صباحُ الشّيب في جنحه وخطا

لأبصرتَ من مَرآيَ خلقاً مشوّهاً ... وأنكرتَ من مرآيَ أنزعَ مُشمَطا

35 إلى اللهِ أشكوا ما دَهاني فقد عَدا ... وأسأله تعجيل بُرءٍ فقد أبطا

ولما تُراخى عَهدُ أُنسِ خِطابكم ... ونكرتِ الدّنيا معارفَه شَحْطا[50/ ب]

تُطلعتُ من أُفقي أشيمُ بُروقه ... وذِبتُ اشتياقاً إن تجشّمَ لي خَطا

لعلك أن تُحيي به نفسَ شَيّقٍ ... كما أحيتِ الأمطار أرضاً بَدَتْ قَحطا

[42]

وله رحمه الله: (من الطويل)

1 وعاطلةٍ حَلّيتُ بالمجدِ جِيدها ... ونظّمتُ من دُرِّ الحَباب لها سِمطا

أدرتُ حُميّاها على الشّرب والدّجا ... بأنجمِه حالٍ كزنجيةٍ شَمْطا

تخيّر من دُرّ الكَواكب عِقدَه ... وخَصّ من الشِّعْرى العَبورِ له وُسطى

ومالتْ إلى الغَرب الثّريا كأنّما ... تُقلّدُ أذنَ اللّيل من شكلها قُرطا

5 أقمتُ على اللّذات فيها مُساعداً ... ووفّيت ريعانَ الشّباب بها قِسطا

ودارتْ كؤوس الرّاح حتى تُركتني ... غَريقاً ببحرِ السّكر لا أبصر الشّطا[51/ أ]

---

[1] في البيت تضمين، وهو أن يتعلق معناه بالذي يليه، وقد صرف الممنوع من الصرف (اغبر) لضرورة الوزن.

أغنّي ولا أُذُنٌ تعي نغمَ الغِنا   واسقى فلا أسطيعُ قَبضاً ولا بَسطا

[43]

وله رحمه الله:

(من البسيط)

1 يا مجهدَ النّفس في نَيل المُنى طمعاً   الجدُّ يُجديك، ليس المالُ يا رجل
إني تلوّنت للدّنيا تلوّنها   واختلتُ دَهري فما أجدتني الحِيل
وليسَ يَحظى بسَعد المُشترى أبداً   من ليسَ مُنتقلاً عن بُرجه زُحل
ولا تُنال بغيرِ الجِد مَأربةٌ   لا يقطعُ السّيف ما لا يَسبقُ الأجل
5 في قِصّتي عَجَبٌ فاسمعْ إليّ فما   أتتْ بمثلِ حديثي الأعصر الأول
رأيتُ قَوماً بنظم الشّعر قد وَصلوا   إلى المُنى وأُنيلوا فوقَ ما سَألوا
فقلتُ: ما ليَ لم أسلك سبيلهم؟   أليسَ بي في القوافي يُضربُ المثل؟
لو أنّ نظمَ غريبِ الشّعر معركةٌ   ما كان غيريَ فيه الفارسُ البطل[51/ ب]
كم بالقِصابة لا أنفكّ في سَغَبٍ   وفي المدائحِ عنها للفتَى حِول
10 وسوّلت ليَ نفسي أن أقومَ بها   وطشتُ والطّيش مَقرونٌ به الزّلل
حتى إذا حكتُ أثوابَ المديح إذا   بجودُ لابسها قَولٌ ولا عمل
فقلتُ واليأس مستولٍ على أملي: ما كلّ ذي أملٍ يَصفو له الأمل
لما بدا لي أنّ الشّعر مَسغبةٌ   وحظُّ ناظمه الحِرمان والبُخل
عَدِلت عنه وقلت: الموتُ أيسر من   تسآل قومٍ إذا اما استُمنحوا بخلوا
15 حسبي القِصابة لا أبغي بها بدلاً   من قرّ بالشّيء عَيناً عزّهُ البَدل
وكان عَهدي بها غَرّاءَ واصلةً   إذا بها فاركٌ تجفو ولا تَصل
فكنتُ مثل المُباري زَوجه فركاً   وشَرّ خيمِ الرّجال العُذر والمَلل
حتى إذا ما استبانتْ عنه وانْصلت   بغيره وبدا من رأيه الخطَل [52/أ]

أبدى إليها ضُروباً من محبَّتها ... وفي جوانحها من بغضه جمل

20 فظلّ يُدمنُ قرعَ السن من ندمٍ ... آيّان لا ندم يُجدي ولا حِيل

أو كالغُراب رأى من جوه حَجلاً ... فقال: قد بزّني في مشيه الحجَل

ثم انبرَى حسداً منه ليحكِيها ... في المشي والطّبع شيء ليس ينتقل

لما تيقّن أن الأمرَ يعوزُه ... وأن ذلك شيءٌ ما به قِبل

رأى الرجوعَ إلى معهود مِشيته ... أولى به فإذا في مشيه خَبل

25 فلا إلى مشيه المعهودِ عاد ولا ... نال المرادَ وبانَ العجز والكسل

وإنني مثلُه وافقته سَفَهاً ... في الرأي لامَيْنَ في قولي ولا خَطل

لا بالقِصابة أستولي على أملي ... ولا بشعري إلى نيلِ المنى أصل

مذبذبٌ غيرُ حاظٍ في سبيلهما ... مثل النعامة لا طيرٌ ولا جمل[52/ ب]

[44]

وله رحمه الله يرد على ابن غرسية[1] في تفضيله العجم على العرب:

(من البسيط)

1 يا مفتياً بانتقاضِ الشرَع أعصاراً ... إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا[2]

أو كنتَ سيلاً فقد لُقّيت ذا لُججٍ ... مُغطمَطاً طامح الأمواج زخّارا[3]

إن رُمتَ وقعَ عِتابٍ منه منبثِقٍ ... لاقيتَ من مدّه الوقّاع تيّارا

---

(1) ابن غرسية، هو أبو عامر احمد بن غرسية، قال الحجازي: من عجائب دهره، وغرائب عصره .. وهو من أبناء النصارى البشكنس، سبى صغيراً، وادبه مجاهد .. المغرب 2/ 406، وفي الرد على رسالته كتبت رسائل كثيرة، أورد له ابن بسام بعضها في ذخيرته 3/ 315، 722، 746، وكذلك أورد الرسالة، وجاءت في نوادر المخطوطات 1/ 234 وترجمت مع الردود إلى الإنكليزية، كليفورنيا 1970. وينظر كذلك المغرب 2/ 355، الذخيرة 3/ 704 هامش 4.

(2) في عجز البيت تضمين للمثل المشهور: إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً المستقصى 1/ 373، والأعصار الأولى جمع عصر وهو الدهر.

(3) [الغطمطة: اضطراب موج البحر].

طُوفانه- إن طما- لم يُبقِ فائضه | من شيعةِ الكفر فوق الأرض ديّارا[1]

5 كفاجرٍ منهم في أرض دانيةٍ | قد أظهرَ الكفر فيها اليومَ إظهارا

يا للحنيفيّ ممّا حلّ ما لكم | لا تُنكرون خلاف الشّرع إنكارا

هذا ابن غرسيةٍ من لاردةْ لِهجٌ | بكل كفرٍ صريحٍ يُورِد النّارا[2]

ولا مقامَ على هذا لمحتسبٍ | يقوم لله إعلاناً وإسرارا [53/أ]

فحذروا الناس من روميٍّ مذهبه | ولا يُرى أحدٌ منكم له جاري

10 إنا نرى الآن هذا الدّين نخذِله | ونحنُ كنّا له من قبلُ أنصارا

[45]

وله رحمه الله:

(من الوافر)

1 أرومُ الجود من زمنٍ شحيحٍ | وصعبُ الروم توقيفُ الجموح[3]

وأطمحُ للمعالي والليّالي | تقصّر باعَ همتي الطموح

وقد قصُرت خطا الخُطيِّ عما | أؤمله فكيف خطا المديح

زمانٌ أقصرَ الأيام فيه | كأطولِ ما حكوا عن عمرِ نوحْ

5 يشيبُ لهوله الولدانُ ذعراً | ويحسد حيّهُ من في الضريح[4]

لقد شمل الأذى والذّعر حتى | يهز الطودَ منا كلّ ريح

---

(1) في البيت اقتباس إشاري من قوله تعالى في سورة نوح (22): ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾.

(2) لاردةْ من قواعد الثغر الأعلى. وكانت عاصمته سرقسطة، وتقع لاردة إلى الشمال الشرقي من أفراغة، وغربي ثغر برشلونة، على بعد 150كم، وقد بقيت بأيدي المسلمين حتى سنة 544هـ، وتولاها يوسف ثم أخوه أحمد المقتدر، الروض المعطار 507، الآثار الأندلسية الباقية، عنان ص 114. وقد ابن غرسيةْ جاء مصروفاً للضرورة الشعرية.

(3) الأصل: أأرومْ بهمزتين ولا يستقيم بها الوزن.

(4) في صدر البيت اقتباس إشاري من قوله تعالى (المزمل 17): ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ وفي العجز تضمين لمعنى الحديث الشريف (البخاري ـ الفتن 22، 25).

فما أشكو لمن أشكوه إلا كما يشكو الصّحيح إلى الجريح[53/ ب]
ولا خَلقٌ يقاسمني همومي فاشكوهن شكوى مستريح
فزُرْ يا موتُ أو يا نفس فِيظي والا تعتدي للموت روحي[1]
10 إذا ما العيشُ قادَ إليك ذلاً فإنّ العزّ في الموت المريح
إلى كم أنتقي دررَ المعاني اقلّدها تماثيلاً بروحي[2]
وألقى كلّ مذمومِ المساعي مريضَ العَقل بالأمل الصحيح
ولا جزعٌ وإن كَلُبتْ وعضّت خطوبَ الدهر والزمنُ الجميح
فقد تأتي البوارحُ بالأماني ويكذبُ زجرُ طائرها السنيح
15 وما يأتي القضاء على قياسٍ فيبأسَ من صلاحٍ أو صلوح

ووعد شاعراً بشيء ومطله فكتب إليه الشاعر يعاتبه على مطله: [54/ أ]

(من الكامل)

1 فإذا وعدتَ وقلت في شيء: نَعمْ لا تُخلِفنّ فعن خلافك تُسأل
وإذا ذهبتَ إلى مخالفة فقل: لا أولاً، فمقال لائك أجملُ
3 يا صفوتي من أهل ودّي كلّهم ما لي أراك تُقول ما لا تفعل؟

[46]

فكتب إليه الجزار رحمه الله:

(من الكامل)

1 في سُورة الشعراء عُذري واضح وكفى بما نصّ الكتاب المُنزل[1]

---

(1) فاظت نفسه: بالظاء يعني مات.

(2) صرف الشاعر الممنوع من الصرف (تماثيلاً) لضرورة الوزن.

لكنْ أراك إلى المَلامة جانحاً ولربَّ عذرٍ واضح لا يُقبل

3 تُبغي ليفعَلَ شاعرٌ ما قاله والله قال: يقول ما لا يَفعل

[47]

وبات ليلةً من الليالي بحصن (بيتُول)[2] من عمل سرقسطة فتألم طول ليله من كثرة البراغيث، وتوجع وما أغفى به ساعة واحدة ولا هجع فقال مرتجلاً: [54/ ب]

(من الطويل)

1 لحا الله بيتولَ الدّنية إنها بها يستزيد الحزن والفرح ينقص

لقد بتُّ فيها ليلةً أيَّ ليلةٍ وبرغوثها حولي من الفرح يرقص

3 كأن فراشي تحت جنبيَّ طاجِن وزَريعةُ الكتّان فيه تُحمص[3]

[48]

وله رحمه الله:

(من الكامل)

1 الناس فرعٌ من أروم واحدٍ فالفخرُ بالأحساب كالهَذيان

كم من حسيبٍ حطّ مجد جدوده فوَهى وكان موطّد البُنيان

3 من لم يكنْ حسَبٌ له من نفسه فهو الوضيعُ وإن غدا ابنَ فلان

---

(1) يشير الشاعر إلى قوله تعالى (الشعراء 224 ـ 227): ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ... الآية﴾، وقد اورد جزءاً من الآية بغير نصه، في آخر البيت.

(2) لم أعثر في الكتب البلدانية المتوفرة على اسم هذا الحصن، ويبدو أنه حصن صغير، غير ذي أهمية وفي المقتبس 434 لابن حيان ورد اسم حصن برتيل عاصم فلعلهما حصن واد، ورد ذكر هذا الحصن ضمن صائفة قام بها عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة 327 بدأ الصائفة من طليطلة واقتحم بعساكره أرض العدو فجال فيها أياماً من محله إلى أخرى إلى أن احتل على مدمة (كذا) .. ثم انتقل منها إلى حصن أشكر، ومنها إلى القصرين ومنها إلى المحلة، ومنها إلى حصن برتيل عاصم .. وفي المن بالإمامة ص 511 بنيول، إلا أنها ذكرت في أعمال بلنسية.

(3) [الطاجن كصاحب، المقلاة].

[49]

وله رحمه الله:

(من مجزوء الرمل)

1	نزِّه الحكمةَ عمن	سمعه ليس يعيها
2	خيرُ ما يُجلب للأسـ	ـواق ما ينفق فيها [55/أ]

[50]

وله رحمه الله:

(من الكامل)

1	المـرء تحـت تـصرّف الأقـدار	لا يدفـعُ المحـذورَ طـول حِـذار
	والـناس أطـوارٌ، وشـتّى سـعيُهم	والكـلّ بـين مـداريءٍ ومـداري
	والغـدرُ مـن شـيم الـزّمان، وقلّما	يُرجـى وفـاءُ الخـائِنِ الغـدّار
	لم يحـلُ، إلا أعقـبتْ أيامُـه	مـن لـذةِ الإحـلاء بالإمـرار
5	فـصفاؤهُ كـدِر، وحلـوُ مذاقِـه	مـرٌّ، وجـرحُ يَديـه غـيرُ جُـبار
	ومـن المحـال مـرامُ نقـلِ طـباعهِ	لا يـستحيل القطـرُ صـفوَ نُـضار
	والمبتغـي مـنه الـوفاءَ، كطالـبٍ	مـاءاً قُـراحاً في سـرابٍ قِفـار
	يـا مـن يفـرُّ مـن القـضاء بنفـسه	هـيهات، مـن لمقـيدٍ بفَـرار
	تبغـي الـنجاةَ لهـا مـن الدنيا، وهل	ينجو قنيصٌ، من مخالبِ ضاري[55/ ب]
10	سـر حـيث شـئتَ وكيف شئتَ فإنما	تُطـوى المـراحلُ في يـد الأقـدار
	أتفِـرُّ مذعـوراً، كأنَّـك خالـدٌ	وكـأنّ ثـوبَ العُمـر، غـيرُ معـار
	وتواصـلُ الأمـر البعـيدَ كـأن عُمـ	ـرك نـام عـنه قاطِـع الأعمـار
	مـن فـرَّ مـن قـدرٍ فلـيس فِـراره	إلا علـى قـدر علـيه جـاري
	أزمعـتَ حجـاً دونـه لجـجٌ طمـتْ	وتـركت حجَّـك عـند بـاب الـدار
15	وجعلـتَ سـعيك ظاهـراً لله كـي	يَخفـى وهـل يخفـى ضـياءُ نهـار

ويئست من فرجٍ وخير عاجل ... كالممتري في قُدرة الجبّار
فلئنْ حججتَ، فلابتغاء سلامةٍ ... تُنجيك، لا للواحد القهّار
هيهات سرُّك، عند من لا يَختفي ... عن علمه شيءٌ من الأسرار
لا أبتغي بعد المواطن عِيشة ... تركُ المواطن محنةُ الأحرار [56/أ]
20 والبحرُ أصعبُ ميتةً لغريقه ... من ميتةٍ بعواملٍ وشفار
وأحق من نال الشهادة مقصد ... بالمشرفية والقنا الخطار
أو ليس أفضلُ أن أموتَ مجاهداً ... من أنْ أموتَ لُقىً غريقَ بحار
لا تيأسنَّ وإن تصعَّبت المنى ... فالصعب قد يُرتاضُ بعد نِفار
قد تصغرُ الأشياءُ وهي كبيرةٌ ... وتهونُ وهي عظيمةُ المقدار
25 ما كلُّ ما يُخشى ويرجى واقعٌ ... حال القضا بين السُّرى والسّاري[1]
قد يفلتُ المقدامُ من شرَك الوغى ... وتفيظُ فيه مهجةُ الفرّار[2]
كم آملٍ أملاً قريباً نيلُه ... قطعَ الحِمام به عن الأوطار
ما كلُّ ذي أملٍ ينال مرادَه ... غلبَ القضاء إرادةَ المختار
قد خطّتْ الأقلام ما هو كائنٌ ... وجرى بما سبق، القضاءُ الجاري[56/ ب]
30 والله يحكمُ لا مردّ لحكمه ... ومن المحال دفاعُ حكمُ الباري
ليس النعيمُ ولا الشقاء بدائم ... لا بدَّ للإقبال من إدبار
الصبرُ أجملُ في الأمور عواقباً ... لا خيرَ في متخوّفٍ خوّار
سلِّم إلى الأقدارِ أمرَك تسترحْ ... ما كلُّ مطلوبٍ يُنال بثار
وارج الأمور إذا تناهى ضيقها ... إن التناهي أول الإقصار
35 كم من مخوفٍ لا قرار وراءه ... أفضى إلى أمنٍ وحُسن قرار

---

(1) الأصل: ألغضا وهو تصحيف القضا.

(2) بالأصل: وتفيض بالضاد وما أثبتناه أولى، وفاظت مهجته بالظاء: يعني مات.

قال هذه القصيدة في رجلٍ رحل من سرقسطة فاراً منها حذاراً من العدو، وأظهر في فراره المسير إلى الحج، فلما أبصر البحر جزع وانصرف.

[51]

وله رحمه الله يمدح الفقيه المشاور أبا الوليد[1] من أهل سرقسطة: [57/أ]

(من الكامل)

1 يَسعى الحريصُ ورزقُه مقسومُ ... والحرصُ مرتعُه الخَصيب وخيمُ

لو نال بالحَزم أمرؤ حظّ الغنى ... ماتَ الفتى الكسلانُ وهو عَديم

سبقَ القَضاء بكلّ ما هو كائن ... فمن النّهى التفويضُ والتّسليم

قد قسَّم الأرزاق بين عبادِهِ ... ربٌّ رؤوف بالعباد رحيم

5 حِرص الفتى سَببٌ إلى حِرمانه ... وطلابُه ما ليسَ يُدرك شُوم

ما بالُ دنياي الدّنية لم تُقِم ... أودي، أكلُّ مفَّوهٍ محروم

نُوديت واحدها ورُخمتِ المُنى ... بئسَ النّداء وراءَه الترخيم

قدَرٌ عن الآمال أصبحَ مُقعِدي ... ومن المقادرِ مُقعَدٌ ومقيم

لا تجزعي يا نفسُ إن خطبٌ عدا ... فالحرّ يعثرُ تارةً ويقوم

10 ليسَ العجيب بأن غيري راضعٌ ... ثدي المرادِ وأنني مفطومُ [57/ب]

فكذا الزّمان بأهله متقلّب ... لا البؤسُ فيه ولا النعيمُ يدوم

إن الفقيه أبا الوليدُ المنتقى ... وزرٌ كفيل بالمراد زعيم

لولا سلوكُ يمينِه سُبلَ الندى ... درستْ ولم يُعلمْ لهن رسوم

يا أيها المحرومُ مأمولَ المنى ... أجهِلتَ أن عطاءه مَحتوم

---

(1) في الذيل والتكملة 4/ 71 رقم 172 ترجمة لأبي الوليد سليمان بن عبد الله ابن محمد حفصيل الأسدي، سرقسطي من آل حفص بن سليمان القارئ، صاحب عاصم الكوفي، ولي قضاء بلده، بعد تغلب ا لروم عليه، وكان فقيهاً أديباً شاعراً فلعله هو الممدوح في القصيدة.

15 لا تُعْــدُ لقـــياهُ وزُره مـــسلّماً | فلقـــاؤه يكفـــيكَ والتَّـــسليم
وأنِـخْ بـباب رِحابـه بُـدن[1] الـرَّجا | ءِ ولا تُخْـــم فالجُـــود فـــيه خِـــيم
أضــفى الـوَقار علـيه حلّـة هيـبةٍ | تطريـــزها التبجـــيل والتعـظـــيم
متواضـــعٌ في رِفعـــة ذي همـــةٍ | تَـــسمو إلى كـــسبِ العَـــلا وتُهـــيم
همـمٌ سمَـت رُتـبَ العـلا حتى غَدَتْ | وكأنهـــا فـــوق الـــنُّجوم نُجـــوم
20 مـــتوقدُ الآراء يقظـــانُ النُّهـــى | طِـبٌّ بـأدواءِ الـزّمان عليم [58/ ب]
حلـــوٌ ومـــرٌّ للمريـــر مذاقُـــه | كالدّهـــر فـــيه شَـــقاوةٌ ونَعـــيم
شـاد العُـلا بـيدِ العَطـاء فمجـده | عالـــي البـــناءِ وغـــيره مهـــدوم[2]
مـــن معـــشرٍ مـــا زالَ في أمـــوالهم | حـــقَ لمـــن يَـــرجوهم معلـــومُ
الفَـــضل فـــيه وفي ذويـــه لم يــزلْ | مـــنه حـــديثٌ فـــيهمُ وقـــديم
25 لله مـــنه أيُّ فـــارسُ مقـــولٍ | يَعـــنو لـــه المنـــثورُ والمـــنظَوم
مــاضٍ أقــام مــنارَ كــلّ فـضيلةٍ | وأســال سـيلَ الجـودِ وهـو عَـريم
وفقـيهُ شـورى إن تعـرَّض مُـشكلٌ | جَلّـى دُجـى الإشـكال وهـو عـديم
ضَـافي الذّيـول مـن الـسّكينة والتُّقى | يقظـــانُ مأمـــونُ الجِهـــات سَـليم
متـــبرّع بـــبلاغةٍ وفـــصاحةٍ | تعـنو إلـيها يعـربٌ وتمـيم [58/ ب]
30 قـد شـدّ أزرَ المآثـرات كمـا تـرى | شـــدُّ البـــناءِ الواهـــيَ التَّدعـــيمُ
عَقِـم الـزّمان عـن أن يجـيء بمـثلِه | إن الـــزّمان بمـــثلِه لعقَـــيم
يـا مـن يُؤنـبه علـى صِـلةِ الـنَّدى | أعلمـــتَ مـــن في المكَـــرمات تُلـــوم
هـيهاتَ نقـلُ الـصّخر أعـسرُ مطلـباً | أن يَـستحيل عـن العَطـاءِ كـريم[3]
لـــيس ابـــتذالُ المـــالِ يُفيـــنه، ولا | يُبقـــيه في كـــفّ اللّئـــيم اللّـــوم[4]

---

[1] الأصل بَذل محرفة والصواب ما أثبتناه.
[2] الأصل وَمجده مهدومٌ وهو تحريف ما أثبتناه.
[3] الأصل أن يستحلّ وهو تحريف.
[4] الأصل: يَغنيه ولاً وهو تحريف ما أثبتناه.

35 حَسب الكريمِ مَحامدٌ تبقى له ... وكفى اللّئيم بأنه مَذموم
لما رأيت سَماءُ جودك زُيّنت ... جوم جودٍ بنجوم جود نوؤها مسجوم
أرسلتُ شيطانَ افتقارِي سامعاً ... فلعله بشهابها مرجوم

[52]

وله رحمه الله يمدح ذا الوزارتين (أبا الأصبغ ابن الإمام) رحمه الله تعالى: [59/أ]

(من الوافر)

1 ألمّ خيالُ مَيّةَ عن لِمام ... بنارِ مُنى فحيّا بالسّلام
وذكّرنا بجانبِ ذي طُلوحٍ ... زمانُ الوَصل في تلكَ الخِيام
وأياما لنا بلِوى أريك ... نُعِمنا في مراسِمها الوُسام
بكلّ خَريدةٍ حَسناءَ رَودٍ ... خلوبِ اللحظ مُرهفة القُوام
5 عَجِبت لطيفها أنى تهدّى ... إلينا طاوياً تلك المَوامي[1]
وكيف على السّرى اجترأتْ وعَهدي ... بها تُرتاعُ من ظِلّ القُوام
سَرَت ونواظر الرُّقباء رُمدٌ ... وعينُ الدّهر رَيّا بالمَنام
وقد لَبِستْ نُجوم الجو بُرداً ... أجادت صِبغه أيدي الظَّلام
كأنّ زبرجدَ الخَضراء روضٌ ... تفتّح عن بَهارٍ في كِمامِ
10 كأن البَدر فيه أمير قومٍ ... سرى منهن في جيشٍ لُهام [59/ب]
يبثُّ جنودَه شَرقاً وغرباً ... وقد بعثَ الطّلائع من أمام
تكشّف عن ضَمير اللّيل سِراً ... سيعجله الصّباح عن اكتتام
كأن الفَرقدين إذا استكنا ... حَبيبان استكانا للغرام
كأن سُهيلها رَجلٌ مروعٌ ... تُوجّس خيفةً من ذي انتقام
15 كأن خُفوقه قلبُ المُعنى ... تشكّى ما يلاقى من هِيام

---

(1) الأصل: المَوامْ بإسقاط الياء، والصواب إثباتها لعدم التنوين، وهي جمع موماة: الصحراء.

كأن تبرّج الشّعرى خليعٌ ... من الفتيات واضعةُ اللّثام

كأن بناتِ نعشٍ إذ تبدّت ... حوائمُ حول منهلِها ظوامي

كأن سُهى النجوم بها عليل ... ينازعُ ما يبينُ من السّقام

كأن الحوتَ- حين بدا- غريقٌ ... بآذيٍّ من الأمواجِ طَام

20 كأن كواكبَ الجَوزاء فيها ... وشاحٌ فصلوه شذور شام [60/أ]

كأن النّجم عِقدٌ صارَ نثراً ... فألف كي يعادَ إلى نظام

كأنّ الصّبح حين أظل مَلكٌ ... أشارَ إلى عَدوٍ بالحسام

كأن مواكبَ الظّلماء سِرب ... من الغِربانِ ينفرُ من حِمام

كأن ذرورَ قِرن الشّمس حُسنا ... وإشراقاً مُحيّا ابن الإمام

25 أخو الهِمم العليّة والخِلال السـ ... ـسنية والسّجياتِ السّوامي(1)

قديرٌ همهُ صَون المعاني ... وبذلُ النّفس في القُحم العظام

كريمُ الخِيم مَعسول السجايا ... وريُّ الزّندِ ماضي الاعتزام

كِلا يوميه في جودٍ وباسٍ ... حميدُ السعي مرضيُّ المقام

يجود بماله جُودَ الكرام ... ويمنعُ عِرضَه منعَ اللئام

30 يرى حفظَ الذّمام عليه حقاً ... وتضييعَ الذّمام من الحَرام [60/ب]

ومن تكن الوزارة فيه ضَلّت ... هَداهُ سَبيلها أهدى إمام

رآه المُستعين لها فَوافى ... به منها على أعلى السّنام

وملّكه أزمتَها وألقى ... إليه بالمقاودِ والخِطام

حوى قصبَ العُلا كسباً وارثاً ... عن آباءٍ جَحاجِحةٍ كرامِ

35 غدَوا قطبَ الرّياسة منذ كانوا ... وفرسانَ المنابرِ والكَلام

أباحوا من حِمى الأعداء قِدماً ... حَريماً كان ممتنعَ المَرام

---

(1) أخوا بإثبات الألف، وهو خطأ. الأصل: السوام بحذف الياء.

وحلّوا من ذُرى سِطة المعَالي ... سماءَ الفَخر من أبناء سام[1]

ونالوا بالصّفائح والعَوالي ... مَساميَ لا يُدانيها مُسامي

وهم رَفعوا بما وَضَعوا الأعادي ... بناءَ قواعدِ المَلكِ الجُذام

40 إذا مولودهم وافَى رِضاعاً ... سما للمجدِ من قَبل الفِطام [61/أ]

تساوَى الشّيب والشبان فيهم ... عُلاً والكهلُ منهم بالغلام

مآثرُ لا نَقيصة تزدريها ... ولا يغدو بها حالُ التمام

تقاصرت المساعي عن مداها ... وطالت عن ملاءمة اللئام

فنافسَ في هواها كلُّ نفسٍ ... وهام بهن كلّ فتى همام

45 وكم لك من يدٍ بيضاءَ فينا ... بها طوّقتنا طوقَ الحَمام

أفضتَ على الجميعِ بها سماءً ... فأضحوا رقّ أنعمك العِظام

حميت حِمى الجزيرةِ إذ أُبيحت ... قواعدها وقلّ بها المحامي

وحُطْتَ ذِمارها لما تداعى ... بناءُ الدّين فيها بانهدام

وخُضتَ لنصرِ دينِ اللهِ فيها ... بحاراً مَوجها طامي الجِمام

50 نُقاسي ساعةً فيها كيومٍ ... ومن طول السُّرى شهراً كعام[2]

---

(1) [السطة: الوسط]، الأصل: أسماء سامٍ وهو تحريف ما أثبتناه.

(2) بهذا البيت الخمسين من القصيدة، ينتهى ديوان الجزار السرقسطي مبتوراً مع نهاية الورقة (61/أ) وتبدأ الورقة (61/ب) بأبيات من منظومة فقهية مجهولة المؤلف.

المستدرك

على ديوان الجزار





قافية الباء

[1]

وقال الجزار[1]:

(من الكامل)

1	أشقى لجدّك أن تكون أديباً[2]	أو أن يرى فيك الورى تهذيبا
	فإن استقمتَ فإن دهرَك كلّه[3]	عوجٌ وإن أخطأتَ كنتَ مصيبا
3	كالفصّ ليس يبينُ معنى نقشه[4]	حتى يكون بناؤه مقلوبا

[2][5]

ورفع بعض المستمنحين رقعة رديئة الخط واللفظ للوزير أبي عبد الله بن زرارة[6] بسرقسطة فوقّع على ظهرها:

(من الخفيف)

1	إنّ من يقصدُ الملوك ليُعطى	بمداد مسطرٍ في كتابِ
	دون نظمٍ ولا براعةِ لفظٍ	رائعٌ حسنُه ذوي الألباب
3	لحقيقٌ بالمنعِ في كلّ وُجه	وجديرٌ بالطّرد في كلّ باب

---

(1) جاءت الأبيات في الذخيرة 4/ 2/ 531، وشرح الشريشي لمقامات الحريري 5/ 127، منسوبة إلى أبي عبد الله بن قاضي ميلة، وفي الذخيرة 1/ 1/ 448، وديوان ابن رشيق القيرواني 37، والغيث المسجد 2/ 129 الغرر 99 منسوبة إلى ابن رشيق القيراوني، وهي في روحها وأسلوبها قريبة من أن تكون للجزار، على أن الوهم محتمل لصفوان في نسبة الأبيات إلى الجزار، لأنه ألف كتابه معولاً على الذاكرة دون الرجوع إلى المصادر.

(2) الشريشي والغرر: "أسعد بجدك لا تكون أديباً".

(3) الذخيرة بروايتين: "ما دمت مستوياً فدهرك كله".

(4) الذخيرة والشريشي: "كالنقش ليس يصح معنى ختمه".

(5) الذخيرة 3/ 2/ 908 "1 ـ 3".

(6) ترجم له ابن سعيد في المغرب 2/ 443، وذكر أنه من رؤساء سرقسطة وممن ساد بصحبه الملوك مع البيت القديم.

قافية الراء

[3][1]

(من الطويل)

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطي:

1 ثناءُ الفَتى يبقى ويَفنى ثراؤُه ... فلا تكتسبْ بالمالِ شيئاً سوى الذكر

2 فقد أبلتِ الأيام كعباً[2] وحاتماً ... وذكرهما غضٌ جديد إلى الحشر

[4][3]

كان والده تقبل أرضاً للإحباس فضاع[4]، واجتمع عليه خراج الأرض، فكتب إلى العامل في ذلك:

(من الخفيف)

1 يا أبا جعفرٍ لعاً من عِثار ... وغياثاً فما يُقرُّ قراري

سيدي اسمع لعبدكَ القنَّ [يحيى] ... خَبَراً مُضحكاً من الأخبار

كان لي والدٌ وكان لعَمري ... في بني العَصر بالفِلاحة دَاري

ناقصَ الرأي تاجرَ البرّ والبحـ ... ـر وناهيكَ فارسٌ في التِجار

5 مثل ما سمي اللّديغ سليماً ... وأنا بعده على ذاك جَار

وكذا يَسلك النّجيب ويقفو ... نهجَ آبائه على آثار

لو وَردتُ البحار أطلب ماءً ... جفَّ قبل الورودِ ماءُ البحار

---

(1) نفح الطيب 3/ 464.

(2) هو كعب بن مامة، جاهلي يضرب به المثل في الجود، الأعلام 5/ 229.

(3) الذخيرة 3/ 2/ 907 ـ 15؛ المغرب 2/ 445، 7، 10.

(4) لعل المقصود بالضياع، ضياع الأرض أي عدم استثمارها.

أو لمستُ العودَ النّضير بكفي	لذوَي بعد نضرةٍ واخضرار
أو رمى بأسي النجومَ الدراري	لانزوى ضوؤها عن الإبصار
10 ولو انّي بعثتُ القناديل يوماً	أدغمَ اللّيل في ضياء النّهار[1]

ومنها في كراء الأرض المذكورة:

إكتراها ولم يكنْ مستخيراً	وقتَ شؤمٍ بطالعِ الإدبار
جَدبةٌ بعضها من الشّؤم أضحى	في علوٍ وبعضُها في الحدار
لم يزلْ زارعاً بها حِمل بغلٍ	رافعاً منه نصفَ حمل حمار
ساءني ما أصبت فيها ولكن	سرّني منه خيبةُ العِشار
15 ما أبالي وقد غدا ليَ ركناً	صاحبُ الشرطة الكريم النّجار

قافية العين

[5][2]

وله:	(من الكامل)

1- إياكَ من زللِ اللّسان فإنما	عقلُ الفتى[3] في لفظه المسموع
2- والمرءُ يختبرُ الاناء بنقره	ليرى الصّحيح به من المصدوع[4]

(1) المغرب: في بياض النهار.
(2) زاد المسافر: 140 أ ـ 2، لمح السحر (مخطوط) 23/ ب أ ـ 2، نفح الطيب 3/ 598، 4/ 63 أ ـ 2، وجاء في الموضع الثاني منسوباً إلى أبي الحسن علي بن الجعد القرموني (ترجمته في المغرب 1/ 300).
(3) النفح: فإنه قدر الفتى.
(4) النفح: فالمرء.

[6][1]

وأنشد ابن بسام من أبيات خاطب بها صاحب الأحكام بسرقسطة:

(من الطويل)

1 خَليلـي مـا أولى المكـاوى وبأسـها ... بـيافوخ مـن يبـتاع داراً مُطـيله

وصَـبحني خَـصمٌ ألـدُّ وإنـني ... وحقـك في أمـر الخـصام لـذو بلـه

أقـلّ بُنـياتِ الخُـصوم تهدّنـي ... وإن عـنّ نظم الشعر طبّقت مفصله

ومالـي مـن شَـيء أدافِعـه بـه ... سـوى عُـسرةٍ بكـل حالـي مـوكّله

5 ولـي مَقعـدٌ خمسون يَوماً مضتْ بها ... حَـوته يـدي في قَابـضاتٍ مُـسهّله

فكنْ باسطَ الشّورى بفَضلك قاضياً ... علـيّ ولـي إن القَـضاء لمعَدَلـه

ولم ألتـزمْ مَجهـول وقـتٍ لـوزنه ... وحـسبُك ذا رسمي بخطّ ابن حنظله

[7][2]

وكـان مولعاً بالتجنيس فوقف على حانوته بعض الطلبة، وهو يبيع لحم ضائنة فقال له:

(من المنسرح)

لحمُ إناث الأكباش[3] مهزول

فقال الجزار:

يقول للمشترين: مَهْ زولوا

وفي بدائع الصنائع، ونفح الطيّب، أن ابن عمّار دخل سرقسطة فبلّغه خبر يحيى القـصاب السرقـسطي فمـر علـيه، ولحـم خرفانه بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم وقال:

---

(1) الذخيرة 3/ 2/ 906 ـ 7.

(2) زاد المسافر 140، بدائع البدائه 70، نفح الطيب 3/ 404، 3/ 609.

(3) النفح: الكباش.

لحم سباطِ الخرفان مهزول

فقال: يقول، للمفلسين[1]: مه زولوا

قافية الميم

[8][2]

أنشدت له[3]: (من الوافر)

1 وبدرٍ لاح من تحت السّلاهم[4] محاسنه تقول لمن سلا: هم

لئن خشنتْ ملابسه عليه فإن الورد شوكي الكمائم

3 وإن القارَ تُلبسه الحُميا[5] وإن المِسك يجلبُ في اللّطائم

[9][6]

ورفعت طائفة من الرعية على خازن المتنانية إلى المستعين بالله بن هود فوقع لهم[7]: (من السريع)

1 نسبتمُ الظّلم لعمّالكم[8] ونمتمْ عن قُبحِ أعمالكم

(1) النفح: "يا مشترين".

(2) زاد المسافر 141 "1"، رايات المبرزين "1 ـ 3"، تاج العروس (مادة سلهم): "1".

(3) في زاد المسافر: أنه كان مع أحد إخوانه جالساً فعن لهم شادن متنكر اللبسة فقال صاحبه: وبدر لاح من تحت السلاهم. فقال هو: محاسنه تقول لمن سلا: هم.

(4) السلاهم: جمع "سلهام" بالكسر، عامي مبتذل، وهو نوع من اللباس يستعمله الأندلسيون، كالبرنس. وسلاهم الثانية مؤلفة من فعلي "سلا" مضارعه يسلو و"هم" فعل أمر: مضارعه يهيم.

(5) الحميا: الخمرة يشير إلى دنانها المقيرة، واللطائم جمع لطيمة وهي وعاء المسك.

(6) الذخيرة 3/ 2/ 909 "1، 3"، زاد المسافر 141 "1 ـ 3" قال: وتشكى بعض الناس بالعمال فوقع على كتاب شكواهم.

(7) ميم الجمع والهاء الضمير لا يأتيان روياً، إلا إذا التزم حرف قبلها كما فعل الشاعر فالتزم اللام.

(8) الزاد: "نسبتم الجور" و"عن سوء".

لا تُنسبوا الجَور إليهم فما … عُمالكم إلا كأعمالكم

3 تالله لو حَكمتُمُ ساعة[1] … ما خطرَ العَدل على بالكم

قافية النون

[10][2]

ومما ينسب إليه: (من مجزوء الخفيف)

1- رُب ظَبيٍ لقيتُه … يتَمي للهوازِنة

2- قلت: ما أثقل الهوى … قال: ما للهوى زِنه

قافية الهاء

[11][3]

وله أبيات استهدى فيها مشروباً: (من الخفيف)

1 هاتها كوثريةً، عسجدية[4] … بنتَ كرمٍ رحيقةً عِطريه

كلّما شفّها النّحول تقوّت … فاعجبوا من ضعيفةٍ وقويّه

رُب خمارةٍ سَريت إليها … والدّجى في ثيابه الزّنجيه

وجيوشِ الصّبا تحثّ ركابي … وشياطينه تجدّد نِيّه

5 تمسح النوم عن جفون أماقٍ … ببنانٍ مخضّبٍ فِضيه[5]

---

(1) الزاد: لو ملكتم.

(2) زاد المسافر 141 ـ 1 ـ 2.

(3) الذخيرة 3/ 2/ 907 ـ 908 ـ 1 ـ 14، نفح الطيب 4/ 159 ـ 1 ـ 3.

(4) النفح: عسجدية كوثرية.

(5) مخضب: ملون، بلون فضي.

قلت: هاتي التي بها يُستمال الـ ... شادن الصّعبُ والنّفوس الأبيه

فأتتني بها تلألأ نوراً ... في كؤوسٍ كأنها عَدَنيه

كم عَقارٍ بذلتُه بعُقار ... وثيابٍ صبغتُها خَمريه

10 ودِنانٍ ثنانيَ السّكر عنها ... مترعَ البطن قارعَ السَّبنيه[1]

ومنها:

هاك رَوضاً من التأدب غَضاً ... بفصول غريبة معنويه

من شَكورٍ أهدى إليك ثناءً ... حين لم يستطعْ سواه هديه

فتقارضْ عليه ماءً بماءٍ ... لا تقلْ غدوةً ولا في العشيه

14 إن خيرَ البُيوع ما كان نقداً ... ليسَ ما كانَ آجلاً بنسيّه

[12][2]

وأنشدت ليحيى السرقسطي المعروف بالجزار في رجل ساوم طبيباً:

(من المتقارب)

1- عجبت لذي سقمٍ معضل ... يسوم الطبيب ويُكدي عليه[3]

2- يضنِ عليه بدينارهِ ... ويجعلُ مهجته في يديه

---

(1) السبنية، الثياب والأزر السود للنساء منسوبة إلى سبن، قرية في بغداد.

(2) الذخيرة 3/ 2/ 905، التكملة 2/ 493.

(3) رواية البيت في التكملة:

عجبت لذي وجع مؤلم ... يسوء الطبيب وينكد عليه



الموشحات

[1]

ويـــحَ المـــستهامْ   صـــار الجـــسمُ فـــيا
بأيـــدي الـــسُّقام

(1)

لم يُـــبقِ الهـــوى
مـــن جـــسمي ســـوى
هـــباءً هـــــوى   فاعذِر الشجّيا
بطـــيفِ المـــنامْ
وخـــل المـــلام

(2)

وهـــمْ بافتـــضاحْ
في الغـــيدِ المِـــلاحْ
وقـــمْ لاصـــطباحْ   ثم اشربْ هَنيا
بكـــأسِ المـــدامْ
واســـقِ الـــنّدامْ

---

[1] جيش التوشيح 147، ديوان الموشحات الأندلسية 1/ 74، وقد وصف الموشح على أنه [مخمس: مشطر الدور، مزدوج القفل، أعرج، ساذج، من الرجز أو المقتضب].

(3)

بـــــنفسِ الـــــتي
قلـــــبي حلّـــتِ
فمِـــــن خلّـــــتي ما لاحَ الثّريا
لا أســـلُو الغَـــرام
وغنّـــى الحَمـــام

(4)

فـــــتاةٌ كَعـــــاب
نعـــيمُ الـــشبابْ
علــــيها مُـــذاب لها المسك رَيا
كـــروضِ الغمـــام
والـــدُّرّ ابتـــسامْ

(5)

فكـــيفَ الـــسّبيل
أن يُـــشفى الغَلـــيل
إن ظلّـــت تقـــولْ
ممّـــا شُـــو الغُـــلام لا بُد كلٌ دِيا
حـــلال وحـــرامْ

* * * *

[2]

الـوَجد وَجدي ففيمَ العَذل   يـــــا مَــــــذِلُ

(1)

قلبِي الجَريحُ ودَمعي الجاري
فَلِــم تلــومُ بــلا إقــصارِ
مـن لـيس في اللُّوم بالمختار   يشتعل
فــؤاده باهــوى مــشتغل

(2)

مَـن لـي بأزْهَرَ مثلِ البدرِ
منعَّم الرِّدْفِ طاوِي الخصْرِ
مُغْرى بطول الجفا والهَجْرِ   والأجَلُ
وِصــاله وجَفــاهُ الأمــلُ

(3)

وَجْــهٌ كــأنّ سَــناهُ الــبدر
ثغْــرٌ كــأنّ جَــناهُ الخمــرُ
تحمــيهِ مــن مُقْلتَيه السُّمرُ   والأسَل
ففــي كِلا الحالَتيْن العَسَلُ

[2] جيش التوشيح 148، ديوان الموشحات الأندلسية 1/ 77 وهو: [مربع، مشطر، مذيل القفل ساذج، من البسيط].

(4)

وَجْـــدي بهجْـــرانه نـــامِ
دمْعـــي بـــه مُـــستَهل هـــامِ
قلـــبي بـــسيفِ الجفـــون دامِ	ما الحيلُ
مالـــي بحَمْـــلِ الـــتجنيِّ قِبلُ

(5)

يـــا تارِكي في الهوى مملوكاً
كم تُستطيلُ وكم اشْدوكا
غِـــناء غَـــيْداءَ هامـــتْ فيكا	أكان حلُ
أمـــي تـــنال اسمـــر خـــلُ

****

[3]

بنَفـــسني رشـــأ اهْـــيَفْ	وَسْنانٌ غَـــريرْ
غـــزالٌ مـــن الإنـــسِ
مَحاســـــنهُ انْـــــسي
نفـــيس سَـــبَى نفْـــسِي
إذا الـــتاحَ لِلـــشمس	له والبُدورْ
فـــشمسُ الضحى تُكْسَفُ

[3] الجيش 149، ديوان الموشحات 1/ 79، وهو:
[مخمس، مشطر الدور، مزدوج القفل ساذج، من الطويل].

(2)

أطعــتُ الهــوى إذْ لَــجْ
بِــذي مَبْــسِمٍ أفْلَــجْ
بــه المســك قــد أرّجْ
فهــل رِيقُــه يُمــزَجْ   وريّا العبيرْ
بِنَــشْرِ شــذا القَــرْقفْ

(3)

سَــلِ الوامِــق المُدْنَــفْ
هَــوى الــشادنِ الأوْطَــفْ
بِمَلِــكْ الــوَرى يوسُــفْ
بِملــكٍ جــلّ أنْ يُوصَــفْ   له أو نظير
فهــل مُــشْبهٍ يُعــرفْ

(4)

صــغيرٌ لــدى الــسِّنّْ
كــبيرٌ لــدى المــنّْ
فكفــاه مِــن مُــزْنِ
ومَــرآه مِــن حُــسْنِ   طِباعاً وخيرْ
فقُــلْ فــيه مــا أشْــرَفْ

(5)

ولمّــا اعتلــى سَــمْكا
والبَــــسَه المُلكـــا
إذ لم يَــــزل مَلْكـــا
شــدا مَــن غــدا مِلكــا   فنعْمَ الأميرْ
قُومــوا بايعــوا يوســفْ

****

[4]

عــنِ التأنــيبِ   وَيْـــكَ عَـــرِّجِ
مــا نُهى الناهِــي   لــي بِمُـــزْعِجِ

(1)

أنــا عــن حــبي   لـيس لـي انتقالْ
أرضَــى في الحُــبّ   أنْ أرى خـــيال
كئــيبَ القلــبِ   أرْتجـــي مَـــنالْ
وللكئـــــيب   حــينَ يَرتجــى
بــابُ الإكــراهِ   غـــيرُ مُـــرْتَجِ

(2)

غــزالٌ ســاحرْ   يَفْــتنُ البَــشرْ
ذو حُــسْنٍ باهــرْ   قــيَّد البـــصرْ
أوقَعْــتُ الناظــرْ   مـــنه إذ نَظَــرْ

---

[4] الجيش 150، ديوان الموشحات 1/ 81، وهي: [مخمس، مشطر مجرد مرصع، من بحر المشتبه].

على ترغيبِ　　　لم يُبهرَجِ
من خَدٍ زاهِ　　　بالتضرُّجِ

(3)

عاطر بوجد　　　حامداً هواه
ثنائي أحمدْ　　　ريحُه شذاهْ
وخيلانُ النَّدْ　　　هُنَّ مِن حُلاهْ
فأيُّ طِيب　　　متأرّجِ
يُغنِي اللاّهِي　　　عن بنفْسَجِ

(4)

أراحَ الأنسا　　　إذ تمَنّعا
تيّاهُ ألسَى　　　الصبر مُولَعا
فنادى النَّفْسا　　　والحَشا مَعا
يا نفْس ذُوبي　　　يا حَشا ابْهجِي
على تيّاهِ　　　عَذّبَ الشَّجِي

(5)

قَلْبِي مِن جسمهْ　　　رَهْنُ راحتيهْ
لكِن مِن ظُلمهْ　　　اشتكي إليه
وأدعو باسمهْ　　　مُقْسِماً عليهْ
أحمدْ محبوبي　　　بالنَّبي يتجى
جِنى بالله　　　جِي حبيبي جي

****

[3]

سَهْمُ الفُتور من الأجفانِ رمى فاقْصَدْ
أنا القاتلُ به والعانِي أنا المُسهَّدْ

(1)

أصاب سهمُ فتورِ الطَّرْفِ
قلبي على أنه ذو ضَعْفِ
مِن شادنٍ ذي جفون وُطْفِ
جَنَى على غيرِ عَمْدٍ حتفي
أنا أبرّئُ ذاك الجانِي مما تعمَّدْ
وإنْ تيقَّنتُ أنيّ فإن اذرجِتُ ملْحَدْ

(2)

اصبحتُ بالرشإِ المَخزومِي
والِفهِ المُزدَرِي بالريِّم
حَيرانَ بين حشا مكلوم
ومدمَعٍ سائلٍ مَسجومِ فالدمع أزيد
فإنْ أقُلْ أنا في طُوفانِ فالوجدُ أوقَدْ
وإنْ أقُل أنا في بُركانِ

[3] جيش التوشيح 151، وديوان الموشحات 1/ 84 وهو:
[مسدس، مشطر، مذيل القفل ساذج من البسيط].

(3)

ظَبيانِ ما فيهما من شَينِ
هُما جميعاً بروضِ الحسنِ
ففيَم يَسرَحُ منه جَفْني
في الوردِ يَعبَقُ أم في الغصنِ
فقَدُّ ذا غُصُنٌ من بانِ لَدنٌ تأوذْ
وخدُّ ذا الوردُ في السُّوسانِ وقد تُنَضَّدْ

(4)

مُصبَّغ الوجنَتين حمْر
كفضّةٍ سال فيها تبرُ
وذاك بعضُ حُلا الثغرُ
والشاربُ الرّيقُ المُخضَرُّ أم من زَبَرْجدْ
فهل تُجَسّد من رَيْحانِ لمّا تَجَسَّدْ
علی فَمِ الدُّرِّ والمَرْجانِ

(5)

سُبحان مُبْدِيهما للحَدَقِ
من حُمْرةٍ في بياضٍ يقَقِ
متوَّجينْ بتاجِ الغَسقِ
في اللمَّتَيْن وتاجِ الشّفقِ فيها من النَّدْ
فهلْ جرى ذائبُ العِقْيانِ منها تولّدْ
حتى اغتدتْ نُقَطُ خيلانِ

(6)

أحْسِنْ بأغْيدَ يَهوى أغْيَدْ
سِيّانِ في القَدّ أو قُلْ في الخَدْ
ومَن كعَمْرو ومن كأحمدْ
لِذاك أنْشَد مَن قد أنْشَدْ عشقاً تأكّدْ
ياوَىْ مليحٌ ونعشقْ ثاني بل يتجدّدْ
لا يستحيلُ مَدى الأزمانِ

[6]

جادَ بالمُنَى طيفُها الطارقْ
وأتى على موعدٍ صادقْ وما جَنَّبْ

(1)

مرحباً وإنْ زادني وَجْداً
بخيالِ مَن كَرمتْ عَهْداً
بَعثْته يستوجِبُ الوُدّا
سافِراً عن المَنطِقِ الرائقْ سَنا الكوكبْ
فجَلا مِن الدُّجَى الغاسِقْ

(2)

أيُّها الرّشا الأحْورُ الألْمَى
هَبْكَ أنّ لحظي قد أدْمَى

---

[6] جيش التوشيح 152، ديوان الموشحات 1/ 88، وهو:
[مخمس، مشطر، مذيل القفل، أعرج، ساذج، من المقتضب].

صـفحةً جـلا نُـورُها الظُّلْمـا
لِـمْ صفْحتَ عَن لحْظِيَ الرامقْ   وما أذنبْ
وانـتقمْتَ مـن قلـبيَ الخافِـقْ

(3)

حـبّذا المُـدامُ مِـن مَـسْلَى
فاغتـنِمْ بها عيشَك الأحْلى
في وِدادِ سـيدِنا الأعلـى
مَلِـكٌ بـشأو العُـلا سـابِقْ   ولا يَقْربْ
لا يُـرَى سـواهُ بهـا لاحِـقْ

(4)

لِجلالِـه ينتهـي الفخـرُ
وبفـضلهِ يَـشْهدُ الدهـرُ
بـارِعٌ لـه الـشِّيمُ الغـرُ
بـصفاتِ تلـك الخلائِـقْ   إذ تُكْتبْ
تزدَهِـي بهـنّ المَهـارِقْ

(5)

يـا أبـا سـعيدٍ جَـرى السعدُ
بعُـلاك واستبـشَرَ المجـدُ
وَلـرُبَّ غانـيةٍ تـشدو
خُذْ حديثي عن طَيفْي الناطقْ   وليس يكذبْ
هـو يقول لك الفؤاد عاشِقْ

[7]

(1)

أمـا والهَـوى إنـني مُدْنَـفْ
بِحُـبِّ رشـاً قلّمـا يُنْـصِفُ
أطاوِعُـه وهـو لـي مُخلِـفُ
فعَمـا قلـيلٍ بـه أتْلَـف
وواعدني السُّقْم حتى انتهكْ
فـؤادي فـيا وَيحتا قـد هلكْ

(2)

غـزالٌ لـه مُقْلـةٌ سـاحرهْ
وانجُمُـه انجـمٌ زاهـرهْ
ولِمّـته لِمـةٌ عاطـرهْ
وكـلُّ العـيونِ لـه ناظـرهْ
وجـسمٌ أذاهُ لِـباسُ الفَـنَكْ
كمِـثلِ اللُّجينِ إذا ما انسَبكْ

(3)

هـو الـشمسُ لكـنه أجمـلُ
هـو الـبدرُ لكـنه أكمـلُ

---

[7] جيش التوشيح 153، ديوان الموشحات 1/ 91، وهو:
[مسدس، مشطر، مجرد، ساذج، من المتقارب]

هــو الــصبحُ لكــنه أفــضلُ
فليس على الأرضِ من يَعْدلُ
هـلالٌ بدا من كُمون الفَلَكْ
يَـصيدُ القلـوبَ بغـيرِ شَـركْ

(4)

تحيّــر في نُــوره كــلُّ نُــورْ
وذلــتْ لـه نيِّـراتُ الـبُدورْ
وحـنّتْ لحسنِ سَناه الخُدورْ
ففـيه الأسـى وفـيه السرورْ
فكــم فَتْكةٍ في الهى قد فَتَكْ

(5)

ألـيس مـن الظُّلـم أنْ يُـبْعدَا
كئـيبٌ من الشوق قد أجْهدا
تعــبّده الحــسنُ فاســتُعبدا
وكلّفــه الــشوقُ أنْ يُنْــشدا
مَلكْت فكنْ خيرَ من قد ملكْ
يـا مَـولى الملاحِ يا عبد الملكْ

[8]

مُقْلتَـــــي	هـــلِ الـــشُّئونُ	نــار الوجـيب
تُـــــشْعِلُ	أم مـــــن أوارِي	يُزْجى سَكِيبْ

---

[8] جيش التوشيح 154، ديوان الموشحات 1/ 91، وهو:
[مخمس، مشطر، مجرد، مرصع، من المتئد].

(1)

عاذِلـي　　كم ذا تُلومُ　　بادي الضَّنى
قاتِلـي　　فيه أهيمُ　　وإنْ أنـى
ليس لِي　　ممَّا أرومُ　　إلّا العَنا
أيّ شيءْ　　مثلي يكونُ　　غير وَجيبْ
ينـزلُ　　وما شعارِي　　الّا شُحوبْ

(2)

بي رَشا　　مالِي سِواهُ　　ما أعطرا
والحَشا　　أخفَى هواهُ　　فأظهَرا
إن فَشَا　　فكم طواهُ　　أن يُنْشَرا
أيْ طَيْ　　ولا مُعينْ　　إلاّ غُروبْ
تُهمِلُ　　ولا انتصارِي　　سِوى نَحيبْ

(3)

والمَنى　　طب العريكِ　　أن يستنالْ
...نـا　　.. .كِ　　.. .لْ
...نـا　　.. .كِ　　.. .لْ
ما عَلَيْ　　هذِى الشجونْ　　يا مُستنيبْ
تعقلُ　　عقلَ الشّعارِ　　على الضَّريبْ

(4)

مُشتهى　　عَيني تُمُرُّ　　مِن الرُّبض
عَلّها　　يوماً تُقَرُّ　　أو تغتمِضْ

هَـبْ لهـا حيـناً تُـسرُّ أولا فغــــضْ
يـا رُشَـىْ تلك الجفونْ بِـذِي القلـوبْ
تُفْعــــلُ فِعْـلُ الشِفْارِ لَدَى الـحروبْ

(5)

بـئس مـا رام الـــرقيبُ ومـــا سَــعَى
كُلمَـــــا يَـبْدو الحبيبُ بــــدا مَعـــا
طالمـــــا أشـدو أجيبُ مــَن ودّعـــا
كـــضَمَىْ فلـيول الـين إذلْ أمـــــيبْ
كـــرْذِلُ ذميت بطاري شُــو الــرقِيبْ

[9]

في جَـــرِّ أذيـــالِ مختـــالِ عَلِمـتُ من يَرمِي بسَهْم

(1)

لِلــــه مُمْـــــتَنَ لَوْحَـــيّا
يَـشقَى بـه الغـصنُ ويَغيَـى يُفَـضُ باللـثمِ عــن خَـتم
بـوجهه الحـسنُ مـا أحْـيا
ثغـــــرٌ كَجِــــرْيالِ زُلالِ

(2)

ألـذُّ مــا عـندي غرامِــي الا بقاجسبِي بالسُقْمِ

---

[9] جيش التوشيح 155، ديوان الموشحات 1/ 97، وهو:
[مربع، مشطر الدور، مزدوج القفل، مرصع، من البسيط].

رغِبْتُ في مُهدِي سَلامي
وكان من وَعْدِي سَقامِي
فقُلْ لعُذّالي حاشالي

(3)

جوانحُ الهائمْ تُفْديكا
فيا أبا القاسمْ تَكْفيكا
قد جُلّى الخاتمْ عن فِيكا يُعْزَى إلى حُكْمِي بالوَهمِ
ضَيعتُ آمالِي فيما لِي

(4)

أوَحشْتَ آماقِي من قربكْ
فإنّ أشفاقِي من قلبكْ
حكّمتُ أشواقي في حُبّكْ وتدّعِي ظُلْمِي في الحكمِ
ضَمّنْتُ أوْجالي بإجمالِ

(5)

أما على شُكرْ مَن مَنّا
إذْ مال بالسُكْرِ وعَنّا
وجاد بالشّعْر وغَنّى فقال في فمي يا عمّى
قُبَيلَه في الخالِ يا خالي

خَدتْ ذوارفُ دمعي خدِّي فالعـــــيْنُ تُــــسهرْ
وفي الجـوانحِ نـارُ الـوَجدِ ظلّــــتْ تُـــسعَّرْ

(1)

يـا مـن يَبـيتُ خِلـيُّ القَلْـبِ
اكفُـفْ فبـى من ذواتِ القُلْبِ
هَـــيْفاءُ ســلبتْني لُبِّـــى
وَقطَّعــتْ مُهْجــتِي بالعَــتْبِ ظُلما وتنْفرْ
أهـوَى الوصالَ وتهوى صَدِّى فكيف أصْبرْ
منِّـــي وتُخلفُــنِي في الــوَعْدِ

(2)

كـم لـيلةٍ بِـت من بلواء
أهِيمُ تحت دُجَى الظَّلْماءِ
مُــراقباً النَّجْــمَ الجــوْزاءِ
يَـدِى علـى كـبدٍ حَـرّاءِ لولا تُحدِّرْ
ولم أكُــنْ لِجَـوايَ مُـبْدِ إذا تُنثِّرْ
لـي أدمـعٌ مِـثْلُ العِقْـدِ

[10] جيش التوشيح 157، ديوان الموشحات 1/ 100، وهو:
[مسدس، مشطر، مذيل القفل، ساذج، من البسيط].

(3)

يمَـنْ حَـباكِ بلـينِ العِطْـفِ
مُنَـى علـى دَنِـفٍ بالقَطْـفِ
كانـــت منيَّـــتهُ بالطَّـــرْفِ
مـا ضرَّ لو نال حُلْوَ الرَّشْفِ — للحظ خِنْجَرْ
كما شاءَ يرْوى ودون الوِرْدِ — واللثْمُ جَمْرُ
حتـى استباحَ رِيـاضَ الخدِّ

(4)

بـــاللهِ يـــا مُنْـــيةَ العُـــشّاقِ
وطلْعـةَ الـبدرِ في الإشـراقِ
جُـودِي علي دائم الأشواقِ
برشـفِ ذاك اللمّى الدّرياقِ — من ثغر جَوهرْ
ريـــقٌ يُبَـــردُ نـــارَ الـــوَقْدِ — مازَجهُ سُكّرْ
الخمـرُ فـيها وَعـرف الـندِّ

(5)

وظَبْـــيةٍ مـــن ظِـــباء الإنـــسِ
حديـــثُها جالـــبٌ للأنـــسِ
أعـارت الحسنَ ضوءُ الشمسِ
تدعــو صــبياً لهــا أن يمــسي — ذا اليومَ تُفْطرْ
أمــا تجــى يــا صَــبيُّ عِــندي — ولا تُقصّرْ
نُوفِيك جَمالي ونُهدِيك نَهدِي

انتهى ديوان الجزار السرقسطي بحمد الله وتوفيقه مشتملاً على مستدرك بأشعاره التي لم ترد في الديوان وموشحاته، وكان الفراغ منه في مدينة الموصل بالعراق في غرة شهر رجب الأصم سنة 1405هـ الموافق للثاني والعشرين من آذار- مارس 1985م، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهارس



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

فهرس الأمثال والحكم

فهرس الأشعار مرتباً على حروف الهجاء(*)

ت	المطلع	القافية	نوعها	الأبيات	البحر	رقمها	الصفحة
			الهمزة				
1ـ	قالوا	أغباء	ر	2	ب	5	82
2ـ	فلما	واغضاء	ر	5	و/م	10	84
3ـ	اليوم	بهاء	ر	61	ك	1	66
4ـ	برح	رياء	ر	97	ك	34	109
5ـ	ليت	الحياء	ر	22	خ/م	32	106
			الباء				
6ـ	أشقى	تهذيبا	ر	3	ك	1	141
7ـ	تعيب	عابه	ر	71	و	36	118
8ـ	ألم يأن	كئيب	ر	36	ط	35	115
9ـ	وكم ليلة	رضاب	ر	17	ط	40	123
10ـ	تريك	التجارب	ك	89	ط	2	70
11ـ	لا تطلبن	مقلوب	ر	2	ب	4	81
12ـ	عوائد	اللبيب	ر	8	و	39	123
13ـ	ودارس	مأرب	ك	3	ط	7	82
14ـ	أنا السابق	مذهب	ك	2	ط	28	95

(*) الرموز المستخدمة:

(1) يشير الشرطة (-) التي توضع فوق الرقم إلى أن القصيدة في المستدرك على الديوان.

(2) اعتمدنا المختصرات في الإشارة إلى بحور القصائد على النحو الآتي:

الطويل ط، مديد م، بسيط ي، وافر و، كامل ك الرجز ز، هزج هـ رمل ر، سريع س، منسرح ح، خفيف خ، مضارع ع، مقتضب ض، مجتث ث، متقارب ق، متدارك د. وحرف (م) المردف بالبحر يشير إلى أن البحر مجزوء.

(3) أنواع القافية على النحو الآتي:

المتواتر ر، المتدارك ك، المتراكب ب .

ت	المطلع	القافية	نوعها	الأبيات	البحر	رقمها	الصفحة
15ـ	أنا من	كتاب	ر	3	خ	(2)	141
التاء							
16ـ	وإن العدو	ذاتها	ك	2	ق	8	83
17-	وحيلت	سوءاتها	ك	4	ق	31	106
الحاء							
18ـ	أروم	الجموح	ر	15	و	45	129
الخاء							
19ـ	فمنهم	الطباخ	ر	8	ز	15	88
الدال							
20ـ	أعلي	والمجدا	ك	3	ك	11	85
21ـ	فقالوا	ونشهد	ك	4	ط	27	94
22ـ	فإن قليلاً	وجدي	ر	5	ط	13	86
الراء							
23ـ	إذا ما	الأشر	ك	3	ط	9	83
24ـ	يا مفيتا	إعصاراً	ك	10	ب	44	128
25ـ	وإنما	فراراً	ر	5	ب	25	20
26ـ	وكم للناس	وعبره	ر	3	و	26	93
27ـ	وسواء	ويسرى	ر	3	ر/ م	17	89
28ـ	إذا ما	ونسورها	ك	5	ط	23	91
29ـ	ثناء الفتى	الذكر	ر	2	ط	(3)	142
30ـ	المرء	حذار	ر	35	ك	50	132
31-	يا أبا	قراري	ر	15	خ	(4)	142
الزاي							
32ـ	أبا الفضل	الحفز	ر	4	ط	37	121

ت	المطلع	القافية	نوعها	الأبيات	البحر	رقمها	الصفحة
33ـ	وإني لذو	بز	ر	5	ط	38	122
			الصاد				
34ـ	لحا الله	ينقص	ك	3	ط	47	131
			الطاء				
35ـ	عسى	سمطا	ر	38	ط	41	124
36ـ	وعاطلة	سمطا	ر	7	ط	42	126
			العين				
37ـ	وقد قلت	أوجع	ك	2	ط	12	86
38ـ	إياك	المسموع	ر	2	ك	(5)	143
			الفاء				
39ـ	أنا ابن	خلاف	ر	5	ط	14	87
			القاف				
40ـ	وأناوياكم	عقوقاً	ر	2	ط	19	90
41ـ	فخذ أولا	وتأنق	ك	23	ط	29	102
			اللام				
42ـ	خليلي	مطلبه	ك	7	ط	(6)	144
43ـ	وإن طالب	وشلا	ب	2	ب	6	82
44ـ	وأما وعيدك	سربالها	ك	11	ق	33	108
45ـ	فمنها أسود	فحول	ر	6	ط	24	92
46ـ	يا مجهد النفس	يا رجل	ب	28	ب	43	127
47ـ	في سورة	المنزل	ك	3	ك	46	130
48ـ	لحم إناث	مهزول	ر	1	ح	(7)	144
49ـ	وإنكم في	بسبيله	ك	2	ط	20	90
-50	تريد	بالباطل	ك	3	ق	18	89

ت	المطلع	القافية	نوعها	الأبيات	البحر	رقمها	الصفحة
51ـ	وإنك في	إكمالها	ك	5	ق	30	105
			الميم				
52ـ	وبدر لاح	لهم	ر	3	و	(8)	145
53ـ	نسبتم الجور	أعمالكم	ك	3	س	(9)	145
54ـ	الستم	ظلم	ر	13	ط	21	90
55ـ	يسعى	وخيم	ر	38	ك	51	134
56ـ	ألم خيال	بالسلام	ر	50	و	52	136
			النون				
57ـ	رب	للهوازنة	ك	2	خ/م	(10)	146
58ـ	بلوت عليا	البيان	ر	3	و	3	81
59ـ	الناس	كالهذيان	ر	3	ك	48	131
			الهاء				
60ـ	هاتها	عطرية	ر	14	خ	(11)	146
61ـ	إذا كان	حماها	ر	2	ط	22	91
62ـ	نزه	يعيها	ر	2	ر	49	132
63ـ	عجبت للذي	عليه الألف المقصورة	ر	2	ق	(12)	147
64ـ	نساء	ترجى	ر	2	ق	16	89

فهرس الموشحات

فهرس أشعار الشعراء الآخرين في الديوان

المقطع	القافية	الشاعر	البحر	الأبيات	الصفحة
1ـ أعلى تعتب	هجاء	أبو الحسن البرجي	ك	46	15
2ـ ومما يقتل	الهجاء	أبو الحسن البرجي	ب	1	105
الباء					
3ـ إن العدو	وثباً	ابن عبد القدوس	ب	1	83
4ـ تركت الشعر	القصابة	ابن حسداي	و	1	117
5ـ إذا اعتذر	مذنب		ط	1	77
6ـ وليس عتاب	يعاتبه	بشار	ط	1	83
7ـ إذا ذهب	العتاب	على بن الجهم	و	1	104
8ـ مثل من	الميشب		خ	1	84
الدال					
9ـ فلو أنهم	راصده	علي ابن الجهم	ق	1	97
10ـ إذا رأيت	الوادي	عبد الرحمن	ب	1	98
11ـ شخص الأنام	واحد	المتنبي	ك	1	101
الراء					
12ـ فما تركت	قفر	الأخطل	ط	1	97
13ـ قهوة	الذكر	الحسن	م	1	98
السين					
14ـ ماذا عسيت	علس	أبو نواس	ك	1	97
15ـ وابنُ اللبون	القناعيس	جرير	ب	1	98
16ـ والماء فوق	النوق	ابن ناصح	ك	1	96
17ـ هو الحية	أصلاها	تميم ابن المعز	ق	1	98
الميم					
18ـ لعمر أبيك	كريم	أبو علي البصير	و	2	85
19ـ إذا حية	ابن ملجم	النجاشي	ط	1	97
20ـ ولم تزل	رحم	النجاشي	ب	1	80
النون					
21ـ قد كان	معيون	النجاشي	ك	1	101

فهرس الأعلام

فهرس الأمكنة والمدن والقبائل

فهرس الأنواء والأجرام السماوية

المصادر والمراجع

1- ابن بسام الشنتريني، دراسة أدبية تاريخية، نزهة جعفر الموسوى، رسالة ماجستير جامعة بغداد سنة 1975م.

2- أبو الحسن الحصري القيرواني، محمد المرزوقي، الجيلاني بن يحيى، مكتبة المنار، تونس سنة 1963م.

3- الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، في عهدي ملوك الطوائف والمراطبين، د.منجد مصطفى بهجت مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1986م.

4- الإحاطة في أخبار ملوك غرناطة، لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) جـ 1ـ4 تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي- القاهرة 73- 1978.

5- الأدب العربي في المغرب الأقصى، محمد بن العباس القباج، جزءان في مجلد ط1 الرباط 1929 وأعادت طبعه وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية- المغرب 1979.

6- أشعار أبي علي البصير، تحقيق، د.يونس السامرائي، مجلة المورد المجلد (1) العدد 3 بغداد سنة 1973.

7- الأعلام، خير الدين الزركلي حـ1ـ8، ط4، الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية- بيروت 1979م.

8- أعمال الإعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية، ابن الخطيب (ت776هـ)،دار المكشوف بيروت: 1956م.

9- الأمالي، أبو علي القالي (ت356) تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتب التجاري، بيروت د.ت.

10- البحر في شعر الأندلس والمغرب، د.منجد مصطفى بهجت، حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت الرسالة الأربعون الكويت ـ1986.

11- بغية الملتمس في تاريخ الأندلس، ابن عميرة الضبي (ت599هـ) دار الكتاب العربي 1967م، المكتبة الأندلسية رقم (6).

12- بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر القرطبي (ت463هـ) حـ1ـ2 تحقيق د.محمد مرسى الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1969م.

13- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي (ت712هـ) حـ1 ـ 4 تحقيق، كولان وليفي برفنسال ود. إحسان عباس باريس1929م بيروت 1967م.
14- التكلمة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي (ت 659هـ) ط العطار القاهرة، سنة 1955م. كذلك ط محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر سنة 1965م.
15- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (توفي بعد سنة 400هـ) حـ 1ـ 4 سنة 1965م تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش ط المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة 1964م.
16- جيش التوشيح، ابن الخطيب (ت 776هـ) تحقيق هلال ناجي، ط المنار ـ تونس 1967م.
17- الحيوان ـ أبو عثمان الجاحظ (ت 225هـ) جـ 1 ـ 7 ط 2 مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1949.
18- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الاصفهاني (ت 597هـ) جـ 1 ـ 3، تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي، والجيلاني ابن الحاج يحيى ط2 الدار التونسية للنشر 1973.
19- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ـ محمد عبد الله عنان ط1 لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1960م.
20- ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر بيروت سنة 1960م.
21- ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري (ت 616هـ) المسمى بالتبيان في شرح الديوان جـ1 ـ 4، تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة بيروت 1978م.
22- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط3 دار المعارف بمصر 1969م.
23- ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور جـ1 ـ 4 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1950م.
24- ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1957م.

25- ديوان جرير.......... دار صادر بيروت 1960م .
26- ديوان العباس بن مرداس، تحقيق د. يحيى الجبوري ط وزارة الاعلام، بغداد سنة 1968م.
27- ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك ط2 لجنة التراث العربي، بيروت د.ت.
28- ديوان الموشحات الأندلسية جـ1ـ2 تحقيق د. سيد غازي ط المعارف الاسكندرية 1979.
29- ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت (ت244هـ) تحقيق د. شكري فيصل، دار الفكر، دمشق 1968م.
30- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني (ت542هـ)، تحقيق د. احسان عباس. جـ1ـ8 ط دار الثقافة ـ بيروت 1796.
31- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ) السفر الاول بقسمين تحقيق د. محمد بن شريفة دار الثقافة بيروت د.ت بقية السفر الرابع، السفر الخامس بقسمين، السفر السادس، تحقيق د. احسان عباس دار الثقافة، بيروت 1975،1965،1964.
32- رايات المبرزين وغايات المميزين، لابن سعيد الاندلسي (ت685هـ) تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة1973.
33- الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله الحميري (ت727هـ) تحقيق د. احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت سنة 1975.
34- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر، أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبي (ت597هـ) تحقيق عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت 1980م.
35- الزاهر، أبو بكر الانباري (ت328هـ) جـ1ـ2 تحقيق الدكتور حاتم الضامن، وزارة الاعلام بغداد د.ت.
36- الزهرة، لأبي بكر محمد بن داود الاصفهاني جـ1 تحقيق د. ابراهيم السامرائي ود. نوري حمودي القيسي ط2 مكتبة المنار سنة 1985.

37- زهر الآداب وثمر الألباب، ابو اسحاق ابراهيم الحصري القيرواني (ت435هـ) جـ1ـ2 تحقيق علي محمد البجاوي ط2 دار احياء الكتب العربية، القاهرة سنة 1953 م.
38- شعر الأخطل، صنعة السكرى تحقيق د. فخر الدين قباوة ط دار الأصمعي ـ حلب د.ت.
39- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، اشراف د. احسان عباس ود. محمد يوسف نجم، ط دار الثقافة ـ بيروت، 1969م.
40- صالح بن عبد القدوس البصري، تحقيق عبد الله الخطيب دار منشورات البصري، بغداد 1967م.
41- صلة الصلة، ابن الزبير (ت708) تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة خياط ـ بيروت د.ت.
42- فرائد اللآل، الشيخ ابراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي الحنفي (ت1308هـ) بيروت د.ت.
43- فصل المقال في شرح كتاب الامثال، لابي عبيد البكري (ت478هـ) حققه وقدم له وعلق عليه د. احسان عباس، ود. عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة بيروت 1971 م.
44- فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات بمصر، منير محمد المدني، مراجعة د. محمد مرسي الخولي القاهرة 1980م.
45- قلائد العقيان، الفتح بن خاقان (ت528هـ) نشر محمد العنابي ط1 المكتبة العتيقة- تونس 1966.
46- لباب الاداب، أسامة بن منقد، تحقيق أحمد محمد شاكر ط الرحمانية، القاهرة 1935م.
47- لمح السحر من روح الشعر ودوح الشجر، أبو عثمان سعيد بن ليون التجيبي (ت 750هـ) مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم (11627ز).
48- مجمع الامثال، الميداني (ت518هـ) جـ 1ـ 2 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط3 دار الفكر بيروت 1972.
49- المذكر المؤنث، أبو بكر الانباري (ت 328هـ) تحقيق د. طارق عبد عون الجنابي ط1 وزارة الاوقاف ـ بغداد 1978.

50- مذكرات الأمير عبد الله بن زيري (ت483هـ) المسماة بـ "كتاب التبيان" تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر 1955م.

51- المستقصى من امثال العرب، جار الله الزمخشري (ت538هـ) تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط العثمانية، حيدر آباد الهند 1962م.

52- المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، تحقيق د. مصطفى عوض الكريم، ط جامعة الخرطوم 1957.

53- المعجم الكبير، الطبراني (ت360هـ)، تحقيق الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي سلسلة احياء التراث الاسلامي (31)، وزارة الأوقاف ـ بغداد.

54- المغرب في حلي المغرب، ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت685هـ) جـ1 ـ2 تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر 1964م.

55- المقتبس من انباء أهل الاندلس، ابن حيان الاندلسي (ت456هـ) جـ5 تحقيق د. شالميتان، كورنيطي م. صبح ط المعهد الاسباني العربي للثقافة مدريد 1979 بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط.

56- ملامح من النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الاندلسي على عهد الطوائف، د. منجد مصطفى بهجت، بحث في مجلة آداب الرافدين العدد12 جامعة الموصل سنة 1980.

57- النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، د. حازم عبد الله خضر دار الرشيد للنشر ـ بغداد سنة 1981م.

58- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ابو العباس المقري (ت1041هـ) جـ1ـ 8 تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت 1968م.

59- نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون. المجلد الأول ـ المجموعة الثالثة ط2 مصطفى البابي الحلبي بمصر القاهرة 1973.

المؤلف في سطور

- د. منجد مصطفى بهجت، أستاذ الأدب والنقد، الجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا.
- ولد في كركوك العراق، 1947، حصل على البكالوريوس ـ جامعة بغداد 1968، والماجستير ـ جامعة الأزهر 1973، والدكتوراه ـ جامعة الأزهر 1982، ودرجة الأستاذية ـ جامعة الموصل 1990.
- عمل في جامعة الموصل 1976 ـ 1992، وفي جامعة صنعاء 1992 ـ 1994، وفي الجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا منذ 1994 ولما يزل.
- نشر حوالي ثلاثين بحثاً في المجلات العلمية في جامعة الموصل، والجامعة المستنصرية، ومجلة المورد ببغداد، واتحاد الجامعات العربية بعمّان، ومجمع اللغة العربية الأردني، ومعهد المخطوطات العربية بالكويت، ودراسات أندلسية بتونس، ودعوة الحق بالمغرب، وكلية الإنسانيات بقطر، ومجلة الأدب الإسلامي بالرياض.
- شارك في عدد من المؤتمرات الأدبية والنقدية في جامعة بغداد والمستنصرية واليرموك والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

مؤلفاته:

1. الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، في عهد ملوك الطوائف والمرابطين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.
2. البحر في شعر الأندلس والمغرب، حوليات جامعة الكويت، 1986.
3. روضة المحاسن وعمدة المحاسن وفصول من بادرة العصر وفائدة المصر، الجزار السرقسطي، ط1، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1988.
4. الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط1، دار الكتب، جامعة الموصل، 1988.
5. ديوان ابن الجنان الأنصاري، جمع وتحقيق ودراسة، ط1، التعليم العالي، الموصل، 1990.
6. ديوان الرحالة ابن جبير الأندلسي وما وصل إلينا من نثره، دار الرفاعي، الرياض، 1990.
7. تراجم مختارة للأدباء الإسلاميين في القرن العشرين (بالاشتراك)، ط1، مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.
8. ديوان ابن اللبانة الأندلسي، مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا،2001.
9. قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان لابن الشعار الموصلي (654هـ)، ج6، بالاشتراك مع د. ناظم رشيد (قيد الطبع).
10. عقود الجنان، ذيل وفيات الأعيان، بدر الدين الزركشي (794 هـ)، ط 2، تقديم وتحقيق (قيد الطبع).

تطلب منشوراتنا من:

- الأردن: إربد- عالم الكتب الحديث هاتف 96227272272+ فاكس 96227269909+
  عمّان: جدارا للكتاب العالمي- هاتف 0796535399 .
- الإمارات- الشارقة: مكتبة الجامعة هاتف 97165726001+ ص. ب 4540.
- لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية- تلفاكس 804811- 9615804810+ ص. ب (11- 9424).
- مصر- القاهرة: مكتبة مدبولي 6 ميدان طلعت حرب- هاتف 5756421- فاكس 5752854.
  القاهرة: الدار المصرية اللبنانية- 16 عبد الخالق ثروت هاتف 3910250 فاكس 3909618 ص. ب 2022 برقياً دار شادو.
  القاهرة: دار الوفاء 2 درب الأتراك- الأزهر هاتف 4502813 تلفاكس 4502812.
  القاهرة- دار الكتاب الحديث 94 شارع عباس العقاد مدينة نصر هاتف 2752990 فاكس 2752992.
  القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع هاتف 200576140+ تلفاكس 2025799907+.
- السعودية: الرياض: العبيكان- تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة هاتف 4654424/ 4160018 وجميع فروعها في المملكة.
  جدة: كنوز المعرفة- الشرقية شارع الستين هاتف 6510421- 6514222 فاكس 6516593
  مكة المكرمة: مكتبة إحياء التراث الإسلامي- الزاهر هاتف 5445984 فاكس 5436620.
- العراق: بغداد- مكتبة الذاكرة- الأعظمية هاتف 4257628 تلفاكس 4259987- الثريا 8821621241714+ .
- فلسطين- رام الله: دار الشروق- شارع مستشفى رام الله هاتف 97022975632+ فاكس 97022975633+.
  غزة: مكتبة اليازجي تلفاكس 2867099/ 2835669-8-970+ .
- ليبيا: دار الرواد- ذات العماد- برج (4) هاتف 218213350332+ .
- الكويت: دار العروبة للنشر والتوزيع- النقرة- شارع قتيبة- مقابل مجمع النقرة الشمالي هاتف 2664626 فاكس 2610842 .
  مكتبة ذات السلاسل هاتف 9652466255+ .
- المغرب: الرباط- مكتبة دار الأمان- زنقة المأمونية- مقابل وزارة العدل هاتف 037723276 فاكس 037200055 .
  الدار البيضاء: دار الثقافة- 32- 34 هاتف 022302375- 022307644- فاكس 0220006511- 022443048.
- تونس: مركز الموسوعات والكتاب- نهج أحمد البلبلي هاتف 71335829 فاكس 71342124 .
- الجزائر: أمين للتسويق الدولي للكتاب العلمي والجامعي- تلفاكس 21321773355+ حسين داي (16040) الجزائر.
  الدار الجزائرية المصرية للكتاب تلفاكس 21321541135+ .
  دار الكتاب للبحث العلمي هاتف 0272994257 الجزائر.
  دار بهاء الدين للنشر والتزيع- جامعة منتوري قسنطينة- عمارة الآداب رقم 18- هاتف وفاكس 0021331904141.
  دار الوليد للتوثيق- فيلا رقم 05 حي اللوز بن عمران بو مرداس- تلفاكس 21324830310+ .
  دار النهضة الجزائرية- تجزئة ن2- قطعة رقم 93- إدارية الجزائر- هاتف 021353508+ .
- السودان: الخرطوم- الأستاذ الدكتور عباس محجوب- هاتف 249122468208+- 249912581660+.



عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع
اربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الاسلامي
تلفون 00962-27272272 خلوي 079/5264363
فاكس 00962-27269909
صندوق بريد (3469) الرمزي البريدي (21110)
البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com



جدارا للكتاب العالمي
للنشر والتوزيع
عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس
خلوي 079/5264363

ISBN 978-9957-70-018-9



KANSO PRINTING
LEBANON - BEIRUT +961 1 471357
JORDAN - AMMAN +962 79 6643916